شَرْحُ

الْمَوَاهِبِ الرَّبَّانِيَّةِ

مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرٍ السِّعْدِيِّ

رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

أ. د. يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الشِّبْل

أستاذ الدراسات العليا في قسم القرآن وعلومه

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد .

أيها الأخوة الكرام هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب مختصر جدًا وصغير الحجم، ولكنه مليء بالفوائد العلمية والتدبرات القرآنية، هذا الكتاب اسمه (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) ألفه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

وهو جزء من تفسير القرآن الكريم، هو فسر القرآن كاملاً، ثم بدأ يأخذ بعض الآيات التي تحتاج إلى تأمل، وتحتاج إلى وقفات واختار هذه الآيات، وجعلها في كتاب خاص سماه (المواهب الربانية من الآيات القرآنية).

لعلنا نأخذ بعض المواضع منه نقرأها، ثم بعد ذلك نواصل إن شاء الله في اللقاء القادم ما يسعفنا به الوقت.

الطالب: هل هو مستل من التفسير؟

الشيخ: هو ما استله الشيخ من التفسير، هو الشيخ ذكر في تفسيره وفي غير تفسيره أنه أحيانًا تكون له وقفات مع بعض الآيات في مناسبات، وخاصة عند النوم، يقول: **"كنت أتأمل عند النوم بعض الآيات القرآنية وأقف عليها ثم أدونها"** تأملات وتدبرات، قد تجدها في التفسير وقد لا تجدها، لكن هو يقول: **"تمر علي هذه الآيات فأقف معها وأتأملها كثيرًا وأراجعها وأتدبرها ثم أكتب خلاصة التدبر"**، فهذا هو المراد.

حتى الكتاب الذي بين أيدينا وهو **"المواهب"** لم يرتبه على ترتيب سور القرآن الكريم؛ وإنما يأخذ آيات ويقف معها وقفات جميلة، تدبرات فقط.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على نبينا محمد وآله وصحبه.

هذه فوائد فتح الله علي بها في هذا الشهر المبارك، نسأله المزيد من كرمه آمين.

الشرح:

لعله أراد رمضان؛ لأن الإنسان في رمضان يقرأ كثيرًا، يكرر قراءته في القرآن، ويختم كثيرًا، الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان له وقت لقراءة القرآن فيقف ويسجل ويدون هذه الأشياء.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، لما كان أقوله: ﴿أَسْلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٣]، توطينًا لنفسه على أمر الله، وعزمًا مقرونًا بالإخلاص والامتثال، والعزم ربما تخلف عنه الفعل؛ ذكر الفعل بقوله: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، فاجتمع العزم والفعل؛ ولكن تخلف أثر الفعل وهو وقوع الذبح فذكر تعالى أنه أبدله بذبح عظيم فداء له.

الشرح:

هذه الآية في سورة الصافات وفي قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ابنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، هل الذبيح إسماعيل أم إسحاق؟ خلاف قوي بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم والتابعين ومن جاء بعدهم من أئمة الإسلام والمفسرين.

والشوكاني في تفسيره رجح أن الذبيح هو إسحاق، وبعض العلماء اختار أن الذبيح هو إسماعيل، وهذا هو الصحيح والله أعلم.

الصحيح أن الذبيح هو إسماعيل لعدة أدلة:

أولًا: من أشهر الأدلة أن الله لما قص علينا قصة الذبيح قال بعدها: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، فدل على أن إسحاق لم يُذكر، لو كان مذكورًا ما جاء مرة أخرى يقول هذا الكلام.

الذين قالوا: إن المراد بالمبشر الذبيح هو إسحاق السبب القوي؛ لأن الملائكة جاءت تُبشر بإسحاق ولم تبشر بإسماعيل، الملائكة لما جاءت؛ جاءت تبشر بإسحاق، ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]،

وجاء في سورة هود: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

فالمبشر به والملائكة جاءت تبشر بإسحاق، تبشر إبراهيم وزوجته سارة، ولم يأت ذكر لإسماعيل أبدًا، هذا دليلهم، ولذلك الكثير من الصحابة اختار القول بأن المبشر به إسحاق، وليس موضوعنا هذا حتى نقف معه، لكن من باب الفائدة.

لكن الصحيح: أن الذبيح إسماعيل، والأدلة كثيرة، أول شيء التاريخ يحكي لنا أن القصة وقعت في مكة، وإسحاق لم يأت إلى مكة أبدًا، حتى ذُكر أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عصره وفي وقته وفي وقت قريش كانت قرون الكبش معلقة بالكعبة، فكيف يأتي من الشام؟!!

ثم إنه أخذ إسماعيل وخرج به إلى منى ولحقه الشيطان وبدأ يزين له ألا يذبح فرماه، فالواقعة واضحة، حتى الآن في مكة في منى عند أهل مكة معروف مكان يُقال له: **"مجر الكبش"** الآن موجود، يقولون: **"هذا المجر الذي جر به إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الكبش وذبحه"** معروف حتى الآن.

حتى إن القرآن ذكر في موضع آخر في سورة مريم وصف الله إسماعيل بأنه صادق الوعد، يُقال: لما أخبره إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه كذا صبر وتحمل.

الطالب: ابن القيم في (زاد المعاد) رجح أن الذبيح إسماعيل.

الشيخ: إي نعم للأدلة.

الطالب: لو صح حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..

الشيخ: هذا لو صح كان قيل إسماعيل، لكن الحديث ضعيف، وهذا مما يستدل به أيضًا.

وقوله هنا: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٣]؛ أي أسلما أمرهما لله، لما أخبر يعني من حكمة إبراهيم ودليل على أنه ذو حكمة أنه جاء إليه وأخبره بالخبر؛ حتى لا يفاجئه، قال: «**إني رأيت في المنام**»، وقيل: إنه رآه ثلاثة أيام وهو يرى أنه يذبحه، ﴿قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: ١٠٢].

استشاره وأخذ رأيه حتى مع صغر سنه إلا أنه استشاره، ﴿قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات: ١٠٢].

قال: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٣]، أي إبراهيم وإسماعيل، أسلما ماذا؟ أي أسلما أمرهما إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: (﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٣]، **توطينًا لنفسه**) يوطن نفسه على قبول الأمر، مع العزم، ليس توطينًا فقط؛ لأن أحيانًا الإنسان يصاب بمصيبة فيحاول أنه يوطن نفسه، لكن نفسه ضعيفة ما فيها عزم، فإذا اجتمع توطين النفس مع العزم كان تسليم لأمر الله، ورضا بقضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الشيخ بعد ذلك: إذا حصل هذا الأمر يأتي الامتثال، ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، فهو فعل هذه الأشياء، سلم الأمر لله، وامتثل أمر الله، وصدق بما أمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واستسلم لله، وحصل أنه أضجعه وأتى بالسكين، وقيل: أنه أضجعه على وجهه؛ قال: حتى لا ترى السكين؛ حتى ذكر بعض الأصوليين وغيرهم : أنه وضع الشفرة عليه، يعني حصل منه الجزم والعزم على الفعل، ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، والجبين هو مقدمة الرأس، وغالبًا عندما يأتي الإنسان إلى فعل الشيء خاصة مع الإنسان أو مع الحيوان أنه يأخذ بجبينه ويلقيه على الأرض.

قال: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، كلمة **"تله"** أخذه بقوة للجبين.

قال: (**فاجتمع العزم والفعل؛ ولكن تخلف أثر الفعل وهو وقوع الذبح**) لما وصل هذا الأمر قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥].

وفداه بكبش عظيم، وقيل: **"عظيم"** ليس عظيم الجثة والجسم، وإنما عظيم القدر والمكانة؛ لأنه أُنزل من السماء، وهذه من الأمور التي نزلت من السماء، قيل: نزل من السماء الحجر الأسود، ونزل من السماء كبش الفداء، في أشياء نزلت من السماء وهذا من ضمن هذه الأشياء.

قيل: **"رعى في الجنة أربعين خريفًا"** فنزلت به الملائكة، فأخذه إبراهيم وذبحه.

الشاهد من التدبر: أن لو قال: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٣]، ولم يقل: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، لم يحصل الأمر أنه حصل العزم والفعل؛ وإنما حصل العزم فقط، فهذا هو المقصود من هذا التدبر.

قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، يدل على أن المعتبر مجرد العدة لا مقدارها في الطول، والقصر، والحر، والبرد، ولا وجوب الفور وعدمه، ولا ترتيب ولا تفريق، ويقرر هذا في قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

الشرح:

هذا في قضاء أيام من رمضان إذا أفطرها الإنسان، الشيخ يريد أن يقف مع الآية تدبرًا، يقول: إن الله قال: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، هذه العدة التي أفطرها الإنسان، سواء كثرت أو قلت، قد تكون شهرًا كاملاً، وقد تكون أيامًا قليلة، هذه عدة الأيام التي أفطرها هذا الإنسان كيف يقضيها؟

قال: إن الله أطلق؛ فقال: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وإذا أطلق لا نستطيع أن نحدد شيئًا إلا بدليل، هذا مقصد الشيخ.

فيقول: هي مطلقة والمقصود أنك تقضي هذه العدة على أي حال سواء على الفور أو التراخي، وإن كان الفور أولى؛ لأنه إبراء للذمة، تتابع أو تتفرق وإن كان التتابع أولى؛ لأدلة أخرى، وإن تتابع يحاول الإنسان يقضي هذه الأيام على عجالة، وإن فرقها فإنه جاز، صام في الشتاء لوجود الجو البارد الذي يعين الإنسان، أو في الحر أو في غير ذلك، أو طول النهار أو قصره، كلّ ذلك لم يحدده القرآن وأطلقه، هذا مقصوده.

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لما قرر هذه القضية أن ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، مُطلقة، استدل عليها من القرآن؛ قال: لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وهذا يدل على تأييد ما رآه الشيخ.

قوله: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، أعم من قوله: "في سفر" ليدخل في من أقام في بلد أو برية ولم يقطع سفره؛ بل هو على سفرٍ وإن لم يكن في سفر.

الشرح:

جملة هذه، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ [البقرة: ١٨٤]، ما قال: **"فمن كان منكم مريضًا أو مسافرًا"** وإنما قال: ﴿مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، لماذا؟ لأن المرض أصلاً ملازم للإنسان، خلاص المريض ملازم للمرض، لا يفتك منك حتى يزول، لكن في السفر لا، قد تكون تسافر ثم تعود إلى بلدك، السفر غير ملازم، يمكن تسافر يوم واحد واليوم الثاني تكون في بلدك، فلا يلزم مثل المرض؛ فقد يستمر معك أشهر أو يوم أو أكثر، أما في السفر لا.

ولذلك قال: ما دمت على سفر فلك أن تفطر، كيف على سفر؟ قال: ما دام خرجت من بلدك التي أنت قد أقمت بها ثم سافرت، سواء كنت في الطريق أو في هذه البلدة التي تقضي سفرك فيها وتعود كلّ ذلك يسمى سفر.

وهذا أيضًا يرجح رأي الشيخ وهو أن المسافر له أحكام السفر ما دام قد خرج من بلده، بعض العلماء يرى ماذا؟ أحكام السفر في الطريق، وإذا استقر في مكانٍ ما فلا يأخذ أحكام السفر إذا تجاوز أربعة أيام أو نحوه.

الشيخ قال: لا، ما دام أنك على أهبة السفر ما تدري متى ترجع؟ إذا ذهبت إلى جدة لتقضي عمل هناك ثم ترجع هذا العمل أخذ منك يوم يومين أو عشرة؛ فأنت على سفر لا تدري متى ترجع؟ فهذه فائدة التعبير بقوله: ﴿مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، غير التعبير بأنك مسافر.

ونلاحظ أن الشيخ يقف على هذه الآيات ويعطيك بعض الفوائد، يعني ما يفسر لك الآية تفسير تحليلي، والسياق، وكذا، لا، ولا يتعرض للآية أين وقعت في القرآن وأين مكانها؟ وعلام تتعلق بشيء؟ لا، وإنما يقف على اللفظة ويُبين ما فيها من فوائد وتدبر، فهي مجموعة من التدبرات أوردها الشيخ، والشيخ يعني تفسيره مليء بالاستنباطات الدقيقة جدًا.

وأذكر أن هناك رسالة دكتوراه في استنباطات الشيخ السعدي في تفسيره، استنبط أحد الطلاب في الدكتوراه استنباطات الشيخ أظن أنها تجاوزت المائتين أو مائتين وخمسين استنباط، استنباطات الشيخ دقيقة جدًا، مبنية على علم.

من الوقفات الجميلة للشيخ رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

قال: فيه دلالة على أن الإنسان يدعو لنفسه أولًا، ثم يدعو لغيره، ﴿اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ [الحشر: ١٠]، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: الإنسان ينبغي له أن يحرص على الدعاء لنفسه ثم يدعو لغيره، هذا من الاستنباطات التي يأخذها من ظواهر الآيات.

نقف عند هذا القدر، جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وهذا المجلس هو المجلس الثاني من مجالس كتاب (المواهب الربانية) لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قرأنا في هذا الكتاب في المجلس الماضي والآن نستكمل إلى توقفنا عنده.

قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [المعارج: ١١]، الآيات، فيه أن غير المجرم لا يود ذلك؛ لأنه قد افتدى في الدنيا من عذاب يومئذٍ بالتقوى والإيمان، وإنما هو في هذا اليوم لا يحزنه الفزع الأكبر، ويؤمل اجتماعه بمن صلح من آبائه وأبنائه وأحبابه في جنات النعيم.

الشرح:

أولًا: عندنا كلمة **"يود"** معناها **"يُحب ويتمنى"**.

الأمر الثاني: هنا الشيخ فائدته تتعلق بمفهوم المخالفة، إذا كان المجرم المفسد الطاغية الذي قد عصى ربه وخالف أمره يتمنى أن يتخلص من العذاب؛ فغير المجرم من المتقين الصالحين الطائعين فهو يعني لا يتمنى أن يتخلص؛ لأنه ليس له طريق لهذا العذاب، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

هنا عندنا منطوق الآية خاص بالمجرم، وعندنا مفهوم منها خاص بغير المجرم وهو التقي، لما تأخذ أنت من مفهوم الآية دليل أو استنباط يفيد الذي يُقابل المجرم، هذا مفهوم يُحتج به ما في شك، الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتج على أشياء كثيرة بالمفهوم، والصحابة احتجوا بالمفاهيم، لكن لما تأتي أنت تستنبط مفهوم من منطوق الآية، ثم تؤيده بدليل يكون أقوى؛ لأنه هنا الآن عندنا أخذ المفهوم من الآية وأيد هذا المفهوم بدليل منطوق نص من القرآن وهو ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وهذا أذكر فيه رسالة عندنا في الماجستير لطالبة **"دلالة المفهوم من منطوق الآية"** تذكر مفهوم الآية ثم تستدل لها.

لما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، طيب وغير المتقين ليس لهم هدى، ما هو الدليل؟ مثلما قال السعدي، قال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

يعني تأخذ مفهوم الآية ثم تؤيده بنص، فيكون هذا أقوى، الشيخ رَحِمَهُ اللهُ فهم الآية أخذ مفهوم الآية دلالة المفهوم وأيده بذلك، طيب هذه وقفة.

الوقفة الثانية: نلاحظ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال في هذه السورة: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾ [المعارج: ١١]، يتمنى المجرم ويحب ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾ [المعارج: ١١]، يعني يخلص نفسه من العذاب ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ [المعارج: ١١]، بأي شيء؟ قال: ﴿بِبَنِيهِ﴾ [المعارج: ١١]، بدأ بالبنين، ثم قال: ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج: ١٢ - ١٤]، طيب أين أمه وأبيه؟ ما ذكرهم طيب هذه مسألة.

المسألة الثانية: إذا ذهبنا إلى سورة عبس ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٦]، البنين آخر شيء، لماذا؟ هنا يبدأ بالأول وهناك في الآخر؟ هل في سر؟ نقول: في سر.

أول شيء: عندنا المسألة الأولى مسألة لماذا لم يأت المجرم يفتدي بأمه وبأبيه؟ قالوا: هذا لا يمكن، مستحيل أن يقدم أمه وأباه للعذاب من أجل أن يخلص نفسه، هذا من أشد العقوق فلا يمكن، يلقي ببنيه، يلقي بزوجته، يلقي بفصيلته كلها عشيرته ممكن يتخلص، لكن تأتي بأمك وأبوك وتضعهم في العذاب وأنت تخرج؟ هذا لا يمكن، ولا يرضي رب العالمين أصلاً، ولذلك لم يذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنه لا يمكن أن يقع من عاقل، هذه فائدة.

الفائدة الثانية: لماذا بدأ بالبنين هنا، ولماذا في سورة عبس أخر؟ قال: لأن المجرم أو الذي يريد أن يتخلص يقدم أغلى ما يملك، أغلى ما يملك قدمه، يقول: أنا أريد أن أتخلص من العذاب فأقدم لكم أغلى ما أملك، أعطيكم الأرض كلها، ولذلك قدم أغلى ما يملك وهم بنيه، ثم الدرجة الثانية الزوجة صاحبته، ثم الأخ أبعد شوية، ثم الفصيلة أبعد وأبعد.

لما جاء في سورة عبس قال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤]، الفرار ما تفر من أبناءك أول شيء، أنت تفر من الأبعد، مثلاً في الدنيا جاءك أخوك قال: أنا محتاج منك مبلغ، وأنت ما عندك إلا قليل، ثم جاء ابنك وقال: أنا محتاج منك مبلغ، تعطيه الأخ ولا الابن؟ تعطي الابن، لماذا؟ لأن الابن أقرب إليك، والأخ ممكن يشوف له شخص آخر.

فهنا قال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤]، لما يفر يوم القيامة يريدون منه حسنات، أول من يفر منه أخيه؛ لأن أخيه بعيد عنه.

ثم قال: ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٥، ٣٦]، التصاقه بصاحبته أشد من التصاقه بأخيه وأمه، ثم الأبناء أشد من التصاق حتى الزوجة، الزوجة يمكن يطلقها، لكن الأبناء لا يمكن أن يفترق عنهم أبدًا في الحياة، ولذلك السر في الإعجاز القرآني في الترتيب هذا يسميه العلماء **"الإعجاز البياني"** في ترتيب الآيات وتنسيقها، قدم وأخر هذه فائدة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، أي يكونوا لذلك رعاة متعاهدين مجتهدين في كلّ سبب تقوم به الأمانات والعهود، وتكمل وتتم، مبعدين عن كلّ سبب يناقض ذلك، وكذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣].

الشرح:

هذه أول شيء: من صفات المؤمنين، في سورة المعارج وفي سورة أيضًا المؤمنون، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، فقط في المؤمنون، أما ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣]، هذه في المعارج.

أول شيء: هذه من صفات المؤمنين، من صفات المتقين الفائزين.

يقول الشيخ هنا: (أي يكونوا لذلك رعاة) أي يراعون ويتعاهدون (متعاهدين مجتهدين في كلّ سبب تقوم به الأمانات والعهود، وتكمل وتتم، مبعدين عن كلّ سبب يناقض ذلك).

نلاحظ الشيخ يكرر كلمة **"كلّ"** ، **"كلّ سبب"** كأنه يرى أن الأمانة هنا عامة، والعهد عام، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، وفي قراءة **"لأمانتهم"** بالإفراد، **"وعهدهم"** بالإفراد.

نريد أن نصل: كيف استنبط الشيخ بأن هذا على وجه العموم، من أين أتى به؟

الطالب: مفرد مضاف.

الشيخ: إي نعم مفرد مضاف، المفرد إذا أضيف إلى معرفة دل على العموم، وهذا من صيغ العموم، مفرد يُضاف إلى معرفة، سواء كان مفردًا أو جمعًا، الجمع إذا أضيف إلى معرفة؛ فإنه يريد العموم، مثل ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، **"أولاد"** جمع ثم أُضيف إلى معرفة وهو الضمير، فدل على العموم، يدخل في جميع الأولاد.

وكذلك هنا **"الأمانات"** الشيخ أكد على قضية العموم في قوله: **"كلّ"** لأن هذه من صيغ العموم، ننتقل إلى الموضوع الذي بعده.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢]، نبه الله تعالى فيها على حال رسوله وكماله وإتمام نعمة الله عليه، وكم بين ابتداء أمره وانزعاجه من الوحي، وتدثره من شدة ما لقي، وبين آخر أمره حين أتم الله أموره كلها، ولهذا أمره بتكميل نفسه، وتكميل غيره، وأرشده إلى ما ينال به ذلك: وهو القيام التام على وجه النشاط والتعظيم لربه، وتكبيره في باطنه، وتطهير أعماله وثيابه الظاهرة، وترك كلّ شر ودنس، واستعمال روح الأعمال وهو الإخلاص في كلّ شيء حتى في العطاء، فلهذا قال: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦].

ثم أرشده إلى ما يعنيه على كلّ الأمور وهو الصبر لوجه الله فقال: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]، ثم تكفل له بحفظه من الأعداء، وحفظ ما جاء به بتوعدهم بالعذاب، خصوصًا لأكبر عنادًا وأعظمهم عداوة، وهذا تمام النعمة.

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى يتدبر الآية هذه ويستنبط منها استنباطات جميلة، يقول: الآيات الأول من هذه السورة تصف لنا حال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حاله في ابتداء الوحي وفي نهاية الوحي، يعني حاله في تلقيه الرسالة وتبليغه رسالة ربه، كلّ الوقت هذا تذكره مجملة، متى تذكره؟ تذكره في ثاني سورة تنزل، انظر إلى الإشارة، ثاني سورة تنزل في القرآن تشير السورة هذه الثانية إلى حياة الرسول الدعوية، وهي ثلاثة وعشرين سنة، ثلاثة وعشرين سنة مضاها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجملها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أول سورة المدثر.

ما هو الإجمال؟ قال: **(حال الرسول وكماله، وإتمام نعمة الله عليه، وكم بين ابتداء أمره)** لما جاءه الوحي في أول الأمر، وهذه السورة من أوائل ما نزل، **(وانزعاجه من الوحي، وتدثره)** تلفلفه بالثياب **(من شدة ما لقي، وبين آخر أمره)** متى؟ عند انتهاء الدعوة، قال: **(حين أتم الله أموره كلها)** بالفتح له والنصرة وإكمال الدين له.

قال: **(ولهذا أمره بتكميل نفسه)**، ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢]، تكميل نفسه وتكميل غيره.

عندنا سورة المزمل، وعندنا سورة المدثر، سورة المزمل سبقت في النزول على قول، قالوا: سورة المدثر نزلت بالدعوة، قالوا: نُبئ بـ **"اقرأ"** وأرسل بـ **"المدثر"** فهي في تبليغ الرسالة، ونشر الدعوة، ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢]، ما في جلوس.

طيب والمزمل؟ قالوا: المزمل هي تربية للنفس؛ بأن كيف يزود الداعي نفسه؟ يتزود بالطاعة حتى يستطيع أنه ينشط في الدعوة، قالوا: بالطاعة بقراءة القرآن والصلاة، قراءة القرآن والصلاة خاصة في الليل ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢]، هذا من أقوى ما يفيد الداعية يكون زاد له في دعوته، فجاءت سورة المزمل ليتزود الداعية منها بالطاعة، ثم بعد ذلك إذا نشط وأخذ الزاد معه دخل في ميدان الدعوة، ولذلك سورة المدثر ظاهرة في القيام بالدعوة، ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢].

يقول هنا: **(بتكميل نفسه وتكميل غيره، وأرشده إلى ما ينال به ذلك)** يعني بالقيام بالنذارة والدعوة إلى الله، قال: **(وهو القيام التام على وجه النشاط والتعظيم لربه)** أيضًا مما يعينك تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتكبيره، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣].

قال: **(وتكبيره في باطنه)**، قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، ما المراد بالثياب؟ هو في خلاف في التفسير، بعضهم قال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، أي أعمالك طهرها من الشرك، وبعضهم قال: الثياب على حقيقتها، وبعضهم قال: الثياب المعنوية، في أقوال كثيرة، والشيخ جمع بينها قال: **(وتطهير أعماله وثيابه الظاهرة، وترك كلّ شر ودنس)** جاب الأقوال كلها جمعها.

قال: **(واستعمال روح الأعمال وهو الإخلاص في كلّ شيء)** من أين أتى بكلمة الإخلاص؟ من كلمة ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ [المدثر: ٧]، لا لغيره، يكون عملك خالص لله.

ثم قال: **(وترك كلّ شر ودنس حتى في العطاء)** حتى في العطاء لا تمنن تستكثر، أي عطاء؟ سواء في الصدق لا تمن على من تعطي وتستكثر وتقول: أعطيتك وأعطيتك، ولا تمن حتى في العطاء في عبادتك لربك تمن أنك صليت، وأنك قمت، وأنك قرأت، فهذه شاملة.

قال: **(ثم أرشده إلى ما يعنيه على كلّ الأمور وهو الصبر لوجه الله)** انظر إلى الإخلاص، فقال: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]، لا لغيره، فإذا أنت حققت هذه الأمور أيها الداعي إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛

فإن الله يتكفل بحفظك من الأعداء، من أين جاء الشيخ الحفظ من الأعداء؟ من قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١].

فلما قال: اترك هذا العدو ومن هو على شاكلته ومن يعينه دعه عنك، انطلق في الدعوة إلى الله وهذا سأصرف شره عندك، فالشيخ دقيق في عبارته، جميلة هذه الفوائد، جمعها لك في مثل هذه الأشياء.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وكذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

التربص المذكور هو الانتظار والمكث في العدة، فما الفائدة في قوله: ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، مع أنه يغني قوله: "يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء" ويتربصن أربعة أشهرٍ وعشرًا..؟

الشرح:

يعني لماذا قال: ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]..؟ لماذا جاء بكلمة: ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]..؟ هي تتربص خلاص، لما نقول للمرأة: انتظري وتربصي وامكثي في بيتك ثلاثة قروء، أنت مطلقة امكثي في بيتك ثلاثة قروء، لماذا يقول: امكثي بنفسك؟ ما الفائدة مكن كلمة **"نفسك"** هذه؟ لماذا جاءت؟ هو يريد أن يصل هذا الشيء.

فاعلم أن في قوله: ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فائدة جليلة وهي: "أن هذه المدة المحدودة للتربص مقصودة لمراعاة حق الزوج والولد"، ومع القصد لبراءة الرحم، فلابد أن تكون في هذه المدة منقطعة النظر عن الرجال، محتسبة على زوجها الأول، لا تُخطب ولا تتجمل للخطاب، ولا تعمل الأسباب في الاتصال بغير زوجها.

ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

الشرح:

هل ترون استنباط الشيخ واستشهاده بالآية الثانية؟ ما وجه الاستشهاد؟ أنه قال: ﴿فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، فيما فعلن في أنفسهن، جاء بكلمة **"النفس"** فدل على أن النفس مقصودة في الآية الأولى؛ لأنه قال: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، أنها ممكن تتربط لكنها لا تقصد بهذه التربص أنها تراعي حق الزوج، وتراعي حق الله، وأنها لا تتعرض للخطاب، وأنها لا تتجمل، هذا شيء يرجع لنفسها، فهذا المقصود.

أي بالتجمل والتبهي ولكن بالمعروف على غير وجه التبرج المحظور، ويدل على هذا قوله في الآية الأخرى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، فلم يأمر هذه المرة أن يتربصن بأنفسهن؛ بل جعلها وصية تتمتع با المرأة سنة بعد موت زوجها جبرًا لخاطرها؛ ولهذا رفع الحرج عنها بالخروج، وأنها بعد الخروج لها التجمل المعروف، وقبل ذلك، كما جبر الورثة قبلها لأجل زوجها، فعليها العدل وترك الجمل، وهذا يبين أن الآية الأولى ليست بناسخة لهذه الآية؛ بل تلك عدةٌ لازمة وهذه وصية تمتيع غير متحتمة، والله أعلم.

الشرح:

هو الآن أعطانا فائدتين:

الفائدة الأولى: لماذا ذكر كلمة ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]..؟ وعرفنا أن المقصود بها مراعاة حق الله، ومراعاة حق الزوج، وأنها لا تتجمل للخطاب إلى آخره، المقصود بنفسها واستشهد بالآية الثانية.

الفائدة الثانية: هل الآية الأخيرة في سورة البقرة ﴿مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، منسوخة؟ وعندنا أربعة أشهر الآية التي قبلها، ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، وعندنا ﴿مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

عندنا تتربص سنة، وتتربص أربعة أشهر وعشرًا، هل الأربع أشهر وعشرًا ناسخة للسنة أم غير ناسخة؟ المشهور أن هذه الآية ناسخة لهذه، والشيخ يقول: لا.

والشيخ ماذا قال في الأخير؟

الطالب: أن الآية الأولى ليست بناسخة لهذه الآية.

الشيخ: طيب كيف؟

الطالب: قال: (بل تلك عدةٌ لازمة وهذه وصية تمتيع غير متحتمة).

الشيخ: هذه من الأقوال التي انفرد بها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وحرر فيها هذه المسألة، مسألة النسخ هل عدة المرأة فيها نسخ؟ نقول: الصحيح أن ما فيها نسخ، لماذا؟ لأن عدة المرأة الأولى هذه يجب عليها أن تعتد، حق لله عليها أن تعتد أربعة أشهر وعشرًا، طيب والسنة؟ قال: السنة هذه حق لها؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قال:

﴿وَصِيَّةً﴾ [البقرة: ٢٤٠]، من الذي يوصي؟ إما وصية من الله، أو وصية من الزوج أن يوصي يقول: اتركوا زوجتي في دارها مدة سنة، فأنتم تأخذون بوصية الزوج فتبقى.

إذًا أصبحت عندنا السنة هذه تدخل فيها أربعة أشهر وعشرًا التي هي حق لله وواجب عليها، طيب إذا انتهت الأربع أشهر وعشرًا وبقي عندنا سبعة أشهر من هذه السنة، البقية هذه المدة هذه حق لها، إن شاءت جلست وأخذت بالوصية، وإن قالت: أنا لا أريد الوصية وتخرج خرجت، فنجمع بين النصين ودون أن نقول بالتعارض؛ لأن التعارض ما معناه؟ معناه أنك تبطل أحد النصين ولا تعمل، وهذا يعمل النصين، ونعرف جميعًا القاعدة: **"إعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما"** هذه قاعدة فأنت تعمل الدليلين أفضل من أن تقول: هذا منسوخ، وهذا ناسخ والمنسوخ لا يُعمل به، والناسخ يُعمل به.

لعلنا نقف عند هذا القدر وإن شاء الله نستكمل ما توقفنا عنده.

جزاك الله خير وبارك الله فيك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛ ....

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك، ومعنا في هذا اللقاء كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لمؤلفه الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

هذا الكتاب المختصر الوجيز قد قرأنا فيه في عدة مجالس، هو يورد آيات ثم يبين ما فيها من تدبرات وتأملات.

نواصل ما توقفنا عنده، وهذا المجلس هو المجلس الثالث من مجالس هذا الكتاب والتعليق عليه، فنواصل ما توقفنا عنده.

الإيمان والاحتساب يُخفف المصائب ويحمل على الصبر، دليله قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، **أي فليكن صبركم أعظم ومصيبتكم أخف، كما أن عدم الإيمان يصعب المصيبة ويحمل على الجزع؛ دليله قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾** [آل عمران: ١٥٦].

ومما يدل على الأمرين قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، **وغير ذلك من الآيات.**

الشرح:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله.

هذه وقفة تأمل من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى، في موقف المؤمن وغيره من المصائب، إذا أصيب المؤمن فماذا يكون موقفه؟ وإذا أصيب الكافر ماذا يكون موقفه؟

هو قال: الإيمان والاحتساب له أثر في تخفيف المصائب وذكر هذه الآية، ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، هذه في حال الكفار وحال المؤمنين، أنتم تألمون وهم يألمون في الجهاد والقتال والحرب والمصائب التي تنزل بالمؤمنين أو تنزل بالكفار تصيب فيتألم المصاب بها، لكن المؤمن يختلف، المؤمن يرجو من الله ما لا يرجوه الكافر، ولذلك فرق شاسع بين هذا وهذا.

ولهذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: **(فليكن صبركم أعظم)** لابد أن يكون الصبر له أثر، يكون صبر قوي يؤثر في زوال المصيبة وتخفيفها، **(ومصيبتكم أخف)** يعني تخف المصيبة، فلا تكون المصيبة عظيمة.

قال: كما أن عدم الإيمان يزيد في المصيبة ويزيد أيضًا في الجزع والاعتراض والتسخط، وهذا قد يقع؛ حتى يقع من بعض ضعفاء الإيمان، ومن بعض أهل المعاصي تجده يواجه مثل هذه المصائب فما يكون كالمؤمن الذي يرضى ويصبر ويحتسب، درجة الرضا فوق درجة الصبر.

قد يصبر لكن إذا رضي معناه أنه صبر ثم رضي، فالرضا بالقضاء درجة عالية، ليس لكل إنسان أن يصاب بمصيبة،، تجد بعضهم يقع منه التسخط والاعتراض، فهذه وقفة جميلة من الشيخ، ثم هو ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ آية الحديد وآية التغابن، وقال: **(ومما يدل على الأمرين)** يدل على احتساب المؤمن في صبره، وجزع الكافر، من أين أتى بهذين الأمرين في هذه الآية؟ قال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢].

هذا واضح، أن هذا الأمر مكتوب قبل خلق السماوات والأرض، وقبل خلق الإنسان، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، أي نبرأ هذه الخليقة، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، يعني الأمر يسير على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ [الحديد: ٢٣]، الكافر يأسى، والمؤمن قال: **"لا تأسى"** فجمعت بين الأمرين، ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]، يعني لا تفرح فرح بطر، وإنما تفرح بنعمة الله وتشكر الله عليها، أما الكفار قد يفرح فرح بطر، فلذلك جمع بين الأمرين.

قوله هنا أيضًا: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، إذًا الإيمان سبب في هداية القلب، وإذا لم يوجد إيمان لم توجد هداية، وهنا قراءة أخرى، قال: **"ومن يؤمن بالله يهدَ قلبه"** ما معنى يهدَ قلبه؟ يعني الذي يؤمن عند المصائب؛ فإن القلب يطمئن وينشرح، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فاستنباط الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من هذه الآيات والجمع بينها جميل جدًا.

شرع الله الدين والعبادات والأوامر والنواهي لإقامة ذكره، ولهذا يذكر أن العبادات ناشئة عن ذكره كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

فجعل الصلاة ناشئة عن الذكر ومسببة عنه، كما جعل الصلاة لإقامة ذكره فقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وقال في ترك الذنوب والاستغفار منها: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

فجعل الاستغفار ناشئًا عن الذكر؛ فدل على أن الذكر لله هو الأصل الجامع الذي يتصف به المؤمن الكامل؛ فيصير الذكر صفة لقلبه فيفعل لذلك المأمورات ويترك المنهيات؛ ناشئًا عن تعظيم الله تعالى وذكره، وهو دليل على ذلك، وهو أعظم المقصودات في العبادات.

الشرح:

الموضع التاسع يتكلم الشيخ عن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن هذه العبادات وهذا الدين وهذه الأوامر والنواهي إنما شُرعت لإقامة ذكر الله، وهذا متحقق حتى في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما جعل الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله**».

ولذلك تلاحظ أن آيات الحج فيها التركيز على ذكر الله، ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [الفاتحة: ٢٠٠]، يعني تكرر الذكر، وتلاحظ أن الذكر مشروع في الحج، مشروع الذكر عند الطواف، وعند السعي، وبين الصفا والمروة، وعند رمي الجمار، وفي مواقف كثيرة حتى قال: «**خير الدعاء دعاء عرفة**»، وقال: «**خير ما قلت أنا والنبيين من قبلي لا إله إلا الله**»، فكلها مرتبطة، والصلاة لإقامة ذكر الله، والصيام والحج وغيرها.

قال: (**شرع الله الدين والعبادات والأوامر والنواهي لإقامة ذكره، ولهذا يذكر أن العبادات ناشئة عن ذكره**) يعني لما يأتي الذكر تأتي العبادة، يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]، لما يذكر الإنسان اسم الله ويعظمه ويهلله ويكبره تأتي الصلاة بعد ذلك.

قال: (فجعل الصلاة ناشئة عن الذكر ومسببة عنه، كما جعل الصلاة لإقامة ذكره فقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]) يعني الذكر والصلاة مرتبطان، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

يقول: كما إذا كنت تعرف أن العبادات ناشئة عن ذكر الله، والذكر أيضًا متسبب في العبادات؛ كذلك أيضًا الذنوب والمعاصي سبب زوالها والبعد عنها وتجنبها ذكر الله.

ولذلك (وقال في ترك الذنوب والاستغفار منها: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]) تذكروا وذكروا الله، ولذلك الإنسان إذا وقع في غفلة أو في رين أو في معصية أو خطيئة فعليه أن يُكثر من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإن الذكر سبب في زوالها، وفي محو هذه الذنوب.

والشيخ رَحِمَهُ اللهُ أراد في هذه الوقفة يبين عظمة ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن هذه العبادات إنما شُرعت للذكر، وهي سبب في الذكر، والذكر سبب لها فالذكر كأنه يقول: ممتزج بالعبادات، والعبادات ممتزجة بالذكر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

فكل من كان في عبادة فهو في ذكر الله، ومن ترك منهيًا لله فهو في ذكر الله، وهذا هو المعنى الذي خلق الله الخلق لأجله، وشرع الشرائع لأجله، وجعل النعم الظاهرة والباطنة مقصودة لأجله، ومعينة عليه، فنسأله تعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ويجعلنا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، آمين.

الشرح:

كأن هذه الوقفة مرتبطة بالوقفة السابقة، أو تفصيل وتوضيح وزيادة للوقفة السابقة؛ يقول: (قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]. فكل من كان في عبادة فهو في ذكر الله) يعني أنك إذا تعبدت لله؛ فأنت تذكر الله في هذه العبادات، وتحيي ذكره في هذه العبادات، وإذا تركت المعاصي؛ فإنك أيضًا في ذكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كأنه يقول: إذا تجنبت المعاصي فأنت تتذكر الله وتعظيمه وتسبحه وتقدسه وتنزهه، وإذا أكثرت من الطاعات؛ فإنك تعظم الله وتسبحه وتذكره وتنزهه.

فكأنه يقول: زيادة على ما سبق أن الأوامر والنواهي والمشروعات كلها شُرعت لذكر الله وزيادة في ذكره، ولذلك انظر ماذا قال في الأخير؟ قال: (وشرع الشرائع لأجله) أي لأجل الذكر، (وجعل النعم الظاهرة والباطنة مقصودة لأجله) أي لأجل الذكر، (ومعينة عليه) أي معينة على ذكر الله، ولذلك قال: (فنسأله تعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته) التي هي سبب في ذكر الله.

ولاشك أن المصلي، والمحافظ على الصلاة، وقراءة القرآن، والمحافظ على الأذكار في صلاته، وبعد الصلاة، هذه كلها أذكار، والصائم كذلك، كلّ هذه ممتزجة بالذكر، وإحياء لذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هو الآن سينتقل إلى فصل آخر، فهو يمشي على مسائل أو على آيات أو وقفات، نأخذ الوقفة التي تليها.



فصل

الراسخ في العلم الذي مدحه الله هو: المتمكن في العلم النافع، المزكي للقلوب؛ ولهذا وصف الله الراسخين في العلم بأنهم يؤمنون بمحكم الآيات ومتشابهها، ويردون المتشابه المحتمل للمحكم الصريح، فيؤمنون بها جميعًا، وينزلون النصوص الشرعية منازلها، ويعلمون أنها كلها من عند الله، وأنها كلها حق؛ وإذا ورد عليهم منها ما ظاهره التعارض اتهموا أفهماهم، وعلموا أنها حق لا يتناقض؛ لأنه كله من عند الله، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وهم دائمًا يتضرعون إلى ربهم في صلاح قلوبهم واستقامتهم، وعدم زيغها، ويعرفون نعمة الله عليهم بعظيم هدايته، وتمام البصيرة التي من الله بها عليهم.

ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها: أنهم يدورون مع الحق أينما كان، ويطلبون الحقائق حيثما كانت، ولهذا وصف الله الراسخين من أهل الكتاب بأنهم يؤمنون بما أنزل الله على جميع أنبيائه، ولا يحملهم الهوى على تكذيب بعض الأنبياء وبعض الحق؛ فقال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النساء: ١٦٢].

الشرح:

في هذه الوقفة وهذه المسألة التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يبين أثر العلم على أهله، وكأنه يشير إلى آية آل عمران في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

كأنه يشير إلى هذا الآية، إلى لعلم الراسخ وكيف مدحه الله، وما معنى العلم الراسخ؟ قال: **"هو العلم الذي تمكن في صاحبه، وهو العلم الذي ينفع، وهو العلم الذي يُزكي القلوب"** هذا هو العلم الراسخ، وأصحابه يسمون الراسخين في العلم.

وماذا يكون موقفهم من القرآن الكريم؟

القرآن الكريم بلا شك، هل هذا محكم أو متشابه؟

نقول: القرآن الكريم مُحكم من وجه كله، ومتشابه من وجه كله، ومُحكم في بعض آياته، ومتشابه في بعضه.

ما معنى هذا الكلام؟

نقول: الإحكام والتشابه منه ما هو عام، ومنه ما هو خاص، المتشابه العام أو المحكم العام نقول: **"القرآن كله مُتقن ولا يطرأ عليه شيء من الاختلاف والتناقض"** هذا يسمى محكم عام.

والمتشابه هو: المتماثل في قوته وبيان صدقه وحقيقته وبُعده عن الكذب ونحو ذلك، فهو متشابه في آياته، ولا يمكن أن تأتي آية تناقض آية؛ هذا من حيث العموم، أما من حيث الخصوص فنقول: القرآن فيه ما هو محكم بمعنى أنه ظاهر الدلالة وواضح، وفيه ما هو متشابه بمعنى أنه قد يغمض على بعض الناس، والتشابه درجات، والكلام حول التشابه كلام طويل جدًا لا ينتهي.

لكن إذا قيل لك: هذه الآية من المتشابه أو غير المتشابه؟

تختلف، قد تكون من المتشابه عند بعض الناس، وعند بعضهم غير متشابهة، فالتشابه درجات، والناس أو الأشخاص الذين ينظرون إلى الآية على درجات، منهم من ينظر إليها ويفهمها، بمجرد النظرة الأولى يفهمها فلا تكون من المتشابه، ومنه من يحاول الوصول إلى معناها ولا يستطيع فتكون في حقه من المتشابه.

ولذلك الله جعل الناس درجات وأعلاهم هم الراسخون في العلم؛ لأن موقفهم واضح، وإذا الراسخون وصلوا إلى هذه المرتبة، ونظروا إلى بعض الآيات التي قد تغمض عليهم ماذا يكون موقفهم؟ أرشدهم الله وبينهم لهم، فالراسخون في العلم ماذا يقولون؟ قال: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، التسليم لله بأن كلٌّ من عند ربنا المحكم والمتشابه.

فكأن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يُريد أن يقع مع بيان أثر العلم، أثر العلم على صاحبه، وعلى فهمه وإدراكه لهذه الآيات، ولهذا الشيخ رَحِمَهُ اللهُ استشهد بآية النساء وإن كانت في أهل الكتاب، ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ١٦٢]، **"منهم"** أي أهل الكتاب، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النساء: ١٦٢]، فهم يحققون الإيمان ويؤمنون ولا يعترضون على ذلك.

كلها واضحة المعنى، والدلالة واضحة، هو يريد أن يصل إلى بيان أثر العلم على أصحابه، وبيان أثر العلم في موقف أصحابه من الآيات القرآنية.

توطين النفس على عدم الانقياد للحق لا ينفع معه تذكير ولا وعظ، قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧].

ولهذا ذكر الله هذا المعنى في سياق الإخبار عن عدم إيمان الكفار وانقيادهم، وإذا وصل الإنسان إلى هذه الحالة فكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

ويذكر تعالى أن الذي ينفع بالتذكير هو الذي يطلب الحق والإنصاف، فهذا إذا تبين له الحق انقاد له، والله أعلم.

الشرح:

الشيخ دائمًا تلاحظ أنه يقف مع الآيات أو يجمع بين آيتين، يستنبط من آية، وتكون الأخرى تعين وتبين هذه الآية، فكأنه يجمع بين الآيات، وهذا جميل كأنه يشير إلى أن القرآن يبين بعضه بعضًا، ويفسر بعضه بعضًا، ولاحظ أنه ذكر هاتين الآيتين كلّ واحدة تكشف لك عن الأخرى.

قال: (توطين النفس على عدم الانقياد للحق) تجد بعض الكفار أو أهل المعاصي أو الذين قد زاغت قلوبهم وانغلقت قلوبهم تجده خلاص يوطن نفسه على عدم قبول الحق، يغلق على نفسه.

فيقول هنا: إذا كان هذا الشخص قد عود نفسه، ووطن نفسه على عدم قبول الحق فلا ينفع معه تذكير، لا ينفع معه تذكير ولا وعظ، فلو وعظته أو ذكرته، ولو جاءتهم كلّ آية ما ينتفعون بهذا.

ولهذا قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ [الإسراء: ٤٧]، هم يستمعون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ القرآن، يأتي الكفار فيستمعون إلى قراءته، ويتناجون فيما بينهم، لكن ما يستفيدون، شوف لما استمعوا وعرفوا وأدركوا هذه الآيات النتيجة ماذا قالوا؟ قالوا: **"هذا رجل مسحور"**.

ولذلك الذي يُغلق على نفسه لا يتعظ، ولذلك قوم عاد ماذا قالوا؟ قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]، لا ينفع، خلاص هناك غلق، وهم السبب في ذلك، لو أقبلوا على الخير، ووطنوا نفسهم على قبول الخير لدخلهم الخير واستفادوا منه.

فالشيخ هنا تأمله وتدبره جميل في الجمع بين هاتين الآيتين، وبيان سبب عدم قبول هؤلاء للحق، ولذلك انظر ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]؛ لأنه خلاص وطن نفس على عدم قبول الحق، وأغلق، فعاقبه بأن جعل على قلوبهم أكنة، وجعل على سمعهم أو على أبصارهم غشاوة؛ لأنه أغلق على نفسه فعاقبه الله.

لعلنا نقف عند الموضع الثالث عشر، وهو سيذكر آية الذين قتلوا في سبيل الله في آل عمران، يقف عندها يتأملها، نقف عند هذه الآية وإن شاء الله تعالى نستكمل في اللقاء القادم ما توقفنا عنده.

والله أعلم

وصلى الله وسلم على بيننا وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك، والكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب(المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

هذا الكتاب يتعلق بتدبر الآيات والوقوف عندها، الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وقف على مجموعة من الآيات وبدأ يتأمل فيها، ونحن قرأنا في هذا الكتاب في مجالس عدة، واليوم نواصل ما توقفنا عنده.

لما قُتل من قُتل من الصحاب شهداء في سبيل الله؛ أنزل الله على المسلمين: "بلغوا إخواننا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه"، فتلوها مدة فأنزل الله بدلها: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

وفي هذا حكمة ظاهرة؛ فإنه مناسب غاية المناسبة أن يخبر الله عنهم إخوانهم وأصحابهم وأحبابهم بخصوصهم؛ ليفرحوا وتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم، ويقدموا على الجهاد، فلما حصل هذا المقصود، وكان هذا الحكم ثابتًا لمن قتل في سبيل الله إلى يوم القيامة وكان من بلاغة القرآن وعظمته أنه يخبر بالأمور الكلية، ويذكر الصول الجامعة؛ أنزل الله هذه الآيات العامات المحكمات حكمة بالغة، ونعمة من الله على عباده سابغة.

ونظير هذا أنه كان مما يتلى: "الشيخ والشيخة عَزَّ وَجَلَّ نيا فارجموهما البتة .." إلخ.

فنسخ لفظهما، وجعل الشارع الرجم بوسف الإحصان؛ لأنه هو الصفة الموجبة لا ولا صف الشيخوخة، ولكن في ذكر الشيخ والشيخة من بيان شناعة هذه الفاحشة، ممن وصل إلى هذه الحال وقبحها ورذالتها ما يوطن قلوب المؤمنين في ذلك الوقت الذي كانت القلوب يصعب عليها هذا الحكم على الزنى؛ الذي كانوا آلفين له في الجاهلية؛ فلم يفجأهم بحكم الرجم دفعة واحدة؛ بل حكم به على أن

الشيخ والشيخة اللذين ماتت شهوتهما، ولم يبق لهما إرادة حاملة عليه إلا خبث الطبع وسوء النية، لما توطنت نفوسهم على قبحه شرع لهم الحكم العام، والله أعلم.

الشرح:

ماذا يقصد المؤلف بهذه المسألة؟

يعني لماذا ساقها وما الغرض منها؟

لعدة أمور:

الأمر الأول: أنه يبين للناس أن القرآن فيه ما هو منسوخ لفظًا، وقد تأتي آيات تُنسخ لفظًا ويحل محلها آية أخرى، مثلما ذكر قال: **"فأنزل الله بدلها"** وأحيانًا يكون النسخ رفع الحكم لفظًا وعدم إبداله بشيء آخر، يعني يُرفع ويبقى بدون بديل، لا يلزم أن يكون مكانه شيء آخر، هذه مسألة أصولية، ومسألة النسخ في القرآن الكريم أنواع، قد يكون النسخ لغير بدل، وقد يكون لبدل، وقد يكون النسخ للفظ، وقد يكون النسخ للمعنى دون اللفظ، للمعنى فقط دون اللفظ، يعني لحكم الآية، الحكم يُرفع ويبقى اللفظ، مثل الآيات الموجودة في القرآن فيها أشياء رُفعت وبقي لفظها، حتى الناس يقرؤونها فيؤجرون عليها، وحتى يتذكرون نعمة الله، هذه المسألة التي ذكرها الشيخ هنا هذا أمر.

الأمر الثاني: ما الحكمة من أن ينزل الله آيات ثم يرفعها ويأتي بآيات أخرى؟ ذكر هو الحكمة وأن الحكمة ظاهرة، يقول: لأن الآيات الأولى مثل **"بلغوا إخواننا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه"**، هذه نزلت في أصحاب بئر **"معونة"** الذين أرسلهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم القراء السبعين، لما أرسلهم وقتلوا في بئر معونة، خانوهم أولئك القوم فتقلوهم جميعًا، فحزن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزنًا شديدًا، وبدأ يدعو عليهم، فأنزل الله هذه الآية، تحكي حالهم أنهم عند الله، وأنهم يقولون: **"لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ..."** إلخ.

فلما علم الصحاب واطمأنت نفوسهم؛ لأن هذه الآية خاصة بصفة معينة، وأشخاص معينين، لما اطمأنت نفوسهم وانشرحت صدورهم لأصحابهم الذين فقدوهم أنزل الله آية أخرى تكون عامة، عامة لجميع الأجيال القادمة، فذكر حكمًا ثابتًا في أن من قتل في سبيل الله فهو حي عند الله ويرزق، وليس ميتًا كما أنتم تظنون هذا الظن، هذا مقصد الشيخ.

ثم ساق مثالًا آخر في الزنا:

الزنا نوعان:

١. زنا البكر.

٢. وزنا الثيب.

زنا البكر معروف يُجلد مائة جلد ويُغرب عامًا امرأة كانت أو رجلاً، زنا الثيب يُرجم إذا ثبت الزنا عليه؛ فإنه يُرجم البتة حتى يموت.

يقول: إن الله أنزل آية رفع لفظها وبقي حكمها، ولم يبدلها، لم يبدلها بآية أخرى، وإنما رفع لفظها والحكم باقي لم يتغير، فهو يقول: لماذا رُفع؟ قال: لأن لفظها مؤثر **"الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة"** ولأن العرب كانت تنكر هذا الأمر وهو متأصل عندهم، فيفاجئون مباشرة، إنما نبهوا بهذا التنبيه ثم رُفع اللفظ وبقي الحكم.

الشيخ استنبط هذا الشيء ووقف عنده يتأمل الحكمة والسر في رفع ألفاظ هذه الآيات، ما الحكمة؟ هذا الذي يقصد والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فسر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك بطلوع الشمس من مغربها؛ فالأحاديث الصحيحة دلت على أن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها، والآية دلت على أن أي من آيات الله التي هي مقدمات الساعة وبها يكون الإيمان اضطراريًا أتت، فإنه لا ينفع الإيمان؛ لأنه إنما ينفع إيمان الاختيار وإيمان الغيب، وإذا أتى بعض الآيات صار الإيمان بشهادة واضطرار فلا ينفع؛ فالآية دلت على التعليل، والأحاديث دلت على الأولية، والله أعلم.

الشرح:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، يقول: هذه ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، هذه طلوع الشمس من المغرب، كما دلت الأحاديث الصحيحة على تفسير النبي لها، ودلت على أن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها.

الآيات التي ما هي؟ آيات أو علامات الساعة، أشراط الساعة، ما هي أشراط الساعة؟ الأشراط المعروفة، قال أولها: (طلوع الشمس) إذا طلعت الشمس من مغربها هذا أول شرط من أشراط الساعة، أو علامة من علامات الساعة.

يقول: (والآية دلت على أن أي من آيات الله التي هي مقدمات الساعة وبها يكون الإيمان اضطراريًا أتت) دلت عل أن الآيات التي يكون الإيمان فيها اضطراري قد أتت، قد جاءت (فإنه لا ينفع الإيمان؛ لأنه إنما ينفع إيمان الاختيار وإيمان الغيب، وإذا أتى بعض الآيات صار الإيمان بشهادة واضطرار فلا ينفع؛ فالآية دلت على التعليل، والأحاديث دلت على الأولية).

كأنه يقول: الآية هذه دلت على التعليل، تعليل ماذا؟ أن التوبة لا تنفع، وأن الإيمان لا ينفع بعد ذلك؛ لأن الآية نصت على أي شيء؟ قالت: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، هذا التعليل.

والحديث يقول: إن أول الآيات هي الشمس، هي طلوع الشمس من مغربها، يقصد الحديث: «**أول الآيات طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة عل الناس ضحًى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبة**»، رواه مسلم.

ما الهدف من مجيء الشيخ بهذه الآية؟

لماذا أتى بهذه الآية ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]..؟

يقول: إن هذه الآية لابد أن تكون مرتبطة بالحديث، فالآية تدل على العلة، والحديث يدل على الأولوية، هذا الذي يقصد، يقصد أن الآية هذه: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، هذه مبهمة، لابد أن تُفسر، ما هي بعض آيات ربك؟ قال: الحديث فسرها وهو طلوع الشمس، وقال: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، هذه العلة، في عدم قبول الإيمان؛ لأنها خلاصة طلعت فلا تنفع؛ لأنه الآن أصبح اضطراري أصبح مكشوف لا يُقبل.

فكأن الشيخ يريد أن يبين لك أن الكتاب والسنة يبين بعضه بعضًا، وأنه لا ينفرد أحدهما عن الآخر، فلعله من هذا الباب.

لعل نقف عند هذا الموضوع، وإن شاء الله نأخذ المواضع الأخرى في اللقاء القادم بإذن الله.

جزآك الله خير، وبارك الله فيك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لمؤلفه الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى، المتوفى سنة ١٣٧٦هـ وكتاب (المواهب الربانية) هو مقتطفات من آيات يقف عندها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، وليست مرتبة على السور؛ وإنما هو تدبرات يأخذ آية ويقف معها، ويستخرج ما فيها من تأملات، إما حكم شرعي أو إشارة أو نحو ذلك، أو فائدة أو نحو هذا.

غالبًا ما يمر عليها على أنه يفسرها تفسيرًا واضحًا، أو يشرح معانيها لا، وإنما يقف في تأمل هذه الآية، ما موقعها؟ لماذا جيئت؟ ما دلالات هذه الآية؟ ما مفهوم هذه الآية؟ هو يقف عند هذه الشيء.

عندنا الآن قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١]، والآية الأخرى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ [النساء: ١٢]، التي بعد آية الكلالة، وهذه بعد حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الفروع والأصول، الفروع ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، ثم الأصول: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ [النساء: ١١]، لما ذكر الأصول بعد ذلك ختم الله الآية بهذه الوصية.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١]، والآية الأخرى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢]، والأخرى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢].

فاتفقت على إطلاق الدين وتقييد الوصية بحصول الإيصاء بها، وهذا يدل على أن الدين مقدم على حقوق الورثة وغيرهم مطلقًا، سواء وصى المدين بقضائه أم لو يوص، وسواء كان دينًا لله أو للآدميين، وسواء كان به وثيقة أم لا، وأما الوصية فشرط الله في ثبوتها أن يوجد الإيصاء بها؛ فإن لم يوص الميت لم يحب على الورثة شيء من التركة لغير الدين، ولابد من تحقق الإيصاء، فلو وجد منه قول في حال عدم شعور وعلم بما أوصى به لم يتحقق أنه أوصى.

ودلت الآيات على ثبوت الوصية التي يوصي فيها الميت، وقيدتها السنة بأنها الثلث فأقل لغير وارث؛ بل آيات المواريث، وتقدير أنصباء الورثة مع قوله في آخرها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٣]، إلى

قوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]، تدل على أن الوصية لوارث من باب تعدي الحدود.

الشرح:

الشيخ يقرر مسائل مهمة ويستنبط منها، ويجمع بين النصوص، يقول هنا: أيهما آكد قضاء الدين ولا تنفيذ الوصية؟ قضاء الدين، كيف عرفنا؟ مع أن الله قدم وصية وأخر الدين، ونحن نقول: الدين مقدم على الوصية، طيب لماذا؟

انظر إلى استنباط الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى؛ قال: لما جاء الدين مطلقًا والوصية مقيدة، دل على أن الدين مقدم، هذا استنباط دقيق من الشيخ، يقول: من بعد وصية يوصى أو يوصي بها الميت، إذًا ما أوصى ما عليه، ولكن أوصى قيدت بأن تكون وصية قد أوصى بها هذا الميت، أما الدين ما قال: أنه أوصى أن يُقضي الدين؛ لأن الدين معروف لابد من قضائه، ولذلك قال: (وهذا يدل على أن الدين مقدم على حقوق الورثة وغيرهم مطلقًا) حتى حقوق الورثة من الميراث، حقه من الميراث مصيره من الميراث مقدم الدين عليه، أول شيء تخرج الديون، ثم ما بقي يُقسم.

أول شيء نبدأ بإخراج الديون، وقبلها يقول الفقهاء: **"مئون تجهيز الميت"** لأنها كان في السابق تجهيز الميت يحتاج إلى مبالغ من حفر القبر، ومن شراء الكفن، ومن تغسيل، وشراء الحنوط وشراء كذا، كانت هذه تحتاج، فيأخذونها من مال الميت، ثم بعد ذلك ينتقلون إلى الدين، ديون الله وديون الآدميين، ثم بعد ذلك ينتقلون إلى الوصية إذا كان قد أوصى، بعدها ينتقلون إلى قسمة التركة.

ويقول: (حقوق الورثة وغيرهم مطلقًا سواء وصى المدين بقضائه أم لو يوص) إذا علموا أن عليه دينًا لله أو دينًا لآدميين فعليهم أن يبدؤوا بالديون سواء كان هذا الدين (وسواء كان به وثيقة) يعني موثق (أم لا) أو لم يوثق لم يسجل ويكتب.

قال: (وأما الوصية فشرط الله في ثبوتها أن يوجد الإيصاء بها؛ فإن لم يوص الميت لم يحب على الورثة شيء من التركة لغير الدين) لكن لو تبرعوا وقالوا: سنخرج له تبرعًا منا، هذا ما فيه مانع.

يقول: **(ودلت الآيات على ثبوت الوصية التي يوصي فيها الميت، وقيدتها السنة بأنها الثلث فأقل لغير وارث)** يقول: إن الآيات جاءت مطلقة، والسنة قيدت هذا الإطلاق الذي هو الثلث، واستحب أكثر أهل العلم أن تكون دون الثلث؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**والثلث كثير**»، هذا من جانب.

في الجانب الآخر: إذا كان الورثة بحاجة إلى المال فلا ستسحب الوصية؛ لأنه ما معنى الوصية؟ أنت توصي لغير الورثة بمثال، أنت تعطيهم، مثل يتامى، مثل مساكين، مثل أرامل، طيب هؤلاء تعطيهم من مالك وأولادك أحوج؟!!

المال للأولاد أولى ولا توصي؛ فإذا كانت هذه نيتك أنه منعك من الوصية هؤلاء الورثة المحتاجين فيكون الوصية تركها أولى، وبعضهم يقول: الأولاد يكبرون ورزقهم على الله ونحو ذلك، نقول: النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة على الناس**».

قال: **(بل آيات المواريث، وتقدير أنصباء الورثة مع قوله في آخرها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾** [النساء: ١٣]) يعني استنباطات دقيقة، شوف كيف أتى بأن الوصية للوارث لا تجوز، وأنه تعدي لحدود الله، وربطها بالآية ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٣].

لا يمنع الله تعالى عبده شيئًا إلا فتح له بابًا أنفع له منه وأسهل وأولى.

الشرح:

هذا عنوان مستنبط من آية، أن الله إذا منعك شيء فتح لك بابًا أعظم وأكبر، قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، إذا الله عَزَّ وَجَلَّ أغلق بابًا أمامك فاعلم أنه أراد لك الخير بباب أوسع هذا استنباط الشيخ، هو الآن يقف عند هذه الآية.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

فمنع الله من تمنى من فضل الله به بعض العبيد على بعض، وأخبر أنه كلّ عامل من الرجال والنساء له نصيب وحظ من كسبه، فحض الصنفين على الاجتهاد في الكسب النافع، ونهاهم عن التمني الذي ليس بنافع، وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان، ودعاهم إلى سؤال ذلك بلسان الحال ولسان المقال، وأخبرهم بكمال علمه وحمته، وأن من في ذلك أنه لا يُنال ما عنده إلا بطاعته، ولا تُنال المطالب العالية إلا بالسعي والاجتهاد، والله الموفق لكل خير.

الشرح:

يقول: المطالب لا تُنال إلا بالسعي والاجتهاد والعمل، أما التمني، والتحلي، فهذا ما يأتي بشيء، لا تتمنوا، بلاد من العمل، ثم بيّن أن (كلّ عامل من الرجال والنساء له نصيب وحظ من كسبه) دل على أن الإنسان يبحث ويتحرك ولا يجلس، ولذلك قال: ﴿نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾ [النساء: ٣٢].

والاكتساب هو البحث عن الشيء حتى يحصل عليه ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]، اسألوا الله من واسع فضله، لا تقل: لماذا فلان أعطى الله كذا؟ ولماذا فلان أعطى الله كذا؟ ويبدأ يتمنى أن يكون مثل فلان، يقول: ليتني أكون مثل فلان، ليس الإيمان بالتحلي والتمني، وإنما الإيمان بالعمل، هذا قصد الشيخ.

هو الآن وضع عنوان عندما قال: **"إذا الله منعك شيء وأغلق عليك باب فقد فتح عليك باب أنفع لك وأسهل وأولى"** ما وجه استنباطه من الآية؟

هو يقول: إذا كان حالك أقل من هذا، وهذا قد فتح الله عليك أبواب كثيرة؛ فالله جعلك على هذه الحال وهو يريد لك الخير في حال أخرى، فعليك أن تبحث عن أبواب تفتح لك أبواب أخرى، فالله عَزَّ وَجَلَّ منعك من هذا الشيء؛ لأنه فتح لك أبواب تسعى فيها، هذا قصد الشيخ، لا تجلس تقول: يا ليتني مثل فلان، قال: فإن لك نصيب وكسب، ابدأ ويفتح الله لك الخير، قد تتمنى أن يكون لك مثل هذا الرجل في كذا وكذا من الخير والمال؛ فإذا تمنيت والله ما أعطاك إياه فابحث عن طرق أخرى، قد يعطيك الله خير من هذا، هذا مقصد الشيخ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]، تضمنت التزهيد في الدنيا، وأن نضارتها وحسنها الذي منع به المترفين ليس لكرامتهم عليه، وإنما ذلك للابتلاء والاختبار؛ لينظر أيهم أحسن عملاً، وأيهم أكمل عقلاً؛ فإن العاقل هو الذي يؤثر النفيس الباقي على الدني الفاني، ولهذا قال: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ [طه: ١٣١]، أي الذي أعده للطائعين الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولم يغرهم رونق الدنيا وبهجتها الزائلة؛ بل نظروا إلى باطن ذلك، حين نظر الجهال إلى ظاهرها، وعرفا المقصود ومقدار التفاوت، ودرجات الأمور فرزق الله لهؤلاء خير وأبقى، أي أكمل في كلّ صنف من أصناف الكمال، وهو مع ذلك باقٍ لا يزول.

أما ما متع به أهل الدنيا فزهرة الحياة الدنيا، تمر سريعًا وتذهب جميعًا، ولهذا نهي الله ورسوله أن يمد عينه إلى ما مت هبه هؤلاء، ومد العين: هو التطلع والتشرف لذلك، لا مجرد نظر العين، وإنما هو نظر القلب، ولهذا لم يقل: (ولا تنظر عيناك إلى ما متعنا به أزواجًا ..) الآية، فمد العين متضمن لاستحسان القلب وتطلعه إلى ذلك.

الشرح:

الشيخ فرق بينهما، ما قال: لا تنظر، فقد تنظر إلى زخرف الدنيا، وإلى جمال الدنيا، تنظر إلى هؤلاء الذين أعطاهم الله المترفين وكذا، نظر عادي، لكن أن تمد عينك وقلبك يتعلق بهذا الشيء هذا هو المنهي عنه، لذلك قارن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين زخرف الدنيا وما عند الله خير وأبقى، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص: ٦٠].

ومثل قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

فهذه الآية بينت المراد من تلك الآية، وأن نظر العين المقرون بإرادة زينة الحياة الدنيا، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨].

فنبه الله تعالى على الاغتباط بما أتاه الله من المثاني والقرآن العظيم، وامتن عليه بذلك، وأنه الخير والفضل والرحمة الذي يحق الفرح والسرور به؛ فإن ذلك خير مما يجمع أهل الدنيا ويتمتعون به، وإنما الذين ينظرون ويغبطون هم المؤمنون الذين لم يغتروا بما اغتر به المعرضون؛ فلهذا قال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

الشرح:

قال: (وإنما الذين ينظرون) يعني ينظر إليهم ويغبطون هم المؤمنون الذين لم يغتروا بما اغتر به المعرضون، ولذلك قال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، استنباطات دقيقة من الشيخ وجمع بين الآيات، وهو مهم جدًا.

ولعل من فوائد تأخير ذكر ذلك القتيل عن ذكر الأمر بذبح البقرة في قصة موسى مع بني إسرائيل؛ لأن السياق سياق ذم لبني إسرائيل، وتعداد ما جرى لهم مما يقرر ذلك، فلو قدم ذكر القتيل على الأمر بذبح البقرة لصارت قصة واحدة، وقضية داخل بعضها في ضمن بعض، ففصل هذا من هذا ليتبين ذمهم، وسوء فعالهم في القضيتين؛ ولهذا أتى في ابتداء كلّ منهما بـ(إذ) الدالة على تذكر تلك الحال وتصويرها؛ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

ثم قال: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢]، وليترتب عليه أيضًا ما ذكر بعده من قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة: ٧٣]، إلى آخر الآيات، والله أعلم.

ويقارب هذا ما ذكره الله في قصة مريم حين أثنى عليها بالنعم الظاهرة والباطنة هي ووالدتها، فذكر حالها وكمالها أولًا، وأن الله جعلها في كفالة زكريا لتتربى تربية حسنة، وتتأدب وتتعلم، وذكر اجتهادها في

ملازمة محاربها، واستجابة دعاء أمها، وأنه تقبلها بقبول حسن، وأنبتها نباتًا حسنًا قبل ذكر اختصام بني إسرائيل فيها، واقتراعهم عليها؛ لينبه تعالى أن هذا مقصود، وهذا مقصود، وأن لها مدحًا وكمالًا في حال اختصامهم عليها، ومدحًا وكمالًا في حال نشأتها وبعادتها، وتيسير الله لها أمورها.

ومن فوائد ذلك: أن تقديم الغايات والمقاصد والنهايات أهم من تقديم الوسائل، فالاختصاص من باب الوسائل، وما ذكر قبله من باب المقاصد، والله أعلم وأحكم.

الشرح:

ما الغرض من أن الشيخ أتى بهذه الآيات أو بهذا الموضعين، الموضع الأول الذي في بقرة بني إسرائيل، وأنه قُدمت قصة البقرة ثم أردف بعد ذلك بحال القتيل، وأيضًا قصة مريم قدمت حال مريم ثم بعد ذلك الاختصام ونحوه فيها، لماذا التقديم والتأخير هذا؟

هو يريد أن يربط بين هذا وهذا، لما قال: لما تمدن عينيك بما اشتغل هؤلاء المترفون فيه، وكلّ مرتبطًا بما أعد الله لك في الآخرة، فكأنه هنا يريد أن يذكر نظير هذه الآيات، وهو التقديم والتأخير، فهو هنا لما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨]، يعني معك ما هو خير فلا تلتفت إلى ما هو زائل، في الآية الأولى قال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾ [الكهف: ٢٨].

فربطه بالخير والتمسك مع هؤلاء أو العيش مع هؤلاء وترك ما كان عند هؤلاء المترفين، فكأنه يقارن يعني، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [طه: ١٣١].

فكأنه يقارن بين حالين، فلما كانت قصة بني إسرائيل السياق في ذمهم قدم موقفهم من ذبح البقرة، وأنهم تعنتوا فيها وأنهم خالفوا، ولم يقبلوا، ثم جاء بسبب الذبح لماذا أمرهم؟ حتى ينكشف الأمر.

وفيه أيضًا: **"المقاصد والغايات والوسائل"** لأن ذبح البقرة وسيلة، وسيلة لكشف الأمر، لأن ذبح البقرة ما يُقدم ولا يؤخر، ذبحتم ولا ما ذبحتم، لكن هي جاءت وسيلة لكشف الأمر الحقيقي.

وهنا نفس الشيء يعني في قصة مريم الثناء عليها، ثم بعد ذلك التخاصم، فالشيخ يركز على الدلالات والتدبرات والتأملات، وجميل كلامه.

هو الآن ينتقل إلى ذكر الله مرقع للخلل، متمم لما فيه من نقص، يعني لماذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الجمعة: ١٠]..؟ حتى في الحج قال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، فاذكروا الله واستغفروا الله في الحج، في الصلاة، في أشياء كثيرة، في رمضان إذا انتهيت من رمضان تكبر الله، العبادات فيها تكبير وفيها ذكر.

ذكر الله تعالى مرقع للخلل متمم لما فيه نقص، ودليله قوله تعالى بعدما ذكر صلاة الخوف وما فيها من عدم الطمأنينة ونحوها قال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، أي لينجبر نقصكم وتتم فضائلكم.

وشبه هذا أن الكمال هو الاستثناء في قول العبد: إني فاعل ذلك غدًا، فيقول: إن شاء الله، فإذا نسي فقد قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

وهذا أعم من كونه يستثني؛ بل بذكر الله تعالى تكميلاً لما فاته من الكمال، والله أعلم.

فعلى هذا المعنى: ينبغي لمن فعل عبادة على وجه فيه قصور أو أخل بما أمر به على وجه النسيان؛ أن يتدارك ذلك بذكر الله تعالى ليزول قصوره ويرتفع خلله.

الشرح:

يعني إذا وقع منه قصور وخلل أو نسي فعليه بالذكر؛ فإن هذا يتمم.

احتجاج الفقهاء على أنه لا يجب على الزوج أن يطأ زوجته إلا في كلّ ثلث سنة مرة بقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، الآية، فيه نظر؛ وإنما فيها الدلالة على أن للمؤلي خاصة هذه المدة لأجل إيلائه، وأما غير المؤلي فمفهومهما يدل على خلاف ذلك وأنه ليس له أربعة أشهر، وإما عليه ذلك بالمعروف؛ لأنه من أعظم المعاشرة الداخلة في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

فمن آلى زوجها منها فله أربعة أشهر، ولا تملك المطالبة إلا أن يتبين أن قصده الضرار؛ فيمنع من ذلك.

الشرح:

ما هو قصد الشيخ الآن؟

هو يقول: (احتجاج الفقهاء على أنه لا يجب على الزوج أن يطأ زوجته إلا في كلّ) يعني متى نقول: إنه واجب عليك؟ قال: في كلّ أربعة أشهر، كلّ أربعة أشهر يجب عليك، فيقول: إن احتجاجهم بالآية ليس له وجه؛ لأن هذا مؤ لي، يعني هذا حالف، حالف ألا يطأ، فهي خاصة، كأنه يقول: هذه حالة خاصة.

قال: **(وأما غير المؤلي فمفهومهما يدل على خلاف ذلك وأنه ليس له أربعة أشهر، وإما عليه ذلك بالمعروف)** يقول: إن العشرة الزوجية ووطأ الزوجة يكون بالمعروف، بما تعارف الناس عليه، مرجعنا إلى العرف لا إلى تحديدها.

لكن يبقى الأمر أنه يعني في قصة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سمع المرأة المحتاجة إلى زوجها، وسأل قال: أين زوجها؟ قالوا: في الثغور، قد خرج للجهاد، فمباشرة أتى بها، وسأل حفصة قال: كم يمكث الرجل عن امرأته؟ قالت: أربعة أشهر، فبدأ يجعل الذين في الثغور يجلسون أربعة أشهر، فإذا انتهت الأربعة أشهر أبدلهم بأشخاص آخرين وأرجعهم حتى لا يتركوا أزواجهم هذه المدة.

لكن الشيخ ما يقصد هذا الأمر، هو يقصد احتجاجهم بالآية، ما يقصد الأمر على إطلاقه، على إطلاقه أن المدة هذه مثلما قالت حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن المدة هذه حدها، هذا حد المرأة، لكن تحتج بآية وهي آية مقيدة بالإيلاء والحلف هذا الذي يقول الشيخ يعني هذا وجه انتقاده أنه ليس له وجه، ويقول: هذا في نظر.

طيب نقف عند الفصل الذي يليه.

جزآك الله خير وبارك الله فيك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، اللّٰهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هذا اللقاء، والكتاب الذي بين أيدينا (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

قرأنا في هذا الكتاب في عدة مجالس، وهذا المجلس السادس، نواصل الحديث.

فصل

يؤخذ من نهي الله عن نكاح المشركة وإنكاح المؤمن للمشركة، وتعليل الله لذلك: أنه ينبغي اختيار الخلطاء والأصحاب الصالحين، الذين يدعون إلى الجنة بأقوالهم وأفعالهم، وتجنب ضدهم من الأشرار؛ الذين يدعون إلى النار بحالهم ومقالهم، ولو كانوا ذوي جاه وأموال وأبهة، ولو كان الأولون فقراء ولا جاه لهم ولا قدر عند كثير من الناس؛ لأن اختيار السعادة الأبدية أولى بالعاقل من حصول حظ عاجل يُعقب أعظم الحسرة وأشد الفوت، فتخير الخلطاء والأصحاب من شيم أولي الألباب.

الشرح:

(يُعقب) لأنه يقول: (حظ عاجل) فلو قال: **"يَعقبه"** ممكن، لكن هو (يُعقب أعظم) فالحسرة تأتي بعدها.

وهذا استنباط دقيق من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى، وقياس، هو ذكر كلام حول آية: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١]، قال: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ﴾ [البقرة: ٢٢١]، فبين العلة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي هذه الآية أيضًا تعليل الأحكام، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد يعلل أحيانًا الأحكام وأحيانًا لا يعللها، لا يعللها إما لظهورها وبيانها، وإما لكون المتدبر هو الذي يستطيع أن يستخرج العلة، وأحيانًا يُنص عليها في الآية مثل هذه، ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ﴾ [البقرة: ٢٢١].

لا تتزوجوا منهم، ولا تزوجوهم؛ لأنهم يدعون إلى النار، والزواج منهم مخالطة خطيرة، وهذا واضح في الزواج والذرية والأولاد، ومساكنة المرأة والمعايشة معها قد يؤثر تأثير كبير على الشخص.

ونلاحظ هذا في الواقع ليس فقط في المشركات، حتى في العاصيات، العاصيات المتمردات تؤثر على الزوج، تجده يبدأ يضعف أمامها حتى يتغير حاله، إذا كانت شخصيته ضعيفة ولها قوة فتغيره أحيانًا، وأحيانًا وهذا نادر إذا كانت شخصيته قوية يستطيع أنه أيضًا يؤثر عليها ويبدل كونها عاصية أن تستقيم.

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى في هذا الفصل أراد أن يبين لك على وجه القياس أن الخلطة ولو كانت في غير الزواج، المخالطة في الوظيفة في المكتب في السفر، في كونك جار له، أو كونك صاحب له في تجارة في محل في كذا الخلطة لها دور كبير.

فيقول: ينبغي تجنب مثل هؤلاء حتى لا تؤثر عليك، لأنك تجالسه وهو ما يصلي، تجالسه مرتين ثلاثة ثم تضعف أنت، فالخلطة لها أثر مهما كان.

فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ أراد أن يوضح حتى من باب القياس أن الآية قد يُقاس عليها أشياء شبيهة بها.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]، أي إذا كانوا إنما حملهم على تزكية نفوسهم ومدحها خوف أنه لا يعرف مقدارهم ومنزلتهم، فليعلموا أن الله هو المزكي لمن يشاء من خلقه.

وهو الذي تزكى بترك القبائح وفعل الخيرات، والله تعالى شكور حكيم؛ فإن كانوا أزكياء حقيقة فلابد أن يُظهر الله ذلك، وإن لم يظهروه؛ فإنه لا يظلم فتيلاً، ولكن قد علم أن الحامل لهم على هذه التزكية الدعوة الباطلة والافتراء والكذب؛ فلهذا قال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ٥٠].

الشرح:

هو الآن يريد أن الإنسان لا يزكي نفسه، ولا يظهر حسناته أمام الناس وأفعاله، ويقول: أنا أفعل كذا، وأفعل كذا، الأمور التي تظهر أمام الناس أنه يزكي نفسه، وأنه يظهر نفسه بأحسن صورة وأحسن حال، نقول: الله يعلم بحالك، اجعل هذا الأمر بينك وبين الله، لا داعي أنك تمدح نفسك وتزكيها، الله هو الذي يزكي، وهو يعلم بالسرائر؛ لأنك قد تزكي نفسك فيذهب أجرها.

ثم بيّن في الآية التي بعدها: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ٥٠]، قال: إن الذي دعاهم إلى التزكية هو الافتراء والكذب، حتى يظهرون أمام الناس أنهم على أحسن حال.

يقول: الحامل لهم على هذه التزكية هو الافتراء والكذاب، وهذا من الشيخ ربط الآيات بعضها ببعض، فكأن الآية هذه توضح ما قبلها، لماذا يزكي نفسه؟ قال كذا؛ لأنه يريد كذا، وهذا افتراء وكذب، وقفات جميلة للشيخ.

اتفاق المقاصد والاجتماع من أكبر الأسباب لحصول الطالب المهمة، كما أن اختلاف الإرادات وحصول التنازع من أسباب الفشل، وتفويت المصالح، ويدل عل هذا قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الأنفال: ٤٥]، إلى قوله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وإذا كان هذا في قتال الأعداء الذي هو أشد الأشياء وأصعبها فغيره من الأمور من باب أولى وأحرى.

الشرح:

يقصد هو الآن أن الآية التي بين أيدينا في سورة الأنفال أشارت إلى أمرين:

الأمر الأول: أنه عند لقاء العدو ينبغي للمسلمين أن يثبتوا، وأن تجتمع كلمتهم، وأن يكثروا من ذكر الله؛ لأنه سبب في طمأنينة القلب واجتماع الكلمة، والنصرة، وهذا كما قال: (اتفاق المقاصد والاجتماع من أكبر الأسباب لحصول الطالب المهمة) وهي النصرة على العدو ونحو ذلك.

ويقابله؛ يعني لما أمر بهذا الشيء نهى عن شيء، فقال: يقابله ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ [الأنفال: ٤٦]، التنازع والاختلاف سبب الفشل، وسبب الهزيمة، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، أي تضعف أمام العدو، تضعف قوتكم، وهذا تفسير لمعنى الريح بالقوة، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، تضعف قوتكم، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وكأن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يقول: إن هذا يستنبط منه قاعدة وهي: **"أن الكلمة إذا اجتمعت وكان المقصد واحد كان سببًا لاتفاق القلوب والنصرة، واجتماعها واتحاد الكلمة، ذهاب الاختلاف عنه والتنازع"**.

وإذا حصل عكس ذلك من تفرق الكلمة؛ فإنه سبب للفضل، وسبب للهزيمة، وسبب التشتت والضياع، فهذه قاعدة مهمة حتى ليست في الجهاد فقط، وفي الأخير ماذا قال؟ قال: (وإذا كان هذا في قتال الأعداء الذي هو أشد الأشياء وأصعبها فغيره من الأمور من باب أولى وأحرى) دائمًا في جميع أحوال الناس إذا اجتمعت الكلمة وكان في ذكر لله وطاعة، كان ذلك سبحان الله سبب للألفة والاجتماع والقوة والنتاج ونحو ذلك.

وإذا تفرقت الكلمة وضاعت، وكلّ واحد يريد أن يتكلم، وحصل الخلاف والنزاع، فهذا سبب للفشل، وسبب للضياع، واستغلال العدو من الداخل والخارج، استغلال العدو، يستغل هذا الشيء.

الشيخ سبحان الله العظيم في دقة وفي استنباط للآيات، هو ما يفسر الآيات هو ما فسرها أن الآية معناها أنك إذا ذكرت الله وكذا، لا، هو ما تكلم عن هذه الآية وإنما أخذ منها نزع منها منتزع جميل جدًا ، وهي قاعدة في الاجتماع والفرقة في كلّ شيء، في كلّ شيء حتى في بيتك في جيرانك في مسجدك، الاجتماع مطلوبة والفرقة مذمومة.

من المناسبات الحسنة أن أكبر البراءة وهي براءة الله ورسوله من المشركين، أمر الله بإعلانها في يوم الحج الأكبر؛ فالذنوب والمعاصي جميعها تشترك في البراءة من الله ورسوله، وعدم الموالاة، ولكن البراءة التامة التي ليس معها من الموالاة مثقال ذرة؛ إنما هي من كلّ مشرك كافر بالله العظيم، وتمام موالاة المؤمن بالله ورسوله الموافقة التامة على هذه البراءة؛ ولهذا كانت سورة: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، إلى آخرها متضمنة لهذه البراءة، مستلزمة للإخلاص لله تعالى في جميع الدين.

الشرح:

الآن نفس الشيء هو يستنبط ويقيس ويعمم الحكم، الآيات في أول سورة التوبة هي براءة الله ورسوله من المشركين، هو يعمم يقول: الذنوب والمعاصي، يقول: إذا كان هذا براءة بإعلانها في الحج الأكبر من شرك المشركين، والشرك وأهله، نتبرأ من الشرك، والله يتبرأ، ورسوله يتبرأ من الشرك وأهله، فالذنوب والمعاصي جميعها تشترك في البراءة، فنتبرأ من كلّ عاصٍ ونبرأ من كلّ صاحب ذنب، ونتبرأ من الذنوب والمعاصي كلها وأهلها.

قال: (التي ليس معها من الموالاة مثقال ذرة) هذه البراءة التامة، (إنما هي من كلّ مشرك كافر بالله العظيم) وعاصٍ ومخالف لله ولرسوله، من تمام الموالاة أن تحقق هذا الأمر، أن تتبرأ من المشركين.

ولهذا قرر أهل العلم أن البراءة يعني حتى إذا كان الشخص هذا الذي أمامك وإن كان قريب لك صاحب معاصي فأنها أحبه لما فيه من الطاعات والإيمان، وأكرهه وأتبرأ لما فيه من المعاصي، هذه قررها أهل العلم، أحبه لما فيه من الخير، وأبغض ما فيه من الشر.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]، وفي الآية الأخرى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

الشرح:

الثانية الظاهر أنها سباقة شرط أو كذا، ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾ [التوبة: ٨]، انظر إلى الشرط، **"إن"** شرطية، **"وإن يظهروا لا يرقبوا"**، وذلك حذفت **"النون"**، والثانية نافية، ﴿يَرْقُبُونَ﴾ [التوبة: ١٠]، ثابتة **"النون"** معها.

دليل على معاداتهم للصحابة خصوصًا وعمومًا، فخصوصًا لما بينكم وبينهم من العداوة وآثارها، وعمومًا لإيمانهم، فلم تكن هذه العداوة لهم إلا لأجل الإيمان، فهم أعداء الإيمان وأعداء كلّ مؤمن، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، وهذا هو الاعتداء التام فلذلك حصر الاعتداء فيهم بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

الشرح:

هذا استنباط دقيق، وإن كان في الصحابة أيضًا يدخل فيه غير الصحابة، أن هؤلاء الأعداء أعداء الإسلام إذا تمكنوا من المؤمنين؛ فإنهم لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة، لا عهد ولا ذمة، لوجود العداوة وأيضًا الإيمان، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

انظر إلى استدلال بالآية الثانية، ثم في نهاية خاتمة الآية لماذا قال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠]، وما قال: **"هم الظالمون"** أو قال: **"هم الكافرون"** ؟ قال: هذا هو الاعتداء التام أنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ربط نهاية الآية بأولها.

هو عاش مع التوبة وطول شوية فيها، أخذ مواضع في **"التوبة"**، ثم انتقل إلى **"هود"**.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢]، وقع الظاهر وهو قوله: ﴿أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]، موقع المضمر، فلم يقل: "فقاتلوهم"؛ ليدل على الحض على قتالهم، وأنهم تمكنوا من الكفر، ودل على أن بهذه الأشياء يكون الإنسان من أئمة الكفر، وهو نقيض العهود، والدعوة إلى دين الكفر، والطعن في دين الإسلام، ويدل هذا على أن أئمة الإيمان ضدهم، فهم المؤمنون الملتزمون لشرائع الإيمان، الموفون بعهوده، الداعون إلى الله، الذابون عنه، المبطلون لما نقاضه ظاهرًا وباطنًا، وأنهم الموثقون بهم، ومحل القدوة والأمانة، نسأل الله تعالى من فضله.

الشرح:

الآن هو استنبط عدة فوائد:

الفائدة الأولى: أن ما يسمى عند علماء البلاغة **"الإظهار موضع الإضمار"** هذا وجه بلاغي من أوجه البلاغة **"الإظهار في موضع الإضمار"** يعني في غير القرآن، قال: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا﴾ [التوبة: ١٢]، فلم يقل: **"فقاتلوهم"** هذا ضمير، وإنما قال: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]، وأظهر، لماذا؟ أظهر صفة لهم هي صفة أنه إمام في الكفر، وأنه متمكن، وأن يفعل كذا وكذا، ولذلك الشيخ بين ما معنى كونه إمامًا في الكفر، قال: **(وهو نقيض العهود، والدعوة إلى دين الكفر، والطعن في دين الإسلام)** كلّ هذا جعله يصل إلى درجة أنه إمام في الكفر، واستنبط الشيخ ما يقابل ذلك، كما أنهم أئمة في الكفر ففي أئمة في الإسلام، في أئمة في الإيمان والإسلام.

فالمؤمن الملتزمون الداعون إلى الله، الذابون عن دينه هؤلاء كلهم يعتبرون من أئمة الإسلام، فليست الإمامة في الكفر فقط، حتى أئمة الإيمان مقدمون على أئمة الكفر.

وفيه دلالة على أن إطلاق الإمامة على الكافر أن تقول: هذا إمام في الكفر، كما قال تعالى: ﴿أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، دليل على أن قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، عام لتطهيره من النجاسات الحسية والنجاسات المعنوية.

الشرح:

هو يريد أن يبين لك أن الطهارة في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، أنها شاملة للطهارة الحسية والمعنوية، المعنوية الشرك، والحسية الأشياء كالقاذورات والنجاسات التي تكون على الأرض، ينبغي أن تُغسل وأن يُنظف البيت منها، والمعنوية أن يبتعد عن الشرك، ولذلك قال: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، سماهم نجاسة، نجاسة معنوية، ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨].

الشيخ أراد أن يستدل على طهارة البيت للطائفين أنها طهارة حسية ومعنوية، والدليل على أنها معنوية هذه الآية، يفسر ويستدل ليقوي تفسيره، هذه تحتاج إلى تأمل جميل.

الحقيقة الكتاب على صغر حجمه، فيه فوائد عظيمة، واستنباطات جميلة، فهي تحتاج إلى تأمل، والقرآن لا تنقضي عجائبه، نقف عند هذا القدر.

جزآك الله خير، وبارك الله فيك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛ ...

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك، والكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب(المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى، هذا المجلس السابع من مجالس هذا الكتاب.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، **ذكر الله فيها جماع الأموال المحرمة.**

وأن الآكلين لها صنفان:

أحدهما: من أخذها بغير حقها، وأخذ أموال الناس بالباطل من الغضوب ونحوها، والرشاء، ونحوها، وتناول من له مستحق يبذل له، ويأخذه بحسب قيام الوصف به وليس به؛ فدخل في ذلك مصارف الصدقات والأوقات، والزكوات والكفارات والنفقات ونحو ذلك.

والصنف الثاني: من منع الحق الذي عليه من ديون الله وديون الآدميين، وكلاهما أكل للمال بالباطل.

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وقف وقفة دقيقة في هذا وهو استنباط، الآية بلا شك أنها في أحبار اليهود والرهبان النصارى، يقول: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ﴾ [التوبة: ٣٤]، انظر إلى احتراز القرآن، ما قال: **"إن الأحبار والرهبان"** حتى ما يُعمم، قد يوجد من لا، ولذلك قال: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ﴾ [التوبة: ٣٤]، هذه مما تسمى الاحترازات في القرآن، والاحترازات كثيرة في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

قد يوجد منهم عقلاء، قال: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]، وهذه تسمى احترازات القرآن، وهي كثيرة.

قال هنا: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤]، الآن الشيخ تكلم عن أكل الأموال بالباطل، لم يتكلم عن بقية الآية، فيقول: ما وجه أكلها؟ كيف يأكلونها بالباطل؟

قال: هذه الآية في **(الأموال المحرمة)** لأنه قال: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤]، ومثل هذه الآية، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، فهذه أصول تسمى أصول الآيات الدالة على تحريم أكل أموال الناس بالباطل بأي طريق، وأن الأصل في أموال الناس الحرمة، أنك لا تتعرض لها؛ لأنها محرمة عليك، «**إن أموالكم وأعراضكم حرام عليكم**»، فأصلها الحرمة، وأصل البيع والشراء الأصل فيه الإباحة.

قال: **(ذكر الله فيها جماع الأموال المحرمة وأن الآكلين لها صنفان)** أخذ الجنس هو ما حدد لا أحبار ولا غيرهم، على العموم، من هم الجنسان؟ قال: **(من أخذها بغير حقها)** أخذ الأموال بالطريق المحرم كالغصب، والغش، والغرر، والرشاوي، ونحوها، هذه تسمى طرق محرمة، فيأخذها بطريق محرم، وهي أصلها حلال، لكن أخذه بطريق محرم، إما عن طريق الغصب، أو عن طريق الغش، أو طريق الغرر، أو نحو ذلك.

قال: **(ويأخذه بحسب قيام الوصف به وليس به)** مثلاً يقول: أنا فقير أنا من أهل الزكاة وهو يكذب، وهذا طريق محرم، وقال هنا: **(فدخل في ذلك مصارف الصدقات والأوقات، والزكوات والكفارات والنفقات ونحو ذلك، والصنف الثاني: من منع الحق الذي عليه من ديون الله وديون الآدميين، وكلاهما أكل للمال بالباطل)** مثل الذين الآن لا يخرجون الزكاة هذا يأكل المال بالباطل، إذا كان عندك مبلغ كبير ورصيد كبير وفيه زكاة تصل إلى حوالي مليون ريال، وأنت لا تخرج الزكاة، وتأكل المليون هذا من أكل المال بالباطل؛ لأن هذا المال ليس لك أصلاً، هذا المال هو للفقير، ولأهل الزكاة، فيجب أن تعطي هذا المال أهله، فإن لم تصرفه الآن وأخذته فهذا طريق مُحرم، هذه دقيقة من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

يقول: من يمنع أو ديون الله أو الكفارات أو نحوها فهم يأكلونها، مثل الزكوات والأوقاف وغيرها، سيواصل هو في الآية أيضًا استنباطات.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

قال: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ٣٥]، ولم يقل: "يوم تحمى في نار جهنم" ليدل ذلك على أنها مع حرارة نار جهنم تستعمل لها الآلات المحمية، كالمنافيخ ونحوها، فيضاعف حرها وتشتد عذابها.

ذكر المفسرون رَحِمَهُم اللهُ تعالى مناسبة لتخصيص كي جباهم وجنوبهم وظهورهم، وذلك لأنه إذا جاءهم الفقير السائل صعّر أحدهم بوجهه؛ فإذا أعاد عليه ولاه جنبه، فإذا ألح عليه ولاه ظهره فاختصت هذه الثلاث لذلك جزاء وفاقًا.

وظهر لي معنى أولى من هذا وهو: أن كي هذه المواضع الثلاثة هي أشد على الإنسان من غيرها، وهي متضمنة لجهاته الأربع الأمام والخلف واليمين والشمال، وهذه الوجوه التي يخرج منها الإنسان، فلما منعوا الواجب عليهم منعًا تامًا من جميع جهاتهم؛ جوزوا بنقيض مقصودهم؛ فإن مقصودهم من المنع المتمتع بتلك الأموال، وحصول النعيم بها، وخوف وحرارة فقدها لو بذلها، فصار المنع هو عين العذاب، فلو أنهم أخرجوها وقت الإمكان لسلموا من كيها، وفازوا بأجرها، ويدل على ذلك هذا المعنى قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

ويدل عليه أيضًا قوله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا»، من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله.

وفي اللفظ الآخر: «هم الأخسرون ورب الكعبة»، فمن خسارتهم أنهم فاتهم ربح أموالهم وسلامتهم من تبعتها وكيها، ويؤيد هذا أن المعنى الذي ذكره المفسرون ليس في اللفظ على ما يدل عليه، وليس أيضًا لازمًا لكل مانع؛ فقد يمنع الفقير والسائل وهو بغير تلك الصفة، وقد يكون عنده حق واجب لا يطلب، ويسأل أن يعطاه فيستحق هذا الجزاء والله أعلم.

الشرح:

الشيخ وقف موقف يتعلقا ببلاغة الآية.

البلاغة الأولى في كلمة **"يُحمى"** قال: (لم يقل: تُحمى) فكأن الحمي لم يكن على الحديد؛ وإنما على شيء خارج الحديد والحديد تدهن بها مثلاً، أو نقول: الذهب والفضة مثلاً، فيحمى بهذه الأشياء القطع أنها

تُحمى، وليس هي تحمى؛ وإنما يحمى عليها، ويحمى عليها أشد، يعني توقد النار أمامها حتى تحتمي، وهذا دقيق في كلمة **"تُحمى"** و**"يُحمى"**.

الأمر الثاني لماذا خص هذه الأشياء الجهات الجبهة وهي في الأمام، والجنب يمين وشمال، والظهر من الخلف؟

هو ذكر أن المفسرين ذكروا نقطة: وهو أن الفقير إذا جاءهم من أمامه صعر بخده وصد عنه، وإذا جاء من الجهة الثانية وهكذا إلى أن يعطيه ظهره، هذا وجه جميل ويقع كثير، وهذا حاصل في الواقع، وإن لم يكن من جميع الناس وإنما يحصل.

والوجه الثاني الذي ذكره الشيخ هنا: **(وظهر لي معنى أولى من هذا وهو: أن كي هذه المواضع الثلاثة هي أشد على الإنسان من غيرها، وهي متضمنة لجهاته الأربع الأمام والخلف واليمين والشمال)** لأنه إذا عُذب بها كان ذلك أشد عليه، لأن الكي إذا كان في الوجه وفي الجنب وفي الظهر يكون أشد، فالشيخ أخذ هذا وكأنه مال إليه، وأن هذا لا يكون دائمًا يعني ممكن هذا الوجه، أنا عندي أن الوجهين ممكن، ممكن أن يكون هذا يقع منهم الصدود وكذا، والعذاب على هذه الأشياء لأنها أشياء حساسة ما في مانع.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٦]، دليل على أن هذه الشهور المعروفة قد ألهم الله العباد لها وفطرهم عليها، وأن ذلك موافق لقدره وشرعه، ويستدل بها من قال: إن اللغة إلهام من الله، لا اصطلاح اصطلح عليه العقلاء، والله أعلم.

الشرح:

يقصد أنها ليست اجتهادية، وإنما ألهم الله الناس عليها، وفطرهم عليها، على الموافقة للقدر والشرع، لكن هناك حياة أخرى تدل على أن الشهور المعتبرة في الشرعية هي الشهور الهلالية القمرية هي المعتبرة، ما الدليل على ذلك؟ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، الناس يوقتون بالهلال ما يوقتون بالأشياء الأخرى.

الصيام يدخل في رمضان، ما يدخل في الأشهر الأفرنجية ولا غيرها، والحج في ذي الحجة، وصيام عاشوراء في محرم، في أشياء مربوطة بالأشهر، لو أنت لم تلتزم هذه الأشهر كيف تعرف عاشوراء؟ كيف تعرف الحج؟ كيف تعرف الوقوف بعرفة؟ فإن الله ربطها بالهلالية.

حتى في شرائع من قبلها في قصة موسى مع صاحب مدين قال: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ [القصص: ٢٧].

ما هي الثمانية حجج؟ يعني حج، وحج، وحجة، يسمونه حج سنة، ضبطه بالحج، فالحج معروف، فهذا التوقيت.

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

في هذه الآية الكريمة فوائد:

إحداها: وجوب قتال المشركين؛ لأن الأمر الأصل فيه الوجوب.

الثانية: أن ذلك فرض على جميع المؤمنين، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿وَقَاتِلُوا﴾ [التوبة: ٣٦]، لا من قوله: ﴿كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، فإن ﴿كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، حال المشركين على الصحيح، فخطاب الله للمؤمنين جميعًا بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا﴾ [التوبة: ٣٦]، يدل على ذلك، ولكن هذا الفرض على الكفاية على القادر، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

الشرح:

استثنى الشيخ، استثنى في قوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، قال: هذا للوجوب؛ لأن الأصل في الأمر أنه للوجوب.

الأمر الثاني: أن قوله: ﴿وَقَاتِلُوا﴾ [التوبة: ٣٦]، يدخل فيه الجميع، لا قوله: ﴿كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، فإن ﴿كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، حال من المقاتلين وهم المشركون، أي قاتلوهم جميعًا، ثم استثنى، الذين يقاتلون من هم؟ قال: القادرون أما العاجز فلا يدخل.

الثالثة: أن هذا القتال لجميع المشركين لا يختص به أحد دون أحد.

الشرح:

طيب هل نقاتل المشركين جميعًا؟ في هنا استثناءات، كالمرأة، والصبي، والشيخ الكبير، والأعمى، والذي لا يُقاتل لا يرفع السلاح، والمعاهد، والذمي، هؤلاء كلهم لا يدخلون، يستثنون، والذي في المحرم، لا تقاتل المشرك في الحرم إلا إذا قاتلك، فعندنا استثناءات.

الرابعة: أن المستكبرين عن عبادة الله من أنواع الملاحدة والدهرية أولى بالقتال من المشركين.

الشرح:

يقول: إذا كنا نقاتل المشركين فعندنا من هو أشد، فالمشرك جعل مع الله شريك، اعترف بوجود الله لكن جعل إلهًا مع الله، لكن الملحد والدهري يقول: ما في إله، ينكر وجود الله، يقول: فهذا أشد منه، فهذا يقاتل أشد.

بعضهم يقول: الملحد ما جاءتنا نصوص أن نقاتلهم، ولكن نقاتل المشركين، نقول: بل قتالهم أشد.

الخامسة: أن قتالهم مستحق بشرطين: كونهم مشركين، وكونهم مقاتلين، فمتى زال أحد الوصفين لم يقاتلوا؛ فالمسلم لا يقاتل لوصفه الذي اتصف به من الظلم والمعاصي، وإنما يقاتل المفسد منهم كالبغاة والخوارج ونحوهم، وكذلك من لم يقاتل المسلمين من المشركين لا يقاتلون؛ إما لكونه ليس أهلاً للقتال كالنساء والأطفال والشيوخ والرهبان ونحوهم، وإما لكونه أخلد للمسلم، وأقر بالجزية، ففيه دليل أيضًا على أن الجزية تقبل من كلّ مشرك بذلها، ولو لم يكن من أهل الكتاب لهذا العموم.

الشرح:

كأنه استدرك أول، قال: لا يقاتلون الصبيان والنساء، يقول: من هو دون الشرك من المعاصي لا يقاتل إذا كان من صاحب الكبائر، لا يقاتل لأن الله سماه أخ حتى في القتال، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

طيب هنا يقول: **(ففيه دليل أيضًا على أن الجزية تقبل من كلّ مشرك بذلها)** الجزية تؤخذ من أهل الكتاب، تؤخذ من المجوس لأنها شبهة كتاب، لكن المشرك الأصلي!!

قال: **(ولو صح لم يكن من أهل الكتاب لهذا العموم)** ما أدري فيه نظر، الكلام يُحتاج إلى أن نتأكد منه.

الطالب: عندي سقط في قول: **"يصح"**، **(ولو لم يكن من أهل الكتاب)** فكأنه أضاف غير المشرك.

الشيخ: اقرأ في دليل أيضًا على الجزية في السطر الذي قبله.

الطالب: قال: **(ففيه دليل أيضًا على أن الجزية تقبل من كلّ مشرك بذلها، ولو لم يكن من أهل الكتاب لهذا العموم)**.

الشيخ: تحتاج مراجعة، نشوف كلام السعدي في مواضع أخرى، هل الكافر أو المشرك تقبل منه الجزية؟ تأكد.

السادسة والسابعة: فيه التنبيه على الإخلاص في الجهاد، وأنهم يقاتلون لوجه الله، ولكونهم اتصفوا بما يبغضه الله وهو الشرك فليكن الحامل لكم أيها المؤمنون على قتالهم موافقة ربكم في بغضه وعداوته لهم؛ لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا.

الشرح:

أخذها من قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٠]، يكون قتالك لله، لا لغرض من أغراض الدنيا.

الثامنة: التهييج للمؤمنين على قتال المشركين، وذلك أنهم يقاتلون المؤمنين كافة؛ فكل من اتصف بالإيمان فطبعهم الخبيث معاداته، وقتاله لأجل إيمانه، أفلا تقاتلون أيها المؤمنون من كفروا بما جاءكم من الحق، وعاندوه وحاربوه؟! فلتكونوا في عداوتهم متفقين، وعلى حربهم جاهدين.

التاسعة: الاجتهاد على التحقيق بتقوى الله؛ لتنال بذلك معونة الله ومعيته.

العاشرة: أن معية الله نوعان: عامة، ويدخل فيها البر والفاجر، كقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧].

وما أشبهها من الآيات الدالة على كمال العلم والمجازاة، وخاصة لمن قام بمحبوبات الله من الإيمان والإحسان والصبر والتقوى كقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦]، وهذه المعية تقتضي مع العلم والجزاء الحسن العون والنصرة والتأييد والقرب الخاص.

الشرح:

يقول: نوعان، عامة يدخل فيها البر والفاجر، دلت عليه الآيات الأخرى، وفي خاص وهي معية الله الخاصة لعباده المؤمنين، من النصر والعون ونحوه.

الحادية عشرة: بلغ فيها التنبيه على أسباب الانتصار على الأعداء، وهو الاتفاق على قتالهم، وعدم المنازعة، والإخلاص لله تعالى، وشدة العداوة التي من لازمها أن يبذل ما يستطاع، ويمكن في قتالهم،

ويدخل في ذلك إعداد السلاح والخيل، والقوة بجميع أنواعها، وكذلك حصول اليقين بمعية الله والاتصاف بالتقوى، فمتى اجتمعت هذه الأسباب لم يختلف عنها النصر؛ وبحسب ما يفوت منها يفوت من النصر، وبهذا ونحوه يُعلم أن الشريعة الإسلامية كاملة من جميع أبوابها، منتظمة لمصالح الدنيا والآخرة وبالله التوفيق.

الشرح:

هو الآن استنبط إحدى عشرة فائدة، ليست كلها في هذه الآية، يعني هذه الآية، ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، المعية واضحة، لكن لما جاء هنا قال أسباب الانتصار على الأعداء، واتفاق الكلمة، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال: **(ويدخل في ذلك إعداد السلاح والخيل)** قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]،

وقال: **(وكذلك حصول اليقين بمعية الله والاتصاف بالتقوى)** اجتمعت هذه الأسباب التي تعد من أسباب النصر، لكن ليست موجودة في الآية ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

إلا أن يُقال: كلمة **"المتقين"**، ما معنى التقوى؟ أنك لا تنازع ولا تخالف، كلمة **"التقوى"** هي الإخلاص وعدم المنازعة، وأن تكون كلمتهم متفقة، هذا بسبب التقوى، وبسبب التقوى إعداد السلاح وهكذا، قد يكون استنباط دقيق فقط، وإلا كان الشيخ يقول أسباب النصر عمومًا.

لعلنا نقف عند هذا القدر.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛ ...

اللّٰهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وارزقنا الهدى والتقى يا رب العالمين.

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا المجلس المبارك من مجالس هذا الكتاب الذي بين أيدينا، وهو كتاب الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى المسمى بـ (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) هذا اليوم هو يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من عام ١٤٤٣ وهذا المجلس هو المجلس الثامن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧]، **فيها دلالة على تحريم الحيل المتضمنة تغيير دين الله؛ بإسقاط الواجبات وإحلال المحرمات بالتوصل إلى ذلك بصور المباح، ووجه أن هذا الله تعالى ذم أهل النسيء، وجعل هذا من زيادة كفرهم، وهم يقدمون شهرًا ويؤخرونه، ويبدلون الشهر الحرام بالشهر الحلال وبالعكس، ويجعلونه العدد الذي يصطلحون عليه، ويسمونها بالأشهر الحرم.**

ويتجنبون فيها ما يتجنبون في الأشهر الحرم، فهم غيروا صورها وأسماءها، وعلقوا التحريم والتحليل على الصورة والاسم، ولا على الحقيقة والمعنى، وهذه الحيل بعينها من غير فرق، والله أعلم.

الشرح:

هو وقف عند هذه الآية لاستنباط تحريم التحايل والمحايلة التحايل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أي وجه من الوجوه، فهؤلاء تحايلوا قالوا: ما حرمنا، وإنما قدمنا وأخرنا، نقول: هو نفسه، قالوا: شهر ذي القعدة حرام، ونحن نضع السلاح فيه، ما ننتهك حرمة الله فيه، وإذا جاء الحج قالوا: ما ننتهك، وهم يعيشون على السلب والنهب وقد طالت عليهم المدة، فإذا جاء محرم أصبحت ثلاثة شهور، فقدموا صفر وأخروا محرم، فقالوا: نحن في شهر صفر ما هو محرم الآن، فبدؤوا يقتلون، جاء محرم وقفوا، قالوا: هذا

محرم نعظمه، وسنة ثاني يقدموا، ويؤخروا، حتى لعبوا في الأشهر حتى لا يدري إنسان أين محرم؟ فقد ضاع.

ولذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخر الحج ولم يحج لعدة أسباب، يعني ذكروا لماذا أخر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ حتى بعضهم يحتج يقول: النبي حج حج واحدة، لماذا أخر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحج إلى السنة العاشرة؟

قالوا: لعدة أسباب:

أولًا: لأن مكة لم تُطهر.

ثانيًا: ولأن المشركين ما زالوا يحجون، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد أن يحج حجًا سليمًا ما فيه شرك.

الأمر الثالث: أن الحج اختلف، ما يدرون أين هو؟ ولذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال في حجة الوداع؟ قال: «**إن الزمان استدار رجع كهيئته التي خلقه الله عليه**»، يعني أنه لما الدورة فلما جاءت السنة العاشرة أصبح الحج في وقته، وعرفة في وقته؛ لأنهم كانوا قد قدموا وأخروا.

عمومًا هذا المراد بالتحايل، وهذا معنى النسيء التقديم والتأخير، وهذا مثل صنع اليهود لما منعهم الله من الأكل في يوم السبت وضعوا شباك وحفر من يوم الجمعة، وإذا جاء السبت قالوا: ما نتعرض لها، وإذا جاء الأحد راحوا وأخذوا ما فيها، فهذا تحايل، مثل الشحم لما حُرم عليهم الشحم راحوا أذابوه، قالوا: هذا دهن ما هو بشحم، هذا دهن وسمن وزيوت ليس بشحم، هذا تلاعب وهذا واضح.

وهذه قاعدة في كلّ شيء يكون فيه تحايل على شرع الله أنه لا يجوز، تتحايل على شيء يعني نُهيت عنه فتبحث لتحصله بطرق أخرى؟! أو أمرت بفعله ثم تبحث عن طرق أخرى حتى تخرج من الأمر؟! فهذا واضح في كلّ العبادات.

الداعي إلى الله وإلى دينه له طريق ووسيلة إلى مقصوده، وله مقصودان: فطريقة الدعوة بالحق إلى الحق للحق فإذا اجتمعت هذه الثلاثة، بأن كان يدعو بالحق أي بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وكان يدعو إلى الحق وهو سبيل الله تعالى وصراطه الموصل لسالكه إلى كرامته، وكان دعوته للحق أي مخلصًا لله تعالى، وقاصدًا بذلك وجه الله، حصل له أحد المقصودين لا محالة، وهو ثواب الداعين إلى الله، وأجر ورثة الرسل بحسب ما قام به من ذلك.

أما المقصود الآخر وهو حصول هداية الخلق وسلوكهم لسبيل الله الذي دعاهم إليه؛ فهذا قد يحصل وقد لا يحصل، فليجتهد الداعي في تكميل الدعوة كما تقدم، وليستبشر بحصول الأجر والثواب.

وإذا لم يحصل المقصود الثاني وهو هداية الخلق أو حصل منهم معارضة أو أذية له بالقول أو بالفعل فليصبر ويحتسب، ولا يوجب له ذلك ترك ما ينفعه وهو القيامة بالدعوة على وجه الكمال، ولا يضيق صدره بذلك؛ فتضعف نفسه، وتحضره الحسرات؛ بل يقوم بجدٍ واجتهاد، ولو حصل ما حصل من معارضة العباد.

وهذا المعنى تضمنه إرشاد الله بقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].

فأمره بالقيام به بجد واجتهاد مكملاً لذلك غير تارك لشيء منه، ولا حرج صدره لأذيتهم، وهذه وظيفته التي يطالب بها، فعليه أن يقوم بها، وأما هداية العباد ومجازاتهم فذلك إلى الله الذي هو عل كلّ شيء وكيل.

الشرح:

هو استنبط من آية هود فائدة جميلة وهي: **"أدب الداعية"** ما الذي ينبغي للداعية أن يكون عليه؟ وهو احتساب الأجر والصبر وسلوك هذا الطريق بالحكمة والموعظة الحسنة، واتباع هذا الطريق بهذا الشيء، ومثلما ذكر قال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ [هود: ١٢]، فاصبر على هذه الوظيفة وتحملها، وأدها على الوجه المطلوب، وأما النتائج فليست لك، ولذلك قال: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢]، فأنت نذير والأمر إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولذلك قال: مجازات من عاند، أو سلك الطريق وقبل الدعوة، كلّ ذلك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فالله هو الذي يتولى أمره وهو عل كلّ شيء وكيل.

هو يحاول أن يستخرج فائدة من الآية، قد تكون صريحة في الآية، وقد تكون بعيدة المعنى، لكنه يريد أن يستخرجها.

إذا كان ضائق صدرك بالدعوة ولم يقبلوا منك، كلّ هذا يقول: اصبر واحتسب وسر وتأدب بأدب الداعية وستخرج لك النتائج عن قريبًا أو بعيدًا، والنتائج عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأجرك واقع ثابت.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣]، ونحوها من الآيات التي فيها هذا المعنى؛ فإذا كان هذا ثابتًا في أصل الدين؛ أن الناس أكثرهم إذا مسهم الضر أنابوا إلى الله لعلمهم أنه كاشف الكربات وحده لا شريك له، وللضرورة التي تضطرهم إليه، ثم إذا زالت الضرورة عادوا إلى شركهم، فكذلك الأمر ثابت في فروع الدين، وفي سائر الأمور تجد الناس مستجيبين لداعي الغفلة، مقيمين على ما يكرهه الله، غافلين عن ذكرهم ربهم ودعائهم، فإذا مستهم نائبة من نوائب المحن أقبلوا إلى ربهم متضرعين، ولكشف ما بهم داعين؛ فأقبلوا وأنابا، ثم إذا أزال الله شدتهم، وكشف كربتهم عادوا إلى غفلتهم وغيهم يعمهون، ونسوا ما كانوا يدعونه إليه من قبل، كأن ما كان.

وهذه الحال من أعظم الانحرافات وأشد البليات التي يبتلى بها العبد، لا يعرف ربه إلا في الضرورة، وهذه شعبة من شُعب الشرك ومن كان فيه هذا الأمر ففيه شبه ظاهر من حال المشركين.

وإنما المؤمن الكامل الذي يعرف ربه في السراء والضراء والعسر واليسر فهذا هو العبد على الحقيقة، وهذا الذي له العاقبة الحسنة، والسعادة الدائمة، وهذا الذي يحصل له النجاة من الكروب إذا وقع فيها، قال تعالى بعدما ذكر عن ذي "النون" أنه بسبب عبادته في الرخاء عرفه الله في الشدة: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

وقال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»؟

وقريب من هذا المعنى ما ذكر الله من حال المترفين الرادين لدعوة المرسلين؛ حيث قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤].

فأخبر أن السبب في ردهم لدعوتهم كونهم مترفين، فدل على أن الترف هو الانغماس في نعيم الدنيا ولذاتها، والانكباب عليها، والتنوق في مآكلها ومشاربها ومراكبها، والإسراف في ذلك يحدث في الإنسان خُلقًا خبيثًا يمنعه من سرعة الانقياد لأمر الله، والاستجابة لداعي الله، وكما أنه ثبات واقع في أصل الدين؛ فإنه واقع أيضًا في شرائعه وفروعه.

فكم منع الترف من عبادات؟! وكم فوت من قربات؟! وكم كان سببًا للوقع في المحرمات؟! فإن الترف وكثرة الإرفاه تصير الإنسان شبيهًا بالأنعام التي ليس لها هم إلا التمتع في الأكل والشرب، وكذلك يُرهل البدن ويكسله ويثقله عن الطاعات، ويشغل القلب عن مرادات النفس، ومرادتها كم حملت صاحبها على جمع الأموال من غير حلها؟! وحملت النفس على الأشر والبطر والرياء والفخر والخيلاء والاستكثار من قرناء السوء؟!

وفي الجملة: في الترف والسرف من المضار أضعاف أضعاف ما ذكرنا فعلى العبد أن يكون مقتصدًا في مأكله ومشربه، وملبسه، ومسكنه، وغير ذلك من حوائجه التي لابد منها، فلا يعلق قلبه إلا بما يحتاجه منها، ولا يستعمل زيادة عن حاجته، ويعود نفسه على ذلك، لتتمرن النفس على الأخلاق الجميلة ويسلم من كثير من الآفات والشرور المترتبة على الترف، ولهذا لما فتحت الدنيا على المسلمين أيام عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكثرت الأموال كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ينهى المسلمين أشد النهي عن الترف، ويأمرهم بالخشونة والاقتصاد الذي به صلاح المعاش والمعاد، وبالله التوفيق.

الشرح:

هو الآن ذكر تقريبًا آيتين، الآية الأولى تتحدث عن واقع الكثير من الناس، أنهم عند الضراء يلجئون إلى الله، عند السراء ينسون ويغفلون، وهذه ذكرها أنها عند كثر من الناس خاصة في زمن الشرك.

العجيب في زمن الشرك إذا ضاقت بهم الأمور لجئوا إلى الله، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قال: **"مشركوا زماننا أشد شكرًا من مشركوا أهل الجاهلية، أهل الجاهلية إذا مسهم الضر رجعوا إلى الله"** إذا مسهم الضر والكرب أمامهم رجعوا الله ووحدوه، أما مشركوا زماننا فهم في السراء والضراء ولا يعرفون الله.

ولذلك انظر الآن تنزل بهم البلايا ولا يرجعون، ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، تجد بعض الناس القلب أصبح في أشد القسوة؛ لأنه في السراء وفي الضراء تصيبه المصائب، والقوارع والنوازل تنزل حوله ويُهدد وما زال في غيه، ولا يفيق من غيه ولا يرجع إلى الله، ما يقول: هذه مصيبة، وهذه بلية، وقعت لماذا ما نرجع إلى الله؟! المشركون أخف حال من هؤلاء، وهذا من ناحية.

الحالة **الثانية:** نبه على أمر مهم جدًا وهو أن الإنسان إذا كان في السراء يعبد الله، ويلتجئ إلى الله؛ فإنه إذا جاء في الضراء فإن الله يقف معه، مثلما حصل ليونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣].

فالأعمال الصالح تنفع، وحديث الثلاثة الذين دخلوا الغار نفعتهم أعمالهم وفرجت عنهم، قال أحدهما: **"كان لي أبوان"**، والآخر قال: **"كان لي ابنة عم من أجمل النساء"** والثالث الأجير، فانظر إلى أعمالهم الصالحة.

وهو ذكر آية أخرى أنه ما هو سبب الغفلة؟ الترف، قال: الانغماس في الدنيا، فالإنسان عليه أن يحذر لا ينغمس مثل الناس، ويقول: الناس فعلوا فافعل مثلهم؛ بل يكون على حذر من الترف الزائد، ينبغي أن يحذر ولا يتوسع في الأمور هذه.

الطالب: في آية في الفرقان يا شيخ هل تدل على الترف؟

الشيخ: ما هي بالفرقان يمكن سبأ.

الطالب: الفرقان يا شيخ، ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ [الفرقان: ١٨]، هل في نفس المعنى هذا؟

الشيخ: قريب جدًا، الترف سبب للغفلة والنسيان، ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨]، أي كانوا هلكى، وفي آيات أخرى مثلها فيها النهي عن الترفه، والنهي عن الانغماس في الدنيا، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢].

الترف الزائد والتوسع فيه سبب، التوسع في المباحات تلهي، تجعل الإنسان في غفلة، ولذلك ذكر هنا أن عمر كان يأمرهم بأن يكونوا في خشونة وفي اقتصاد من العيش، فلا يتوسعوا؛ لأن الإنسان ضعيف، إذا أُعطي قصر وأعطي سيارة فارهة، وأعطي أشياء كثير من زينة الدنيا أشغلته.

أما إذا كان على قدر الحاجة تجده كثير الذكر لله، كثير الطاعة، كثير الصلاة، هذه طبيعة الإنسان.

قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

فإذا كانت الأرض الخاشعة الخالية من كلّ نبت، إذا أنزل الله عليها المطر اهتزت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج، واختلط نبتها، وكثرت أصنافه ومنافعه؛ جعله الله تعالى من أعظم الأدلة الدالة على سعة رحمته وكمال قدرته، وأنه سيحيي الموتى للجزاء.

فالدليل في القلب الخلي من العلم والخير حين ينزل الله عليه غيث الوحي فيهتز بالنبات، وبنيت من كلّ زوج بهيج من العلوم المختلفة النافعة، والمعارف الواسعة، والخير الكثير، والبر الواسع، والإحسان الغزير، والمحبة لله ورسوله، وإخلاص الأعمال الظاهرة والباطنة لله وحده لا شريك له، والخوف والرجاء والتضرع والخشوع لله، وأنواع العبادات وأصناف التقربات، والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم.

وغير ذلك من العلوم والأعمال الظاهرة والباطنة، والفتوحات الربانية، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أعظم من الأرض بكثير على سعة رحمة الله وواسع جوده، وتنوع هباته وكمال اقتداره وعزته، وأنه يحيي الموتى للجزاء، وأن عنده في الدار الأخرى من الخيرات والفضل ما لا يعلمه أحد غيره.

وقد نبه الله على أن حياة القول بالوحي بمنزلة حياة الأرض بالغيث، وأن القلوب الخالية من الخير بمنزلة الأرض الخبيثة، فقال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

الشرح:

إذا كانت الأرض وهي جدب وحجر وقاسية وجماد إذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وأنبتت وتأثرت، فالقلوب إذا جاء الوحي والعلم النافع وتأثرت بالقرآن وكذا أصبحت روضة، روضة فيها كلّ شيء.

تتوسع القلوب وتصبح مرتعًا للطاعات والعبادات، والعكس بالعكس، إذا كانت على جهل وغفلة ضاق القلب وصار قاسيًا، ما تكون الأرض واسعة المرتع؛ بل ضيقة المرتع وقاسية لا يستفاد منها.

نية العبد تقوم مقامه عمله، وإذا أحس العبد في عبادته ربه ووطن نفسه على الأعمال الفاضلة الشاقة سهل الله ليه الأمور، وهون عليه صعابها، وربما انقلبت المخاوف أمنًا، وتبدلت المحنة منحة، وربما حصل من آثار ذلك خير الدنيا والآخرة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، إلى قوله: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

فلا يُستنكر هذا الخير على ذي الفضل العظيم، وفي هذه الآية دليل أيضًا على أن الله يحدث لعبده أسباب المخاوف والشدائد ليحدث العبد التوكل على ربه، والإخلاص والتضرع؛ فيزداد إيمانه، وينمو يقينه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

الشرح:

يستنبط الشيخ استنباطات دقيقة، يقول: دائمًا المحن تنقلب إلى منح، إذا عرف الإنسان كيف يتعامل معها، هذا أمر.

الأمر **الثاني:** أنه بعد الضيق فرج دائمًا، ومثلما ذكر الشدائد والمخاوف تنقلب ويستفيد الإنسان كيف يتعامل معها بالتوكل والإخلاص والتضرع؟ كيف يتعامل مع هذه الشدائد ويقوى إيمانه، ويزيد توكله؟

عبارة جميلة للشافعي لما قيل له: **"هل يُمكن الرجل أو يُمتحن ثم يُمكن؟ قال: بل يمتحن ثم يُمكن"** فالإنسان يمتحن أحيانًا حتى يُمكن له.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١]، ليس فيه نقص كما توهمه بعضهم، وجعل الخوف بمعنى العلم، وإنما فيه زيادة ومعًى نفيس، وهو أنه كما كان العلم نوعين، علمٌ لا يثمر العمل بمقتضاه، وإنما هو حجة على صاحبه، وهو غير نافع، وعلم يثمر العمل، وهو علم المؤمنين بأن الله سيبعثهم ويجازيهم بأعمالهم، فأحدث لهم هذا العلم والخوف فخافوا مقام ربهم، وانتفعوا بنذارة الرسل، وعلموا أنه ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع، فهؤلاء الذين أمر الله رسوله بنذارتهم لأنهم يعرفون قدرها، ويقومون بحقها، وأما حالة المعرضين الغافلين، والمعرضين المعاندين؛ فهؤلاء لا ينفع فيهم وعظ، ولا تذكيرًا، لعدم المقتضى والسبب الموجب، وهذا المعنى يأتي بما أشبه هذا الموضع من القرآن، والله ولي الإحسان.

الشرح:

قوله: (وهذا المعنى يأتي بما أشبه هذا الموضع) أي هذا المعنى الذي ذكرت لك موجود في آيات أخرى، هو قصد قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾ [الأنعام: ٥١]، لماذا خص النذارة بهؤلاء مع أن الرسول شيء جميل؟ قال: لأنهم هم المنتفعون، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، هذا قصده، (أشبه هذا الموضع) يعني مثل موضع النازعات، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وفي أيضًا آية فاطر، ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨].

الطالب: يا شيخ قال: **"ليس فيه نقص"** كأنه يدفع هذا؟

الشيخ: إي نعم، هو ساق هذه الآية أن الذي يستفيد، وأن الذي يُنذر، والذي يستفيد من النذارة هو الذي عنده علم، وعنده معرفة، ويخشى أن يُحشر إلى ربه، أما الغافل والجاهل الذي لا عنده علم ولا يعرف أن هناك حشر وجنة ونار هذا ما ينفع، حتى لو أنذر، لو خفت عليه وأنذرته ما يستجيب.

فيقول العلم نوعان: علم نافع، وعلم جاهل، قد يكون عنده علم لكن ما يستفيد منه، هذا المقصود، الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في هذه الوقفات يقول مواهب ربانية، آيات قرآنية تستطيع أن تستخرج منها قواعد، تستخرج منها فوائد، تستخرج منها لمحات علمية، هذا مقصوده.

لعلنا نقف عند صفحة ٣٢ حتى المجلس التاسع القادم إن شاء الله بإذن الله.

جزآك الله خير، وبارك الله فيك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛ .....

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم الذي يوافق السادس والعشرين من شهر ربيع الأول من عام ١٤٤٣ نجتمع لنقرأ مواضع من كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) وهذا المجلس هو المجلس التاسع من المجالس التي نقرأ فيها ونعلق على يذكره الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

فصل

العزم الذي مدح الله به خيار خلقه، كقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، هو قوة الإرادة وحزمها على الاستمرار على أمر الله، والهمة التي لا تني ولا تفتر في طلب رضوان الله وحسن معاملته، وتوطين النفس على عدم التقصير في شيء من حقوق الله، ولذلك لام الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدم استمراره على الأمر، وحصول الاغترار منه لعدوه بأكل الشجرة التي عهد الله له بالامتناع من أكلها، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

لحصول الفتور وفلتات التقصير منافٍ لكمال العزم، ولهذا لم يكن كمال هذا الوصف إلا لمن بلغوا الدرجة العالية في الفضائل.

والنقص إنما يصيب العبد من أحد أمرين:

١. إما من عدم عزمه على الرشد الذي هو الخير.

٢. وإما من عدم ثباته واستمراره على عزمه.

ولهذا كان دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد»، من أنفع الأدعية وأجمعها للخيرات، فمن أعانه الله على نية الرشد والعزيمة عليها والثبات والاستمرار؛ فقد حصل له أكبر أسباب السعادة، والناس في هذا المقام درجات بحسب قيامهم بهذين

الأمرين، وحسب ذي الفضل فضلاً أن تكون العزيمة على الرشد وصفه، وآثارها من العلم والعمل عنته، وإذا حصل له نوع من فتور وخلل في هذا المأمور رجع إلى أصله وآخيته، وداوى هذا الداء بالتذكر والاستغفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

أي تذكروا الخلل الذي دخل عليهم من الشيطان والنقص الذي حصل لهم به الخسران فأبصروا ذلك فبادروا إلى سده والعود إلى ما عودهم وليهم من لزوم الصراط المستقيم، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه آمين.

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يريد أن يبين ما المراد بالعزم، ولماذا وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أولياءه والرسل خصهم بكونهم من أولي العزم، ما المراد بالعزم؟ وما الذي يضاده ويكون في مقابلة العزم؟

يقول: المقصود بالعزم **(هو قوة الإرادة وحزمها على الاستمرار)** على العمل على شيء معين، **(والهمة التي لا تني)** لا تضعف **(ولا تفتر في طلب رضوان الله)** كما ذكر الله عن أحد أولي العزم وهو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

فتوطين النفس على البعد عن التقصير والضعف وطلب رضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تقديم رضا الله على النفس، وعلى ملذات النفس، وعلى شهوات النفس هذا الذي يكون من أولي العزم، أولي العزم درجة مثلما ذكرنا، حتى آدم حصل له قال: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، حصل تغرير الشيطان له، غره الشيطان حتى أضعفه وأوقعه في هذا الشيء.

يقول: **(لحصول الفتور وفلتات التقصير منافٍ لكمال العزم)** كأنه يقول: حاول أن تكون من أولي العزم الذين لو وقع منهم ما وقع يبادرون بالتوبة، يبادرون بالعمل الصالح، يكثرون من الأعمال التي يعني تغطي ما مضى من التقصير، وذكر دعاء النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد**».

أن تعزم على فعل الرشيد، الرشد يقابل الغي، والغي من عمل الشيطان، الرشد هو درجة عالية من كمال العقل، ولذلك قال: «**واجعلنا من الراشدين**»، الرشد درجة الكمال في العقل والعلم والعمل، يكون من العالمين العاملين، هذا ما ذكره الشيخ، وهذه فائدة جميلة جدًا أن تقف عند هذه الكلمة التي وردت في القرآن: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

فيها فضيلة التأدب بالآداب الشرعية، وأنها رفعة عند الله ولو ظنها الإنسان منقصة؛ فليس النقص غير الإخلال بآداب الله لعباده، ومن فوائد إيقاع الظاهر موقع المضمر في الآية حيث قال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ولم يقل: "يرفعكم" ليدل ذلك على فضيلة الإيمان والعلم عمومًا، وأن بهما يحصل الرفعة في الدنيا والآخرة.

الشرح:

مثلما ذكرت لك قبل قليل، الشيخ ركز على دلالة القرآن لا على الألفاظ، فيقول هنا: ما قال: **"يرفعكم أنتم"** وإنما يرفع من فيه صفة الإيمان والعلم، والعلم فوق الإيمان، ولذلك قال: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، درجات فوق من عنده إيمان، العلم فوق لك بكثير، فدرجة العلماء فوق هؤلاء كلهم، يستنبط الشيخ ويستدل بالآيات.

ويدل على أن من ثمرات العلم والإيمان سرعة الانقياد لأمر الله، وأن هذه الآداب ونحوها إنما تنفع صاحبها ويحصل له الثبات إذا كانت صادرة عن العلم والإيمان، وهو أن تكون خالصة لوجه الله لا لغير ذلك من المقاصد.

الشرح:

كأنه يقول: إن هذه الآية أدب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يؤدب به عباده، أدب شرعي يؤدب به عباده، وأن الإخلال بهذا الأدب نقص في إيمانك وفي علمك، لا يخل بهذا إلا من لا يعلم أدب المجالس، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾ [المجادلة: ١١].

ولذلك ربطها قال: ﴿يَرْفَعِ اللَّه﴾ [المجادلة: ١١]، لماذا جاءت **"يرفع"** مكسورة؟ الأصل **"يرفعُ"** لماذا قال: ﴿يَرْفَعِ اللَّه﴾ [المجادلة: ١١]..؟ الله أعلم أنها مرتبطة بالشروط المتقدمة، ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ﴾ [المجادلة: ١١]، **"يفسح"** هذا جواب الشرط، ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾ [المجادلة: ١١]، الجواب: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ﴾ [المجادلة: ١١]، جواب الشرط **"إذا"**، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]، هؤلاء يرفعهم بإيمانهم.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، الذين أوتوا العلم يرفعهم أيضًا درجات فوق المؤمنين.

يقول: **(ويدل على أن من ثمرات العلم والإيمان سرعة الانقياد لأمر الله، وأن هذه الآداب)**.

الطالب: بعضهم يفهم هذه الآية على غير مرادها، ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾ [المجادلة: ١١].

الشيخ: مثل ماذا؟

الطالب: يظنون فقط النشوز من معصية المرأة، فيتبادر هذا إلى الذهن، كالتعذير مثلاً.

الشيخ: هذه إشكالية عند الكثير من الناس، يظنوا أن النشوز هنا هو نشوز المرأة ونشور الرجل، ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨]، النشور يقع من الرجل أيضًا، ما هو دائمًا في جانب المرأة، ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]، هذا النشور هو الترفع عن الطاعة.

لكن النشور أصله هو **"الارتفاع"**، أصل النشور في لغة العرب هو **"الارتفاع"**، كقوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، أي ترتفع.

وهنا: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]، فيفسح بعضكم لبعض حتى يكون المجلس يأخذ عددًا أكثر، وإذا قيل لك: ابتعد عن المجلس أو اذهب ابتعد.

الظاهر أن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، تفسير لقوله في الآية الأخرى: ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]؛ فالسماء منها مادة الأرزاق، والأرض محلها وموضعها.

الشرح:

نشوف كلام السعدي في تفسيره، في الآية هذه نبحث فيها، فيها قراءة **"تفسحوا في المجلس"** على أن المراد بالمجلس جنس المجالس، يقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم بالتفسح له في المجلس؛ فإن من الأدب أن يفسحوا له، تحصيلاً لهذا المقصود، وليس ذلك بضار للجالس شيئًا، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه.

وفي قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾ [المجادلة: ١١]، أي ارتفعوا وتنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض، ﴿فَانْشُزُوا﴾ [المجادلة: ١١]، أي بادروا بالقيام بتحصيل تلك المصلحة؛ فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به من العلم والإيمان، وفي هذه الآية فضيلة العلم وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاها. كلام جميل.

الطالب: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾ [المجادلة: ١١]، أي تنحوا عن هذه المجالس؟

الشيخ: نعم، يعني ابتعد عن المكان هذا، أو انفض أو اذهب أو نحو ذلك، قد يكون صاحب المجلس لا يريد مثلاً الجلوس عندهم.

الفائدة الأخيرة هذه كأنه يقول: هذا تفسير القرآن بالقرآن، يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ما المراد بالبركات من السماء والأرض؟

كيف نفسرها؟

قال: تفسيرها في الآية الثانية، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، بركات السماء وبركات الأرض، فالأرض من تحت أرجلهن، والسماء من فوقهم.

قال: (فالسماء منها مادة الأرزاق، والأرض محلها وموضعها) السماء تمطر، ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣]، والأرض تنبت.

الطالب: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١١، ١٢].

الشيخ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١]، معناها أن الأمطار ترجع وتعود، ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١٢]، أنها السماء تقبل الماء وتنبت.



فصل

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨].

ذم لهم من وجهين:

١. من جهة فعل الذنب.

٢. والإصرار على الذنب.

الشرح:

خطيرة هذه الصراحة، انظر ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨]، **"ما لا يرضى"** هذه عامة في كلّ شيء، الله ما يرضى عنك هذا الكلام وأن تبيته وتعزم عليه؟ فأنت الآن في معصية وإصرار على المعصية، تبييت، يعني المسألة كبيرة، انظر الشيخ كيف استنبط كلمة **"التبييت"** وقفة عجيبة.

يقول: **"من جهة أنك مذنب ومصر على الذنب"** لو أنك أذنبت ثم رجعت أهون، حتى لو عدت مرة أخرى، لو مثلاً أنت في معصية أذنبت وشعرت بأنك مذنب، واقشعر جلدك من الذنب، وحسيت أنك قلق من هذا الذنب أهون، لكن أن تصر عليه؟!!

ولذلك سبحان الله العظيم تجد بعضهم يذنب ويصر على الذنب، ويقول: أنا ما أذنبت، والتبييت فيه نوع عزم على أنه ما يفتر عنه إي نعم.

وثم وجه ثلث من الذم وهو: أن الله ذمهم على المكر؛ لأن التثبيت هو التدبير ليلاً على وجه الخديعة للحق وأهله من كلامهم وقولهم بما يبغضه الله.

الشرح:

استنبط الشيخ دلالة الآية وما تضمنته، تضمنت أنهم يمكرون وهذا ذمه الله.

ولا يرضاه من الأقوال المحرمة، ومن الإصرار على ذلك؛ فقولهم إثم وظلم، وبياتهم على ذلك وإصرارهم عليه إثم آخر، وهذا أبلغ من أن لو قال: "وهو معهم إذ يقولون ما لا يرضى من القول" فعلى العبد التوبة من الله من فعل الذنوب والإصرار عليها.

فكما أن فعلها معصية؛ فالاستمرار عليها ونية فعلها متى سنحت له الفرصة معصية أخرى، وعلى العبد أن يثبت ما يرضي الله تعالى من الأقوال والأفعال، فيفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل الخير الذي لم يحضر وقته، والذي لا يقدر عليه، وبذلك يتحقق للعبد أن يكون ممن اتبع رضوان الله فيدخل في هذه المعاملة المذكورة في قوله: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

وتحصل له الهداية في أموره كلها، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

الشرح:

استنباط الشيخ الأخير جميل جدًا وهو دلالة المفهوم، أنك إذا بيت ما لا يُرضي الله، وبيته وعزمت عليه وفعلته فلتبيت ما فيه رضا الله، إذا قلت: والله غدًا إن شاء الله عازم على أن أصل إلى هذا الفقير وأخدمه وأقدم له ما يحتاج، وعازم أن أزور هذا البيت الذي يحتاج كذا، أو عازم على أن أفعل كذا وكذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو عازم على أن أراجع الحفظ بمقدار كذا وكذا، يعني يعزم على أي عمل صالح، أو بضعهم يبيت في الليل أنه سيقوم آخر الليل ليصلي، فيبيت نيته وضع المنبهات على أنه سيقوم آخر الليل ليصلي فهذا مات على رضا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيكتب له حتى إذا بيت.

وحتى في الحديث يقول: «**لا صيام لمن لم يبيت النية من الليل**»، في صيام الفرض، فدل على أن التبييت له أثر.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]، في هذه الآية فائدة عظيمة، وهي أن العبد عليه أن يعتمد على الله، ويرجو فضله وإحسانه، ويعمل ما أبيح له من الأسباب؛ وأنه إذا انغلق عليه باب وسبب من الأسباب التي قدرها الله لرزقه؛ فلا يتشوش لذلك ولا ييأس من فضل الله، ويعلم أن جميع السباب مستندة إلى مسببها، فيرجو الذي أغلق عليه هذا الباب أن يفتح له بابًا من أبواب الرزق أوسع وأحسن من الباب الأول.

وهذه العبودية من أفضل عبوديات القلب، وبها يحصل التوكل والكفاية والراحة الطمأنينة، فهذه المرأة المتصلة بزوج يتفق عليها ويقوم على بمؤنتها، فإذا حصل لها فرقة منه، وتوهمت انقطاع النفقة والكفاية؛ فلتلجأ إلى فضل الله ووعده بأنه سيغنيها، وقال: ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾ [النساء: ١٣٠].

ولم يقل: "يغنها" مع أن السياق يدل عليه؛ لئلا يتوهم اختصاصهم بهذا الوعد، وإنما الوعد لها وله، فالله أوسع وأكثر، ولكن هباته وعاطاياه تبع لحكمته، ومن الحكمة أن من انقطع رجاؤه من المخلوقين، ومن كلّ سبب، واتصل أمله بربه، ووثق بوعده ورجا بره؛ فإن الله يغنيه ويقنيه، والله الموفق لمن صلح باطنه، وحسنت نيته فيما عند ربه.

الشرح:

استنباط جميل جدًا وفيه فائدة عظيمة، أن العبد يعتمد على الله، لا يعتمد على فلان ولا فلان، بعض الناس يعني يكون معتمدًا على عمل، على وظيفة، على شخص، على كذا، على أي شيء، حتى بعض النساء مثلما ذكر هنا، بعض النساء تعتمد على نفقة زوجها وأنه إذا طلقها ستضيع وتهلك، فتكون في حيرة من أمرها، فالله فتح لها باب، إذا فارقت المرأة زوجها أو فارقها زوجها؛ فإن الله سيغنيها من فضله، ثم انظر يقول: ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾[النساء: ١٣٠].

حتى لا يظن ظان أن المرأة إذا فارقت أن الله يغنيها فقط؛ بل يغني الرجل أيضًا، فعمم الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى، ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[النساء: ١٣٠].

انظر إلى ختام الآية، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]، لماذا واسعًا حكيمًا ما قال: واسعًا؟ دائمًا الاسم الواسع يربط بغيره ما يأتي مجردًا، والغني أيضًا يربط بغيره، والعزيز الحكيم، والكثير، لو قال:

"العزيز" فهو يبطش ويقتل ويفعل وكذا، فهو عزيز ذو قوة وذو منعة، فلما قول: **"عزيز حكيم"** أي يوقع ما يوقعه بحكمة، لما قول: **"غني حميد"** تجد من البشر من هو غني لكن ما يستفاد منه، لا هو استفاد من غناه، ولا غيره استفاد منه، فهو غني لكن بخيل ما يستفاد منه.

لكن الله **"غني حميد"** أي محمود، الحميد معناه **"الذي يحمده الخلق على عطاياه وعلى فضله، وجزائه"**.

وهنا قال: ﴿وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]، وفي آيات أخرى قال: ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، سعته على حكمة، قد تجد بعض الناس ما يغنيه الله؛ لأن الله من حكمته أن يعلم ومن علمه السابق أنه لا يصلح له هذا العطاء، فيمنعه فيحجب عنه العطاء، فسعته وعطاياه مربوطة بحكمة، فختم الآية جميل جدًا، وأيضًا وقفة الشيخ جميلة جدًا.

لعلنا نقف عند هذه الآية وإن شاء الله اللقاء القادم هو المجلس العاشر من هذه المجالس الطيبة المباركة.

والحمد لله رب العالمين، وأسأل الله التوفيق والسداد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد.....

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم يوم الاثنين الموافق للثالث من شهر ربيع الآخر من عام ١٤٤٣، والكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لمؤلفه العلامة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى، هذا المجلس هو المجلس العاشر من مجالس هذا الدرس نبدأ على بركة الله.

فصل

ينبغي لمن طمحت نفسه لما لا قدرة له عليه أو على غير ممكن في حقه، وحزنت لعدم حصوله أن يسليها بما انعم اله لبه عليه، مما حصل له من الخير الإلهي الذي لم يحصل لغيره، ولهذا لما طمحت نفس موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى رؤية الله تعالى وطلب ذلك من الله؛ فأعلمه الله أن ذلك غير حاصل له في الدنيا وغير ممكن سلاه بما آتاه فقال: ﴿يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وكذلك نبه الله رسوله وعباده المؤمنين على هذا المعنى بقوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

فإن النظر إلى هذه الحالة وهو كف أيديهم عن المؤمنين ومسالمتهم بالنسبة إلى الحالة الأخرى، وهي أن لو شاء الله لسلطهم على المؤمنين فقاتلوهم مما يهون بها الأمر، فهم وإن لم يكونوا معاونين للمؤمنين ؛ فكذلك لم يكونوا معاونين عليهم أعداءهم، ومما يشبه هذا أن العبد مأمور أن ينظر إلى من دونه في المال والجاه والعاقبة ونحوها؛ لا إلى من فوقه؛ فإنه أجدر أن لا يزدري نعمة الله عليه، وكذلك إذا ابتلى ببلية فليحمد الله أن لم تكن أعظم من ذلك، وليشكر الله أن كانت في بدنه أو ماله لا في دينه، وصاحب هذه الحال مطمئن القلب، مستريح النفس، صبور شكور.

الشرح:

المعنى واضح، هو في مسألة أن الإنسان إذا صُرف عن شيء فصرفه خير له، والأمر خير، وهو يسلي نفسه بأي شيء بما هو عنده من الخير، يتذكر ما عنده من الخير، فإذا كانت تطمح نفسك إلى شيء أكبر وفات هذا الشيء فلا تحزن، وسل نفسك بما أنعم الله عليك من أشياء أخرى، فهذا تدريب النفس وتعويدها على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إذا منعك من شيء هذا المنع قد يكون خير لك.

وتذكر أن الله قد أعطاك أشياء أخرى خير لك من هذا الشيء، فهذه كأنها قاعدة في شكر النعمة، ومعرفة قدر الله عليك، أو عظمة الله عليك يوم أنعم عليك بغيرها، وتعوديك على شكر النعم؛ بحيث لو فُتح لك المجال أكثر وأكثر قد تشغلك وتلهيك، وقد تنسى شكر الله عليك على هذه النعمة.

لكن لما توقفك الأقدار عن هذا الحد؛ فإن الله يصرف عنك شيء كنت تتمنى الوصول إليه ومُنعت من هذا الشيء لحكمة بالغة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتذكر أن الله قد أعطاك أشياء أخرى كبيرة.

وهذا كثير سبحان الله العظيم يحصل في المصائب أن الإنسان يفوته الشيء ويتمنى أن يحصل، لم يكن بينك وبينه إلا شيء قليل حتى تحصل عليه؛ ثم لم تتمكن من الحصول عليه، فلعل الأمر خير، وتذكر أن الله أعطاك أشياء أخرى هذا أعظم من هذا.

وهذا مثلما ذكر الله عن قصة موسى، لما كان يطمح بشيء ولم يحصل له ذكره الله بأشياء أخرى، يعني أنت عندك خير كثر أنعم الله عليك فيه، اصطفيتك على الناس كلهم في زمانه، ﴿يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الأعراف: ١٤٤]، تعويد للنفس.

الإتيان بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ [النور: ٢٧]، أحسن من قوله: "تستأذنوا" لأن "تستأنسوا" تتضمن الاستئذان وزيادة التعليل، وأن الحكمة التي شرع الله الاستئذان لأجلها هي: حصول الاستئناس من عدم الوحشة، ويدل ذلك أيضًا على أنه يحصل الإذن والاستئذان بكل ما يدل عليه عادة وعرفًا؛ لكن قد يقال: إن الاستئذان أيضًا يدخل فيه الاستئذان اللفظي والعرفي، والله أعلم.

الشرح:

هذه مرت معنا أن التعبير بـ **"الاستئناس"** يدخل فيه الاستئذان وزيادة، وهو إزالة الوحشة، وإدخال الأنس على صاحب البيت الذي يُستأذن في الدخول، وإدخال الأنس على المستأذن لما يكون بينهما تواصل، فالتعبير هنا بقوله: ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ [النور: ٢٧]، أقوى من أن نقول: **"حتى تستأذنوا"**.

وتفاسير السلف لا تتعارض، الذين فسروا من تفاسير كابن عباس وغيره قال: ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ [النور: ٢٧]، أي تستأذنوا، نقول:هذا التفسير بمعنى الآية، بمعناها بشكل عام؛ لأن الاستئناس و طلب الإذن لكن بطريقة فيها إزالة الوحشة.

الإتيان باللفظ العام في قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

مع أنها نزلت في شأن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين تألى أن لا ينفق على مسطح.

الشرح:

تألى يعني: "حلف"، الإيلاء "حلف".

فإن قال قائل:

ما الفرق بين الإيلاء والحلف؟

نقول: الإيلاء حلق عن الامتناع، ومنه الحلف على امتاع قربان الزوجة، ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، أي يمتنعون من اقترابهم وغشيانهم، فالتعبير هنا قال: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ [النور: ٢٢]، ما قال: **"ولا يحلف"** لأنه منع النفقة.

حين شايع أهل الإفك، مما يحقق أن القرآن العظيم نزل هداية عامة، وأنه يتناول من لم ينزل عليهم من الأمة، ومن نزلت وهم موجودون، ومن كان له سبب بنزولها وغيره، وهكذا يقال في جميع الآيات التي نزلت في قضايا جزئية خاصة ولفظها يتناول القضايا الكلية العامة، وبهذا ونحوه تعرف أن معرفة أسباب نزول الآيات وإن كان نافعًا فغيره أنفع وأهم منه؛ فتدبر الألفاظ العامة والخاصة، والتأمل في سياق الكلام، والاهتمام بمعرفة مراد الله بكلامه وتنزيله على الأمور كلها وهو الأمر الأهم، وهو المقصود وهو الذي تعب الله العبادات به، وهو الذي يحصل به العلم والإيمان.

ومما يدل على أن معرفة أسباب النزول ليس كمعرفة معنى ما أراد الله بكلامه أنه لا يتوقف معرفة معاني القرآن على معرفتها، ولذلك تجد المفسرين يذكرون في أبسباب النزول أقوالًا كثيرة مختلفة، لا يهتدي الإنسان إلى معرفة الصحيح منها في الغالب.

وكذلك المعتنين بها تضعف معرفتهم بتفسير القرآن كما ينبغي، ولست أقول: إن الاعتناء بأسباب النزول ليس بنافع؛ بل هو نافع، وقد يتوقف فهم كمال المعنى عليه.

وإنما قولي: إن الاعتناء بتدبير الألفاظ والمقاصد هو الأهم، ومع ذلك؛ فإن عرض للإنسان سبب نزول بعض الآيات ببعض الواقعات فلا يذهب وهمه إليه وحده؛ بل يكون مرجعه إلى هذا الأصيل الكبير، فيعرف أن القضية الجزئية التي نزلت الآية فيها، فيها بعض المعنى وفرد من أفراده؛ فالمعنى قاعدة كلية يدخل فيها أفراد كثيرة، ومن جملة تلك الأفراد تلك الصورة، والله المستعان في جمع الأمور، المرجو لتسهيل كلّ صعب، والإعانة على كلّ شديد.

الشرح:

يعني الآن عندنا كأن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يشير إلى قاعدة تفسيرية وهي: **"العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"** وأن الآيات إذا نزلت بأساليب العموم وصيغة العموم؛ فإنها يُراد بها العموم للأمة كلها، وهذا كثير في أسباب النزول.

والشيخ رَحِمَهُ اللهُ أشار إلى أن هذه قاعدة معروفة في تعميم الأحكام على الأمة كلها، لكن يقول: لابد أن نبحث عن أسباب النزول، فإذا تركنا أسباب النزول بعدنا عن فهم الآية، فأنت إذا جئت إلى هذه الآية وقرأت في سبب النزول يتضح لك الأمر، وغيرها من الآيات التي يغمض معناها ويتضح بسبب النزول، وهذا في آيات كثيرة.

مثل: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، ما هو النسيء الزيادة في الكفر؟ ما أحد يعرف، حتى إذا قرأ سبب النزول انكشف له الأمر، وهكذا.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور: ١١]،ما هو الإفك؟ لو قرأت أسباب النزول عرفت ما هو الإفك وهكذا.

يقول: لا نهمل أسباب النزول؛ بل نبحث فهو دائمًا يعين على فهم الآية كما قال شيخ الإسلام **"ابن تيمية"** قال: **"العلم بالسبب يعين على معرفة المسبب"**، معرفة السبب تعين على معرفة المسبب، يعني معرفة السبب تعينك على معرفة الآية ودلالات الآية.

ومع ذلك يعمم الآيات والقضايا التي تضمنتها هذه الآية يعممها لجميع الأمة، ولذلك الآيات واضحة جدًا تأتي بأسلوب العموم، ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ [المجادلة: ٣].

مع أنها نزلت في أوس بن الصامت ما جاء قال: **"والذي ظاهر"** مع أنه واحد؛ ولكن قال: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ [المجادلة: ٣]، حتى تكون عامة لكل شخص، هذه فائدة جميلة.

ما يجري على الأخيار يحصل لهم فيه النفع خصوصًا ولغيرهم عمومًا، وهذا من بركة الله لهم وبركته فيهم، ومن نصحهم للخلق؛ ولهذا لما رأى سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عرش ملكة سبأ مستقرًا عنده قد أحضر في أسرع وقت قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

ألا ترى كيف اعترف بفضل الله؟! وشكر الله على ذلك، وأقر لله تعالى بالحكمة، وأخبر عن كرم الله وسعة غناه، وكان في ضمن كلامه هذا الحض للعباد على هذه الأمور؛ ولهذا أتى باللفظ العام "ومن شكر، ومن كفر" .

وإذا تأملت جميع القضايا التي تجري على الأنبياء وأتباعهم وورثهم وجدتها بهذه الحالة ينتفعون بها، وينفع الله بها الخلق بسببهم.

فنسأل الله تعالى أن يبارك لنا فيما أعطانا من نعيم الدين والدنيا؛ فإن بركة الله لا نهاية لها، وجوده لا حد له، والقليل إذا بارك الله فيه صار كثيرًا، ولا قليل في نعم ربنا، فله الحمد والشرك بجميع أنواعهما حمدًا على ما له من الأنواع الكمالات، وشكرًا على ما أسدى إلى الخلق من الإفضالات والهبات، بالقلب واللسان، والجوارح، كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

الشرح:

وقف عند قصة سليمان؛ لأن سليمان سبحان الله العظيم ما أنعم الله عليه من نعم عظيمة أراد أن يعمم، وأراد يكون قدوة لغيره، وأن الناس يستنون بسنته، لذلك قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠]، لما وقف بهذا الموقف الجميل أسند الأمر إلى الله، قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ [النمل: ٤٠].

ثم أتى بأسلوب العموم، بصيغة العموم الشرطية، قال: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

يقول: أنا أشكر وأعترف بفضل الله علي، وأعترف بتقصيري وفضل الله علي العظيم، كأنه يشير إلى الناس يقول: افعلوا هذا الشيء، كأن يقول: هذه رسالة إلى أهل الفضل والنعم أن يشكروا الله جَلَّ وَعَلَا وأن يعترفوا بتقصيرهم في حق الشكر، ونعم الله العظيمة عليهم؛ بحيث من سمع منهم هذا الشيء اقتدى به، واستن بسنته، هذا الذي أراده المؤلف.

إبطال قول الخصم قد يكون بإبطال الدليل الذي استدل به، أو بإبطال دلالته على مطلوبه، وقد يكون بإبطال نفس المقالة التي ينصرها وإفسادها، وقد يكون بإثبات نقيض ما قاله الخصم قولًا ودليلاً؛ لأن النقيض للشيء متى صح أحدهما بطل الآخر.

الشرح:

ما هي الثلاثة هذه؟

أولًا: **(إبطال قول الخصم قد يكون بإبطال الدليل الذي استدل به)** إذا جاءني خصم يناقشني إذا أردن أن نبطل قوله أبطلنا دليله، فإذا سقط الدليل سقط قوله.

ثانيًا: **(أو بإبطال دلالته على مطلوبه)** إذا لم نبطل الدليل نبطل دلالة الدليل، فنقول: هذا الدليل ما علينا منه، الدلالة ليست في مكانها؛ بل هي بعيده.

ثالثًا: **(وقد يكون بإبطال نفس المقالة التي ينصرها وإفسادها)** يعني إبطال المقالة التي أتى بها، فنقول: أصلاً كلامك هذا باطل لا يصح.

رابعًا: **(وقد يكون بإثبات نقيض ما قاله الخصم)** فإذا قال شيئًا نثبت نقيضه، فنقول: هذا كلام ينقضه هذا الشيء ويبطله، أصبحت أربعة أمور.

الآن الشيخ أعطانا هذا الشيء يعني في المجادلة والمحاجة لبعض الناس، طريقة الجدل والمحاورة والمحاجة، كيف تحاج؟ بأن نبطل دليله، هذا أسلوب استخدمه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه القصة.

وقد اجتمعت هذه الأمور في قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ محتجًا على صحة التوحيد وإبطال الشرك.

﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

فأبطل الشرك وصور قبحه عقلاً ونقلاً، وأن ما يُدعى من دون الله آلهة متفرقة، كلّ فريق يزعم صحة قوله وإبطال الآخر، والحال أنه لا فرق بينهما وأن المشرك فيه شركاء متشاكسون، وأن هذه المعبودات من دون الله ليس فيها شيء من دون خصائص الإلهية، فليس فيها كمال يوجب أن تُعبد لأجله، ولا فعال بحيث تنفع وتضر فتُخاف وتُرجى؛ إنما هي أسماء لا حقائق لها، ومع ذلك ما أنزل الله بها من سلطان على عبادتها.

فليس في جميع الحجج الصحيحة ما يدل على صحة عبادتها؛ بل اتفقت الحجج والبراهين كلها على إبطالها وفسادها، وعلى إثبات العبادة الخالصة لله الواحد الذي انفرد بالوحدانية، والكمال المطلق من جميع الوجوه؛ الذي ليس له شبيه ولا نظير ولا مقارب، وهو القهار لكل شيء، فكل شيئًا تحت قهر الله، وناصيته بيد الله، فالواحد القهار هو الذي يستحق الحب والخضوع والانكسار لعظمته والذل لكبريائه.

الشرح:

الآن أتى بهذه الآية على إبطال دليل الخصم، قد يكون بإبطال دليل استدل به، وهو أن هذه المعبودات لا تنفع ولا تضر، أو إبطال دلالتها، أصلاً ما عندهم دليل لما يبعدوا هذه الأصنام، ﴿أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ [الأعراف: ٧١].

ثم قال: (أو بإبطال دلالته على مطلوبه) يعني حتى دلالة الدليل في عبادة غير الله، قال:(وقد يكون بإبطال نفس المقالة التي ينصرها وإفسادها) لكن الشيخ ما وضح كيفية إنزال هذه الوجوه التي أبطل بها دليل الخصم على هذه الآية، كأنه يقول: هذا الشركاء متشاكسون، ومعبودات من دون الله ليس فيها شيء من خصائص الله، هذا كله إبطال للدليل.

وقد يكون بإثبات نقض ما قاله الخصم، فهنا لما أثبتوا أو ادعوا عبادة من دون الله أثبتنا لهم من يستحق العبادة، من هو الذي يستحق العبادة؟ هو الله، لماذا؟ قال: ﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

لاحظ أن الشيخ وقف عند الآية الأولى ولم يتحدث عن الثانية، الثانية هي التي فيها إبطال، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

فهذه محاورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله، وإبطال كلّ ما تمسكوا به بهذه الصور، وهذه الوجوه، هذا الذي يقصده الشيخ.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، هذه الآية جمعت كلّ علم صحيح، وذلك أن العلم إما مسائل نافعة وإما دلائل مصيبة، فأنفع المسائل المشتملة على الحق وهو الصدق والعدل والقسط ولاستقامة ظاهرًا وباطنًا، أهدى الدلائل وأرشدها ما هدى السبيل الموصل إلى المطالب العالية، والمراتب السامية، فالكتاب والسنة كفيلان بهذين الأمرين على أكمل الوجوه وأتمها وأبينها، وما سوى ذلك فهو باطل وضلال، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

وما بعد الهداية إلى السبيل المستقيم إلا الهداية إلى سبل الجحيم، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

الشرح:

يعني هذه من جوامع الكلم، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، يقول: آية جامعة، جمعت كلّ علم صحيح، (وذلك أن العلم إما مسائل نافعة، وإما دلائل مصيبة) مسائل تنفع أو دلائل تصيب، كأنه يشير إلى أن هذه الآيات فيها من جوامع الكلم أن الله لا يقول إلا الحق، وما سواه باطل، وكلّ من قال مخالفًا لقول الله فهو باطل ساقط، ﴿وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، لأن قول الله الحق هو الذي يهدي إلى طريق النجاة والسلامة، وقوله يهدي إلى السبيل، لكن ليس إلى سبيل النجاة، وإنما إلى سبيل الهلاك، هذا الذي قصد الشيخ.

هذه مسألة جديدة لعلنا نقف عليها وهي مسألة الهداية، هذه مسألة عقدية، يقول: كيف يقول الله لا يهدي الظالمين، ولا يهدي الفاسقين، ولا يهدي الكافرين ونجد من هو ظالم يهتدي، ومن هو فاسق يهتدي، كيف أن الله يخبر أنه لا يهدي ثم نجد أنهم مهتدون؟ سيذكر الشيخ، المقصود من ذلك أن الله لا يهدي الكافر ما دام في كفره، أما إذا ترك الكفر ورجع؛ فإن الله يهديه.

نقف عند هذا الموضع في صفحة ٤١ ونكمل إن شاء الله في اللقاء القادم بإذن الله.

جزاكم الله خير، وبارك الله فيكم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛...

اللّٰهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

هذا اليوم هو يوم الاثنين الموافق للعاشر من شهر ربيع الآخر من عام ١٤٤٣ والكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لفضيلة الشيخ العلامة عبد ا لرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

هذا المجلس هو المجلس الحادي عشر من مجالس هذا الكتاب من القراءة والتعليق عليه، فلنواصل الحديث.

إن قلت: إن الله أخبر في غير موضع أنه لا يهدي القوم الظالمين، ولا يهدي القوم الفاسقين، والقوم الكافرين، والمجرمين، ونحوهم، والواقع أنه هدى كثيرًا من الظالمين، والفاسقين، والقوم الكافرين، والمجرمين، مع أن قوله صدق وحق لا يخالفه الواقع أبدًا؟!

فالجواب: أن الذي أخبر أنه لا يهديهم هم الذين حقت عليهم الشقوة وكلمة العذاب؛ فإنها إذا حقت وتحققت، وثبتت ووجبت؛ فإن هذا لا يتغير ولا يتبدل، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٦]، **﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [يونس: ٣٣]، **﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾** [يونس: ٩٦، ٩٧].

وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى، وهؤلاء هم الذين اقتضت حكمة الله تعالى أنه لا يهديهم لكونهم لا يصلحون للهداية، ولا تليق بهم، فلو علم فيهم خيرًا لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون، وهم الذين مروا على أسباب الشقاء ورضوها واختاروها على الهدى، وأما من سبقت لهم من الله الحسنى؛ فإن الله تعالى يهديهم ولو جرى منهم ما جرى؛ فإنه تعالى هدى كثيرًا من أئمة الكفر والمحاربين له ولرسوله وكتبه فصاروا من المهتدين، والله عليم حكيم.

فالذين أخبر عنهم أنه لا يهديهم هم الذين حقت عليهم الشقوة، والذين هداهم هم الذين سبقت لهم منه الحسنى؛ فصار النفي واقعًا على شيء، ووقوع الهداية واقعًا على شيئًا آخر؛ فلم يحصل تناقض ولله الحمد.

الشرح:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله.

الشيخ ربط هذه المسألة بالمسألة السابقة، المسألة السابقة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، فيقول: كيف يهدي الصراط المستقيم، ويهدي إلى سبيله وطريقه ونجد أناس لا يهديهم وصرح القرآن أنه لا يهديهم، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨]..؟

كأنه يقول: هذه الآية كأنها متناقضة مع آية أخرى، وهذا ما نسميه **"بما يوهم التعارض"** وليس تعارضًا ولا تناقضًا، القرآن ليس فيه تعارض ولا تناقض، لكن قد يوهم عند المستمع أو القارئ لأول وهلة أو الناظر في القرآن لأول وهلة أن ذلك يوهم التعارض والتصادم؛ لكن الحقيقة ما في.

ولذلك الشيخ وجه هذا قال: كيف نجمع بين الأمرين يهدي ولا يهدي؟

قال: الذين قال الله فيهم: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨]، هم الذين حقت عليهم الشقاوة، فهؤلاء لا تملك لهم شيء، ما تملك لهم هداية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُ﴾ [البقرة: ٦].

هذا يسميه علماء الأصول: **"العام المخصوص"** يعني هو في ظاهره عام، ولكنه مخصوص في شيء معين، فقوله مثلاً: ﴿لَا يَهْدِى الْقَوْمَ﴾ [المائدة: ١٠٨]، **"القوم"** هذه الألف واللام للاستغراق شاملة للجنس، فالقوم الفاسقين الذين اتصفوا بالفسق لا يهديهم.

يقول: **"من كُتبت عليه الشقاوة؛ فإنه لا يهتدي أبدًا، ومن كُتبت عليه الهداية؛ فإنه يهتدي"** هذا جيد من كلام الشيخ أنه جمع بين الأمرين، لكن في كلام هنا قال: (وأما من سبقت لهم من الله الحسنى؛ فإن الله تعالى يهديهم ولو جرى منهم ما جرى؛ فإنه تعالى هدى كثيرًا من أئمة الكفر والمحاربين).

يظهر والله أعلم أن الذين فسقوا وأجرموا وظلموا ينقسمون قسمين:

الأول: قسمٌ وقعوا في هذه الجرائم ولكن الله كتب لهم السعادة، فهؤلاء إذا سلكوا طريق الهداية؛ فإن الله يوفقهم ويهديهم، نجد الآن في الواقع الكثير ممن كانوا على فسق على ضلال نجد أنهم أصحبوا أئمة في الإسلام، صار لهم ما لهم من التأثير وصاروا دعاة إلى الله، وهم كانوا على فسق وضلال، فهؤلاء سبق في علم الله أنهم يهتدون فهداهم الله لما تسببوا في الهداية، يعني بحثوا عن طريق الهداية؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الثاني: وأما الذين بقوا في ضلالهم وشقائهم هؤلاء هم الذين لم يرد الله بهم خيرًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، يعني ما في هداية، هذا الذي أراد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كأنه جمع بهذا الوجه، فجعل الفاسقين والمجرمين على نوعين.

سعي الإنسان في دفع أسباب التهمة السيئة عن نفسه والعار والفضيحة ليس بعار؛ بل ذلك من سيما الأخيار، ولهذا لم يُجب يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ الداعي حي دعاه إلى الخروج من السجن، والحضور عند الملك؛ حتى يتحقق الناس براءة ما قيل فيه، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠].

الشرح:

ماذا يقصد الشيخ بقوله هنا؟

يقصد: أنك إذا دفعت التهمة عن نفسك هذا ليس بعار، يعني ليس بأمر مذموم، إذا كنت متهمًا بجريمة من الجرائم، ثم أردت أن تدفع عنك هذه الجريمة، يأتيك بعض الناس ويقول: لا تفضح نفسك، الله ساتر عليك تروح تقول: أنا كذا، بالعكس هذه تبرئة لي، إزالة لهذا الشيء، لو سكت قد تتسرب المعلومات إلى أشخاص وأنا ساكت فيظن في أنه فعلاً هذا الشيء، لكن لما أنا أُبعد هذه التهمة عن ساحتي، وحتى لو أعلنت أمام الناس؛ بالعكس أقف أمام الناس وأُعلن براءتي ويسمعني من يسمع، والقريب سيبلغ البعيد، هذا مقصد الشيخ.

قال: (سعي الإنسان) انظر قال: (سعي)، يسعى في دفع أسباب التهمة التي وقعت عليه، وهو بريء منها، ليس بعار أن أتهم بفاحشة نسأل الله العافية أو نتهم بشيء من ذلك أنني أدفع هذا الشيء عني حتى تبرأ ساحتي من هذا الشيء، وذكر هذا المثال، مثال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما جاءه الداعي، لو غير يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لقال: خلاص أطلع، ما دام أخرجوني أخرج، ولكن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: **"لا ما أخرج"** أولًا ﴿ا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]، شوفوهم أولًا خلوهم يعترفون، وإذا اعترفوا وعرفوا أنني بريء، وأنني لم أقع في شيء من هذا الأمر بعد هذا الأمر ممكن أطلع، وهذه عزة من الله عَزَّ وَجَلَّ.

لما كان التوكل به حياة الأعمال والأقوال وجميع الأحوال، وبه كمالها قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فأمر بالتوكل والاعتماد على الحي كامل الحياة؛ فإذا حقق العبد التوكل على الحي الذي لا يموت أحيا الله له أموره كلها، وكملها وأتمها، وهذا من المناسبات الحسنة التي ينتفع العبد باستحضارها وثبوتها في قلبه، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا توكلاً يحيي به قلوبنا وأقوالنا وأفعالنا وديننا ودنيانا، ولا يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى غيره طرفة عين ولا أقل من ذلك إنه جواد كريم.

الشرح:

لو أن المحقق مثلاً حقق الكتاب، في نسخة محققة حققها أظن أحد الأستاذة في الجامعة..، في نسخة محققة، لو أن المحقق وضع على الجوانب عناوين صغيرة؛ حتى نفهم كلّ مسألة.

مثلاً المسألة الأولى **"ما يوهم التعارض بين أن الله لا يهدي ويهدي"** والمسألة الثانية **"سعي الإنسان لدفع التهمة ليس بعار وليس بنقص"**، المسألة الثالثة هذه **"المناسبة بين التوكل على هذا الاسم وهو الحي"** لماذا قال: **"وتوكل على الحي"** وما قال: **"وتوكل على العزيز"** ؟ وفي آيات أخرى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝٢١٧ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٧، ٢١٨].

لكن هنا في مناسبة : الرابط بين التوكل وبين الحياة، الحي؛ قال: **(لأنك إذا توكلت على الحي أحياك)** يعني هنا المناسبة بين **"تفويض الأمر"** أن تفوض أمرك إلى الله الذي هو حي فيحييك، وهذه مناسبة كثيرة جدًا في القرآن في الرابط بين أسماء الله الحسنى وما يسبقها أو يعقبها، فتجد في رباط.

مثل اسم الله اللطيف الخبير، لما قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، لا تدركه الأبصار لماذا؟ قال: لأنه لطيف خفي فلا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار؛ لأنه خبير، صار في رابط.

ومثل لما يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، فيعلم من خلق لأنه لطيف خبير هو، واللطيف اسم يتضمن الخفاء والدقة في إيصال الشيء، يعني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد يلطف بالإنسان فيسوق له الرزق، ولذلك قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾، ثم قال: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، يمكن الشيخ يأتي بهذه المسألة، فهذه فيها لفتة جميلة، الله لطيف

بعباده؛ فإذا كان لطيف بعباده؛ فإنه يسوق الرزق لهم، ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، لمناسبة القوة مع الرزق، القوة والعزة مع سياق الرزق والتكفل برزق العباد، في لفتات جميلة تقف عندها تدبرها، خاصة في الأسماء، في الأسماء كثيرة جدًا.

مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، كلمة **"يغنهم من فضله"** يناسبها **"الواسع"**.

طيب لو جاء واحد وقال: والله هذا الرجل تزوج وأنكح وما أغناه الله، بالعكس تراكمت الديون عليه، فكيف تقول الله يغنيهم؟

نقول: انظر الله قال: **"واسع"** وقال: **"عليم"** فهو يوسع بعلم، ما يوسع هكذا، فهذا الذي تراكمت عليه الديون ناسبه أن الله لا يوسع عليه؛ لأن الله عالم بحاله؛ لأن كلمة **"عليم"** هذه لها مقام، فالله قد يجعل الفقير فقيرًا لحكمة، بقاؤه فقير لحكمة؛ لأن الفقر أنفع له، وهذا أعطاه الله الغنى وأغناه لحكمة؛ لأن الغنى ينفع له.

كلمة ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، ما قال: **"واسع"** لو قال: **"واسع"** لقلنا: الذي يتزوج يعطيه الله؛ لأن الله تكفل قال: **"واسع"**، لكن لما قال: ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، رددنا هذه الشبهة التي قد يقولها شخص: فقير وتزوج ولا وجدنا الغنى، فمثل هذه التدبرات جميلة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

اشتملت على فوائد عديدة:

الأولى والثانية: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله تعالى عليٌّ على خلقه، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]، فإنه نزل به جبريل من الله العزيز العليم، فكونه نازلًا من عند الله يدل على علو الله، وكونه أيضًا من عنده يدل على أنه كلام الله؛ فإن الكلام صفة للمتكلم ونعت من نعوته.

الثالثة: عظمة القرآن، ورفعه قدره وعلو شأنه؛ حيث أخبر تعالى في هذه الآية بما أخبر، أنه الذي تولى إنزاله وحفظه، ولم يكل ذلك إلى أحد من خلقه.

الرابعة: أن القرآن مشتمل على كلّ ما يحتاج العباد إليه من أمور الدنيا، وأمور الدين، ومن الأحوال الظاهرة والباطنة؛ فإن معنى الذكر أنه متضمن لتذكير العباد وتنبيههم لكل ما يحتاجون إليه، وتتعلق به منافعهم ومصالحهم، والأمر كذلك؛ فإنه مشتمل على أمور الدين والدنيا ومصالحهما، على أكمل وجه وأشمله؛ بحيث لو تذكر الخلق بتذكيره، ومشوا على إرشاد لاستقامت لهم جمع الأمور، ولاندفعت عنهم الشرور؛ ولهذا أكثر الله في القرآن من حث العباد على الاهتداء به في كلّ شيء، والتفكر والتدبر لمعانيه النافعة ويترتب على هذا المعنى:

الفائدة الخامسة: وهي أن من قام بالقرآن وتذكر به كان رفعة له، وشرفًا وفخرًا، وحسن ذكر وثناء، وبهذا أول قول تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي: شرف ورفعة لمن تذكر به واستقام عليه.

السادسة: أن التذكر بغيره غير مفيد ولا مجد على صاحبه نفعًا؛ لأنه إذا ثبت وتقرر أنه مادة التكثير لجميع المنافع عُلم أن ما نقصه وخالفه فهو بضد هذا الوصف؛ ولهذا أتى بالألف واللام المفيدة للاستغراق والعموم.

السابعة: أنه أتى بما يوافق العقل الصحيح والفطر المستقيمة، فليس فيه شيء مخالف ولا مناقض للمحسوس، ولا معاكس للقياس الصحيح، ولا مضاد للعدل والقسط والميزان والحق؛ لأن الله سماه ذكرًا والذكر هو الذي يُذكر العباد ما تقرر من فطرهم السليمة وعقولهم الصحيحة من الحق والحث على الخير والنهي عن الشر؛ فهو مذكر لهم ما عرفوه مجملاً، ولم يهتدوا إلى كثير من تفاصيله، فبه تزداد

العقول، وتتفتق الأذهان، وتزكو الفطر، ولشيخ الإسلام "ابن تيمية" رَحِمَهُ اللهُ في هذا المعنى كتاب (موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح).

الثامنة والتاسعة: أن الله تكفل بحفظه حال إنزاله، ف يمكن أن يقربه شيطان فيغيره ويزيد فيه وينقص، أو يختلط بغيره؛ بل نزل به القوي الأمين جبريل على قلب الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القلب الزكي الذكي؛ الذي هو أكمل قلوب الخلق على الإطلاق، وضمن الله لرسوله قرآنه وبيانه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٨، ١٩].

وتكفل الله أيضًا بحفظه بعدما نزل وتقرر، فأكمله الله تعالى، وأكمل به على عباده النعمة، واستحفظه لهذه الأمة على اختلاف طبقات علمائها وأئمتها، ووكلهم به، وائتمنهم عليه، فكل قرن حمل عدوله وأزكياؤه الذين ضمن الله لهم العصمة عند اتفاقهم ألفاظه ومعانيه غضة طرية، لا تغيير فيها ولا تبديل، وكلّ من أراد إدخال شيء فيه أو إخراج شيء منه؛ قبض الله من يذب عنه ويحفظه وهذا من حفظه، ويؤيد هذا:

الفائدة العاشرة: أن هذا من أدلة صدقه، وصدق ما اشتمل عليه، وصدق من جاء به وهو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه تعالى أخبر بأنه أنزله، وأنه حافظ له، فوقع كما أخبر الله تعالى، فصار هذا آية وبرهانًا على صدقه، وصحة ما جاء به، كما يشهد بذلك الواقع.

الشرح:

هو الآن كأنه يتأمل هذه الآية، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ويستخرج منها فوائد، هذه الفوائد إما صريحة وواضحة ومنطوقة، أو فوائد مفهومة متضمنة لها.

فذكر شيئًا منطوقًا مثل الفائدة الأولى: (وأن الله تعالى عليٌّ) هذا منطوقًا؛ لأن كلمة **"نزلنا"** تدل على العلو، فهذه واضحة، قال: (فكونه نازلًا من عند الله يدل على علو الله) وأن الله فوق كلّ شيء، هذه فائدة من كلمة **"نزلنا"** وهذه وردت كثيرًا، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ [السجدة: ٢]، وغيرها.

فكل ما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيه لفظ **"التنزيل"** في القرآن يتضمن أنه نازل من علو، مثل ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وغيرها.

يقول: (عظمة القرآن، ورفعه قدره وعلو شأنه)هذه من أين أخذناها؟ أخذناها من كلمة الذكر، وبينها في موضع آخر، فلما أخبر أنه تعالى هو الذي تولى الإنزال، يعني لما تولى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إنزاله دل على أن شرفه من شرف الله؛ ولأن الله هو الذي يتولاه، فدل على قدره ومكانته وعلوه، طيب هذه أيضًا مأخوذ من كلمة **"نزلنا"** و**"نحن"** لأن الله هو الذي تولاه.

يقول: (القرآن مشتمل على كلّ ما يحتاج العباد إليه من أمور الدنيا، وأمور الدين، ومن الأحوال الظاهرة والباطنة؛ فإن معنى الذكر أنه متضمن لتذكير العباد) بما ينفعهم في جميع أحوالهم، هذه كلمة **"الذكر"**، الذكر من التذكر الآن.

سيأتي الآن الذكر بمعنى آخر؛ لأن كلمة الذكر أو وصف القرآن وتسميته بالذكر كقوله تعالى : ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، أن الذكر هنا يتضمن التذكر، ويتضمن الشرف، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، فهنا التذكر ثم أتى بالشرف، (وشرفًا وفخرًا، وحسن ذكر وثناء، وبهذا أول قول تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]).

ثم قال: (التذكر بغيره غير مفيد) فقد يفيد وقد لا يفيد التذكر بغيره، لكن القرآن مضمون، التذكر به مضمون ففيه فائدة وأيضًا منفعته في الدنيا ومنفعته في الآخرة، وهو يقول: (التذكر بغير غير مفيد) لماذا قال ذلك وهو قد يفيد؟ نقول: لا، إذا كان الإنسان ترك القرآن وذهب إلى غيره فلن يهتدي، فكأن الشيخ يقول: **"من تذكر بغيره معرضًا عنه؛ فإنه غير مجدٍ ولا مفيد، ولا ينتفع صاحبه بهذا التذكر"**.

لكن لو يتذكر بالقرآن ويتذكر بغيره من المنافع الأخرى قد يجد فائدة وقد لا يجد، وإن وجد فائدة فهي لا تتساوى فوائد القرآن مهما كان، فالقرآن فوق كلّ شيء.

يقول: (ولهذا أتى بالألف واللام المفيدة للاستغراق والعموم) يعني التذكر لمنافع الدنيا والآخرة.

يقول: (أتى بما يوافق العقل الصحيح والفطر المستقيمة) القرآن اشتمل على مصالح العباد وهو يتوافق لا يتصادم ولا يتضاد مع العقل السلم والفطرة السليمة.

المسألة الأخيرة أو ما قبل الأخيرة هي: **"مسألة التكلف بحفظ القرآن"** وهذه ما تميز به القرآن وحده من سائر كتب الله المنزلة؛ فإن هذا الكتاب اختص الله بحفظه، فلا يمكن لأي مخلوق أن يحاول فيه من تقديم أو تأخير أو حذف أو زيادة أو تبديل أو تحريف لا يمكن؛ لأن الله تكفل بحفظه، وهذا أمر مشاهد

مع مرور القرون والأزمان؛ أنه باقٍ غض طري لا يمكن أن يُغير فيه، ومن أراد أو حاول؛ فإن الله يكشف ستره ويفضحه.

يقول: لما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، من نزل عليه؟ نزل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا يدل على أن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جاء بالصدق والحق؛ لأن الله هو الذي أنزل واختاره.

فائدة عظيمة: لما كان الدعاء مخ العبادة، ولبها، وخالصها، لكونه متضمنًا للافتقار التام لله، والخشوع، والخضوع، بين يديه، وتنوع عبوديات القلب، وكثرة المطالبة المهمة كان أفضله وأعلاه ما كان أنفع للعبد، وأصح من غيره، وأجمع لكل خير، وتلك أدعية القرآن التي أخبر الله بها عن أنبيائه ورسله وعباده الأخيار، التي كان سيد المرسلين يختارها على غيرها، ولما كان من شروط الدعاء وآدابه حضور قلب الداعي، واستحضاره لمعاني ما يدعوه به أحببت أن أنبه تنبيهًا لطيفًا على معاني أدعية القرآن ليسهل استحضارها فيعظم انتفاع العبد بها، فأفضل أدعية القرآن وأفرضها قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

أي علمنا يا ربنا وألهمنا ووفقنا لسلوك الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، المشتمل على علم ما يحبه الله ورسوله ومحبته، وفعله على وجه الكمال، وعلم ما يكرهه الله ورسوله ويغضبه وتركه من كلّ وجه.

وحقيقة ذلك: أن الداعي بهذا الدعاء يسأل الله تعالى أن يهديه الطريق المستقيم المتضمن لمعرفة الحق والعمل به، ويجنبه طريق المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وتركوه، وطريق الضالين الذين تاهوا في الحق فلم يعرفوه.

الشرح:

الشيخ يريد أن يقف عند آية الدعاء في سورة الفاتحة، وهي أجمع الأدعية.

لكن مهد قبلها بأمرين:

الأمر الأول: أهمية الدعاء، وأنه لب العبادة، وخالص العبادة.

الأمر الثاني: أن أفضل الأدعية ما كان يدعو به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويختاره، وهو الذي أوتي جوامع الكلم، فأدعيته من أفضل الأدعية، بمعنى التزامك بما كان يدعو به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو أفضل، وإن دعوت به وبغيره كان الأمر واسع، لكن التزامك بالأدعية المأثورة من الكتاب والسنة هو الأولى، هذا أمر.

ثم وقف مع الدعاء العظيم في سورة الفاتحة، ولاحظ أن هذا الدعاء يعني الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بيّن هذا الدعاء وشرح معناه، لكن هناك في لفتة جميلة في سورة الفاتحة والتي يقرأها الناس كلّ يوم لا يقل عن سبع عشرة مرة في الفرائض فقط دون السنن.

هذا الدعاء العظيم الله عَزَّ وَجَلَّ جعل قبله تمهيدًا له، ولذلك انظر الحديث الصحيح في مسلم قال: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبد نصفين؛ فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الفاتحة: ٢]، **قال الله عَزَّ وَجَلَّ: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** [الفاتحة: ٣]، **قال: أثنى علي عبد، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾** [الفاتحة: ٤]، **قال: مجدني عبدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** [الفاتحة: ٥]، **قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل**»، لأنك أنت تعبد رب العالمين، فهذا بينك وبين الله.

فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، قال: «**هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**»، فهذا أجمع الأدعية وأفضل الأدعية؛ لأن الصراط المستقيم صراط من؟ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهذا أفضل المنازل، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩].

إذًا المعية العظيمة، فهذا من أشرف الأدعية أنه سُبق بالثناء على الله، بالتحميد والثناء والتمجيد، ثم تقديم العبادة والإخلاص فيها، **"إياك نعبد ولا نعبد غيرك"** والاستعانة بالله التي هي نوع من العبادة، ثم هذا الدعاء الذي يغفل الكثير من الناس في صلاته عنه، عن عظمة هذا الدعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

المراد بالهداية هنا ما هي؟

الهداية في أصلها هي: "الدلالة والإرشاد" فأنت تسأل الله أن يهديك وأن يرشدك إلى الصراط المستقيم، وإن كنت على ذلك؛ فإنك تسأل الله الزيادة والثبات، أن تزداد إلى هذا الطريق وتثبت عليه، فهذا أمر عظيم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذه وقفة جميلة من الشيخ حول هذه الآية.

قال: تكملة للدعاء لما تقول: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، أيضًا تكملة له أن تسأل الله أن يجنبك طريق الضالين، طريق المغضوب عليهم، والمغضوب عليهم هم اليهود وكلّ من غضب الله

عليهم في أفعالهم، وأقوالهم، فهم داخلون في هذا المغضوب عليهم، والضالين كذلك هم النصارى وكلّ من ضل عن الطريق من أهل البدع والضلال؛ فهؤلاء كلهم يدخلون فيه.

فأنت تسأل الله أن يهديك الصراط المستقيم، ويحفظك ويثبتك عليه، وأن يجنبك طريق الذين هلكوا إما هؤلاء أو هؤلاء.

ولذلك السلف فسروه بأي شيء؟

بعضهم فسروه بالقرآن.

وبعضهم فسروه بالإسلام.

وبعضهم فسروه بالدين.

وهو شأنهم كلهم؛ لأن القرآن والإسلام والدين لا يتعارضوا، نقف عند هذا القدر، هو سيستمر في ذكر الأدلة؛ لأنه سيورد أيضًا دعاء آخر وهو دعا، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، وآخر البقرة ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وأيضًا آل عمران فيها دعاء، فسيستمر، جمع مجموعة من الأدلة، فكأنه بدأ بدعاء الفاتحة وألحقه بالبقرة وآل عمران، وبقية الأدعية، مثل دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى دعاء يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبدأ يدخل في الأنبياء دعاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودعاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وأيضًا دعاء أصحاب الكهف وهكذا.

نقف عند القدر، وإن شاء الله المجلس الثاني عشر في الأسبوع القادم بإذن الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛...

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، هذا اليوم هو يوم الاثنين الموافق لـ الثاني من شهر جمادى الأولى من عام ١٤٤٣، نجتمع لقراءة درسنا المعتاد وهو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لمؤلفه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

هذا الكتاب عبارة عن تدبرات للآيات معينة، المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى يأخذ آية من القرآن الكريم ويقف عندها، ويتدبرها ويتأملها، ويستخرج ما فيها من دروس وعبر وحكم وأحكام، هذا المجلس هو المجلس الثاني عشر من مجالس هذا الكتاب صفحة ٤٦.

ومن أجمع الأدعية وأنفعها: دعاء أرباب الهمم العالية، الذين جمع الله لهم بين خيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، فصدروا دعاءهم بقولهم: ﴿رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٠١]، وذلك متضمن لاستحضارهم معنى تربية الله العامة، وهو الخلق والتدبير، وإيصال ما به تستقيم الأبدان، والترجمة الخاصة لخيار خلقه الذين رباهم بلطفه وأصلح لهم دينهم ودنياهم، وتولاهم فأخرجهم من الظلمات إلى النور، وهذا متضمن لافتقارهم إلى ربهم، وأنهم لا يقدرون على تربية نفوسهم من كلّ وجه، فليس لهم غير ربهم يتولاهم ويصلح أمورهم، ولهذا كانت أغلب أدعية القرآن مصدرة بالتوسل إلى الله بربوبيته؛ لأنها أعظم الوسائل على الإطلاق التي تحصل بها المحبوبات وتندفع بها المكروهات.

وحسنة الدنيا اسم الله جامع للعلم النافع والعمل الصالح، وراحة القلب، والجسم، والرزق الحلال الطيب، من كلّ مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومسكن، ونحوها فهو اسم جامع لحسن الأحوال، وسلامتها من كلّ نقص.

وأما حسنة الآخرة: فهي كلّ ما أعده الله لأوليائه في دار كرامته مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولما كانت حسنة الدنيا والآخرة تمامها وكمالها الحفظ من عذاب النار، والحفظ من أسبابه وهو الذنوب والمعاصي قالوا: ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

فاشتمل هذا الدعاء على كلّ خير ومطلوب محمود، ودفع كلّ شيء وعذاب، ولهذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بهذا الدعاء كثيرًا.

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ له وقفة جميلة في أدعية القرآن، وسيأتي أو سيورد كثيرًا من الأدعية، سيشرع في الكثير من أدعية القرآن، وكلّ ما يأتي على دعاء من أدعية القرآن يقف ويتأمل، فبدأ الآن بالدعاء الأول وهو الوارد في سورة البقرة بعد قضاء الحج؛ فإن الناس بعد قضاء الحج يدعون بهذا الدعاء.

وهذا الدعاء شرعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الركنين في الطواف، بين الركن اليماني والحجر الأسود؛ فإنه إذا وصل إلى المكان؛ فإنه يدعو بهذا الدعاء، وإن كان المكان مزدحمًا؛ فإنه يكرر حتى ينتهي من هذا المكان، حتى قال بعضهم: إن ما بين الركنين نخصه بهذا الدعاء؛ لأنه موطن إجابة، فيتحرى الإنسان أن يخلص الدعاء، ويتحرى بأن يأتي بهذا الدعاء في هذا المكان.

وهذا أيضًا مشروع في صلاة الفرض، في التحيات يأتي بهذا الدعاء؛ لأنه بعد الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوذ بأربع يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**»، ويأتي بهذا الدعاء «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**».

المؤلف أيضًا تأمل في هذا الدعاء بعدة تأملات:

الأول: افتتاح هذا الدعاء بقوله: **"ربنا"** وهذا في هذا الدعاء وفي غيره، كثير سيأتينا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، لو جمعنا أدعية القرآن كاملة لوجدنا أن أكثر أدعية القرآن مفتتحة بقول: **"ربنا"** أو بقول الداعي: **"ربنا"** أو **"يا رب"** وأحيانًا يأتي مفردًا، مثل قول: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ [يوسف: ١٠١]، هذا في قصة يوسف

عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ﴾ [القصص: ٢٤]، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ [النمل: ١٩]، سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وهكذا تجد كلمة **"رب"** أو **"ربنا"** بصيغة الجمع.

طيب لماذا قالوا: "ربنا"؟

قال: لأن هذا فيه استحضار فقر الإنسان أمام الله، وأن الله هو الذي خلقه، وهو الذي رباه، هو الذي أوجده.

ذكر الشيخ إشارة جميلة وهي أن تربية الله نوعان:

١. تربية عامة لجميع الخلق.

٢. وتربية خاصة لعباده الصالحين.

فهو يربي سائر الخلق من المؤمنين والكفار وغيرهم، يربيهم تربية عامة وهي أنه أولًا يخلق فيهم الآلات، آلة السمع والبصر وآلة الكلام، وآلة الفكر ونحوه، واليد والقدم، ويرزقهم، يهيئ لهم أرزاقهم، هذه تسمى تربية عامة.

وتربية خاصة تربية أوليائه على طاعته، وعلى الاستقامة، والثبات، والحرص على ما يرضي رب العالمين، هذه تربية خاصة، فقوله: **"ربنا"** يدخل فيها التربية العامة والتربية الخاصة.

يقول: أغلب أدعية القرآن مصدرة بالتوسل بقوله: **"ربنا"**؛ قال: **(لأنها أعظم الوسائل على الإطلاق التي تحصل بها المحبوبات وتندفع بها المكروهات)**.

طيب ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، ما هي الحسنة التي تكون في الدنيا؟ وما هي الحسنة التي تكون في الآخرة؟

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى جاء بكلمة عامة؛ قال: **(اسم الله جامع للعلم النافع والعمل الصالح، وراحة القلب، والجسم، والرزق الحلال الطيب)** يعني جمع كلّ ما هو من حسنات الدنيا، أدخلها كلها.

وبعض العلماء بعض السلف قال: قوله: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، الحسنة في الدنيا **"العلم النافع والعمل الصالح"** أن يوفق الإنسان في الدنيا إلى العلم النافع والعمل الصالح، هذه حسنة الدنيا؛ لأنه إذا رُزق علمًا نافعًا وعملاً صالحًا هذا خير الدنيا كلها، وأما الأرزاق الأخرى تأتي؛ لأن أرزاقك

مكتوبة لك، إن أتعبت نفسك أو جلست رزقك مكتوب ومقدر لك، لكن الكلام على العلم النافع والعمل الصالح.

ما المراد بالحسنة في الآخرة؟

هو: (الفوز بدار كرامته) أجملها قال: (الفوز بدار كرامته في الآخرة أن يكون من أهل الجنة).

طيب عندما قال: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، **لماذا قال بعدها:** ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]..؟

ما هي علاقة النار وعذاب النار؟

قال: لأن الإنسان إذا وفق للعلم النافع والعمل الصالح استقام على طاعة الله، وتجنب المعاصي التي تجره إلى النار، وأنه إذا فاز بكرامة الله في الآخرة سلم من عذاب النار، ولذلك أكدوا بقولهم وأفصحوا بقولهم: ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

تأملات جميلة، ووقفات جميلة حول هذه الآية، هو سيدخل الآن في الأدعية، وجميلة الصراحة جميلة جدًا، كم منا الآن يدعو بـ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، ولا يتأمل؟! ما يتأمل معاني هذا الدعاء، ما يستحضر معانيه، تغيب عنه، مجرد ألفاظ يتكلم بها.

ومن ذلك الدعاء الذي في آخر البقرة الذي أخبر الله على لسان رسوله أنه قبله من المؤمنين حين دعوا به: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الشرح:

كم دعاء؟ سبعة أدعية، وماذا قال الله فيها؟ قال: «**قد فعلت**»، وكلها مجامع الأدعية، شيء فيه دفع ضرر عنك، مثلاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، هذا دفع شر عنك، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، دفع، قوله: ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، طلب خير، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، هذا كله طلب خير.

ولما كان إخلال العبد بأمر الله قد يكون عمدًا على وجه العلم، وقد يكون نسيانًا وخطأ، وكان هذا القسم غير ناشئ من عمل القلب الذي هو محل الإثم وعدمه سألوا ربهم أن لا يؤاخذهم بالنسيان والخطأ، وذلك عام في جميع الأمور، قال الله تعالى: «قد فعلت».

الشرح:

يقول: الخلل الذي يقع من العبد يعني خلل المعاصي ونحوها، قد يكون عمدًا، وقد يكون خطئًا، فأما العمد فلابد من التوبة، والإقلاع، والعزم، لابد من هذه، أما الخطأ؛ فإن الله يقول: «**قد فعلت**»، قد تجاوز الله عن أمة محمد الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

فهنا قال: **(أن لا يؤاخذهم بالنسيان والخطأ)** وهذه من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهذه الأمة، الأمم السابقة ما كان يحصل لها مثل هذا الأمر، فكانوا يؤخذون على مثل هذا، ولذلك آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أكل خطئًا، وقع في الأكل نسيانًا ، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في آخر سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥].

فأكل نسيانًا ومع ذلك ترتيب عليه إخراجه من الجنة، فهذه الأمة رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهم أن من وقع في الشيء في معصية الله خطئًا أو نسيانًا؛ فإن الله قد تجاوز عنه، وهذا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولما كانت بعض الأفعال فيا شدة ومشقة وآصار وأغلال لو كُلف العباد بها لأحرى أن لا يقوموا بها، سألوا الله تعالى ألا يحملهم إياها، ولا يكلفهم بما لا طاقة لهم به ليسهل عليهم أمر ربهم، وتخف عليهم شرائعه الظاهرة، فقال الله تعالى: «قد فعلت».

الشرح:

هذا الأمر الثاني الذي هو: "رفع الآصار والأغلال عنهم"، لو نقارن شريعة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المبنية على التخفيف والشرائع السابقة لوجدت فروقًا كبيرة جدًا بيننا وبينهم، شوف حتى غير العرب يستغرب أنك تصلي على الأرض، كيف تصلى على الأرض؟ لابد أن تصلي في مكان، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»، تطهر من التراب وصلي على قدر حالك، هذا تخفيف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أيضًا من التخفيف بنو إسرائيل قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت توبتهم ماذا؟ توبتهم القتل، فإذا أذنب يُقتل، الذين وقعوا في عباد العجل توبتهم ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

هذه الأمة ما هي توبتها؟ تستغفر وتتوب إلى الله، ويتوب الله عليك، هذه رحمة، فالله عَزَّ وَجَلَّ رفع الآصار، ورفع الأغلال، والشدائد عن هذه الأمة في أشياء كثيرة، في الصيام تجد أشياء كثير تدخل في الصيام، الصلاة فيها أشياء كثيرة تجاوز الله عنها يعني أنت تخطئ في الصلاة أو تغفل أو تسهو تسجد سجدتين السهو ويُرفع عنك هذا الخطأ، لو ما في سجدة سهو أعدت الصلاة، في أشياء تخفيف جدًا، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحج قال: «**افعل ولا حرج**»، فنجد تخفيفها كثيرة في هذه الشريعة، وفيها رحمة من الله بهذا الدعاء عندما قالوا: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال: «**قد فعلت**».

ولما كانت أيضًا الشرائع التي شرعها الله لعباده لابد أن يحصل منهم التقصير فيها إما بفعل محظور أو بترك مأمور وذلك موجب للشر والعقوبة إن لم يغفر الله ويزله؛ قالوا: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فبهذه الأمور تندفع المكروهات والشرور كلها.

الشرح:

ما تلاحظ أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يُلفت الأنظار إلى تركيب هذه الأدعية، وأن بعضها مركب على بعض، لا تظن أنها جاءت هكذا عشوائية، لم قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أول الآيات: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، هذا طلب عدم المؤاخذة، ثم طلبوا أيضًا ألا يحملهم، فهذا مرتب على الأول، والثالث طلبوا أن يعفو عنهم إذا وقع منهم، إذا وقع منهم شيء من التقصير، تجدها مرتبة على هذه الطريقة.

لاحظ الشيخ قال: (ثم سألوا) وكان كلّ شوية يقول: (ولما كانت هذه الشرائع) ثم قال بعدها.

ثم سألوا الله بعد ذلك الرحمة التي ينشأ عنها كلّ خير في الدنيا والآخرة، ولما كان أمر الدين والتمكين من فعل الخير وترك الشر لا يحصل ولا يتم إلا بولاية الله وتوليه ونصرته على الأعداء الكافرين من الشيطان وجنوده قالوا: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال: «قد فعلت».

فالله تعالى يتولى عبده، وييسره لليسرى في جميع الأمور، فيدفع عنه الشرور، فهو نعم المولى ونعم النصير.

الشرح:

قد يأتي شخص يسألك يقول: كلّ هذه في العفو وعدم المؤاخذة والمغفرة والتوبة، ثم قال: "فانصرنا" ما علاقة النصر، ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ما علاقتها بالذنوب والمعاصي والخطأ الذي يقع من الإنسان؟

قال: لأنه لا يمكن أن يتمكن من أداء العبادة إلا بأن يُمكن بنصرته على أعدائه، حتى لا يتسلطوا عليه، ولذلك لاحظ قال: (ولما كان أمر الدين والتمكين من فعل الخير وترك الشر لا يحصل ولا يتم إلا

بولاية الله) بأن يتولى الله أمرهم، ويدفع عنهم شر أدعائهم، لا يلزم من النصر على الكافرين أن يرفع راية الجهاد ويقتلهم ويطردهم لا، أن الله يصرف الشر عنهم؛ لأنه لابد أن يقوم الشر بين الحق والباطل، لكن هؤلاء يدفع الله عن المؤمنين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

يدفع عنك شرهم؛ فإذا دفع الله عنك شرهم واشتغلوا بشرهم تمكنت من أداء عبادة الله، هذا المقصود.

ومن هذا دعاء الراسخين في العلم بعد الثناء عليهم بالإيمان التام، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

فسألوا ربهم وتوسلوا بربوبيته في حصول أفضل الوسائل، وهو استقامة القلوب على ما يحبه الله ويرضاه، والثبات على ذلك، وعدم زيغها عن هذه الهداية، وأجل المقاصد وهو حصول رحمة الله تعالى التي يحصل معها خير الدنيا والآخرة، وختموا دعاءهم بالتوسل إلى ربهم باسمه الوهاب أي كثير العطايا واسع الكرم.

فمن كرمك يا وهاب نسألك الاستقامة وعدم زيغ القلوب، وأن تهب لنا من لدنك رحمة؛ لأن الرحمة التي من لدنه لا يُقدر قدرها، ولا يعلم ما فيها من البركات والخيرات إلا الذي وهبهم إياها، ويشبه أن يكون قولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

توسلاً إلى ربهم بإيمانهم بهذا اليوم، وتصديق ربهم في عده ووعيده؛ فإن التوسل إلى الله بالإيمان ومنة الله به من الوسائل المطلوبة فيكون هذا من تمام دعائهم.

الشرح:

هذه الآية واردة في سورة آل عمران، سورة آل عمران إذا تأملناها أول شيء هي قرينة البقرة؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اقرؤوا الزهراوين**»، فجميع بين السورتين، وبينهما أمور كثيرة لو تأملناها بين السورة أمور كثيرة تجمع بينهما، تجمع بين السورتين.

من هذه الأمور التي تجمع بين السورتين أظهرها أن سورة البقرة كلها في الحديث عن اليهود، وذكر مثالب اليهود ومواقفهم السيئة مع الله، ومع شرعه، ومع نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مواقف سيئة لهم، صورة سيئة عن هؤلاء.

وهؤلاء وصفهم الله في سورة الفاتحة بأنهم المغضوب عليهم، فلما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سور الفاتحة المغضوب عليهم والضالين شرع في بيان المغضوب عليهم في سورة البقرة، ثم الضالين النصارى في سورة آل عمران، فكانت هذه قرينة لهذه، وهذه مكملة لهذه.

يقول بعض أهل التفسير: سورة آل عمران مبنية على الثبات، طلب الثبات على الحق؛ لأنه انقسمت السورة قسمين، لو تأملت السورة وآياتها فهي مائتي آية، مائة وعشرين آية كلها تتحدث عن مواقف النصارى من عيسى، وأنهم افتروا على الله الكذب، وأنهم جعلوا عيسى هو الإله، ومناقشتهم في عقيدتهم.

ثم بعدها انتقلت الآيات إلى موقف المؤمنين في غزوة أحد، من الذي ثبت؟ ومن الذي تزعزع؟ فالسورة تتكلم عن الثبات في العقيدة مع النصارى، ومناقشتهم في عقيدتهم، والثبات في المؤمنين مما حصل معهم في الإيمان العملي، هناك إيمان اعتقادي، وهذا إيمان عملي، فهذا اعتقاد في العقيدة، وهذا في المواقف التي جرت في غزوة أحد.

فتتكلم الصورة غالبًا عن الثبات، ولذلك تكلمت في أولها عن الراسخين، ماذا يكون موقف الراسخون؟ قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

لما ذكر ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، ثم قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، إلى أن قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، هذه من أجل الأدعية، ولذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير ما يدعو: «**يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي**»، فهذا من الأدلة أن الله لا يزيغ قلبك بسبب ماذا؟ لأنه قرأت عن بعض الشبه التي يثيرها بعض المعاصرين، قالوا: كيف تقول: ربنا لا تزغ قلوبنا، هل الله يزيغ قلبك؟ فيقول: الله ما يزيغ القلوب، ما الفائدة من هذا الدعاء؟ فيثير شبه من هذه.

فنقول: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يزيغ القلب من أول وهلة؛ ولكن العبد قد يقترف ذنبًا وقد تميل نفسه لشيء فيكون سببًا في زيغ القلب.

ولذلك بعض السلف قالوا: إن رجلاً نسي القرآن بسبب معصية.

ولذلك هذا من أجل الأدعية، وبالعكس هذا من أقوى الأدعية، من أقوى الأدعية أنك تثبت حتى تلقى ربك وأنت ثابت على الإيمان الراسخ؛ لأن الإنسان يتغير بلحظة.

ولذلك كلمة جميلة لبعض المعاصرين كان يتكلم عن من يتساهل في بعض المعاصي، قال: من المعاصي اللحية، يقول: هذه اللحية إذا دخلها المقص ما ترك فيها شيء، قال: خفف هذه زائدة قصها، يا

أخي اللحية يكفي القبضة، ثم يأتيك من هنا ومن هنا، ثم يقول: إذا دخل المقص اللحية لا يبقي فيا شيء؛ قد أزالها كلها.

فأحيانًا الشيطان يأتيك سوي كذا، وسوي كذا، وأنت لا تدري، فهو يغرك، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، الشيطان يأتي يغره حتى يوقعه في المعصية.

ولذلك يأتي الآن الدعاء، يأتي الآن حقيقة الدعاء: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، لأنك إذا دعوت بهذا الدعاء سلمت من الصوارف، والشوارد، وطرق الشر، وطرق الشيطان، إذا سلمك الله، فأنت تصبح وتمسي وأنت سالم من هذه الأشياء هذا أكبر شيء، أكبر شيء أنك تسلم، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

ولاحظ أنهم افتتحوا بأي شيء؟ بكلمة ﴿رَبَّنَا﴾ [آل عمران: ٨]، وهذه مرت معنا، التوسل بالربوبية.

يقول: **(استقامة القلوب على ما يحبه الله ويرضاه، والثبات على ذلك، وعدم زيغها عن هذه الهداية)** هذه من أعظم الهدايات أن يستقيم القلب على ما يحب الله ويرضاه، القلب هو مضغة صغيرة قد تتغير، فالله مقلب القلوب، والآية في سورة الأنفال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، قد يحول بينك وبين قلبك فتضيع.

طيب قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، بعد أن مننت علينا بالهداية فلا تزغ قلوبنا، ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في دعائهم: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [آل عمران: ٨]، ما هي علاقة الرحمة بالثبات على القلب؟

قال : **(وأجل المقاصد وهو حصول رحمة الله تعالى التي يحصل معها خير الدنيا والآخرة)** يعني إذا ثبت وسألت الله رحمته حصل لك خير الدنيا والآخرة، فرحمة الله كما قال الله في حق أصحاب الكهف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: ١٠]، رحمة تطمئن بها القلوب، وتنشر بها الصدور.

وقالوا: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، لماذا أتوا بهذا الاسم، فقد ختموا باسم **"الوهاب"** وافتتحوا بـ **"ربنا"**؟

قال: لأن في سؤال عطية رحمة فسألوا بأجل أسمائه وهو والوهاب، والوهاب صفة مبالغة، كثير الوهائب، فعال، كثير العطايا وواسع الكرم.

قال: **(ويشبه أن يكون)** يعني لأن الآية ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، بعدها قالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩]، يقول: هذا تكملة الدعاء السابق، توسلوا إلى ربهم بأي شيء؟ بإيمانهم باليوم الآخر، هذا تأكيد على حقيقة إيمانهم باليوم الآخر، قالوا: ﴿جَامِعُ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩]، هذا تأكيد بصيغة الجملة الاسمية، ﴿جَامِعُ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩]، تأكيد، ﴿لِيَوْمٍ﴾ [آل عمران: ٩]، وصفوا هذا اليوم بأنه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩]، بأنهم لا يشكون فيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

كلّ هذا تأكيد لهذا اليوم العظيم، وأنهم يدعون ربهم متوسلين بهذا الأمر، قال: **(التوسل إلى إل الله بالإيمان باليوم الآخر، ومنة الله به من الوسائل المطلوبة فيكون هذا من تمام دعائهم)** ستستمر معنا الأدعية، وهي جميلة الحقيقة، ومفيدة، وقفات جميلة، الحقيقة إذا كان الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ قد جمع الأدعية في هذا فهذا جميل، إذا لم يكن يجمعها ممكن جمعها من تفسيره، تستخرج من التفسير كلامه وتعليقاته على الأدعية التي افتتح بـ **"ربنا"** فيكون عمل جميل جدًا ومفيد، الناس محتاجون مثل هذه الأدعية، وأفضل الأدعية ما جاء بها القرآن والسنة.

نقف عند القدر ونسأل الله أن يبارك لنا وإياك وأن يوفقنا وإياكم لطاعته.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، والكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى، المتوفى سنة ١٣٧٦، وهذا المجلس؛ المجلس الثالث عشر، وهذا اليوم هو اليوم السادس عشر من جمادى الأولى من عام ١٤٤٣.

هذا الكتاب الحقيقة هو يتعلق بتدبر القرآن، الشيخ رَحِمَهُ اللهُ جمع آيات ويقف عند كلّ آية يتدبرها، هو الآن لا زال يواصل في الأدعية، والأدعية جميلة جدًا.

كذلك دعاء المتقين الذين أعد لهم الجنة وما فيها الذين يقولون: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

فتوسلوا بربوبية الله لهم وبإيمانهم أن يغفر لهم الذنوب وأن يقيهم عذاب النار، وإذا غُفرت ذنوبهم ووقاهم الله عذاب النار زال عنهم الشر بأجمعه، وحصل لهم الخير بأجمعه؛ لأن الأدعية هكذا تارة تأتي مطابقة لجميع مطالب العبد، وتارة بذكر نوع منها ويدخل الباقي باللزوم هكذا الدعاء.

الشرح:

هو أخذ هذا الدعاء ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]، هذا في سورة آل عمران، دعاء المتقين، كيف عرفنا أنه دعاء المتقين؟ لما ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤]، ذكر ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]، من هم المتقين؟ قال: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾ [آل عمران: ١٦].

في آخر كلامه ماذا قال؟

قال: (الأدعية هكذا تارة تأتي مطابقة لجميع مطالب العبد، وتارة بذكر نوع منها ويدخل الباقي باللزوم هكذا الدعاء) هذا الدعاء ما أتى بما يحتاجه الإنسان مطابق لكل ما يحتاجه لا؛ بل أتى بجانب بعض

الصفات أو بعض الأدعية، لكن هذا الجانب يدخل غيره باللزوم؛ لأنه يلزم منه، لأنه لما قال: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]، يلزم من ذلك دخول الجنة؛ لأنه إذا سلم من النار وغُفرت له ذنوبه لزم من ذلك دخول الجنة، هذا مقصد الشيخ.

لاحظ قال هنا: **(وحصل لهم الخير بأجمعه)** ومن أعظم ما يحصل له دخول الجنة، طيب ما الملاحظ فيه أيضًا أشار الشيخ إليه؟ قال: **(فتوسلوا بربوبية الله لهم وبإيمانهم)** يعني من أسباب قبول الدعاء أن الإنسان يتوسل بأشياء تكون سببًا لقبول الدعوة، ما هذه؟ قال: الربوبية ﴿رَبَّنَا﴾ [آل عمران: ١٦].

أولًا: يعترفون بأن الله هذا الذي خلقهم ورباهم ورزقهم، وهذا أيضًا فيه وجه افتقار العبد إلى ربه أن الذي خلقه هو ربه هذا وجه.

ثانيًا: توسلهم بالإيمان، يتوسلون بالعمل الصالح، وهذا مشروع، مشروع عند الدعاء أن الإنسان يتوسل بالعمل الصالح، كما توسل أصحاب الغار بأعمالهم الصالحة ببر الوالدين وغيره.

قالوا أولًا: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾، ثم طلبوا فقالوا: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]، وقفة الشيخ جميلة جدًا.

ومما أتى فيه الدعاء بجميع المطالب على وجه المطابقة دعاء أولي الألباب وخواص الخلق حيث قالوا بعدما تفكروا بما في ملكوت الله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٤].

فتوسلوا بربوبية الله وكرروا هذا التوسل وإقرارهم بحكمة الله وصدق وعده ووعيده، وإيمانهم برسل الله حين دعوهم إلى الإيمان، ومنة الله عليهم بالمبادرة بذلك أن يقيهم عذاب النار، وأن يغفر ذنوبهم الكبار، ويكفر عنهم سيئاتهم الصغار، فيدفع عنهم أعظم العقوبات وهو عذاب النار، ويزيل عنهم أسباب الشرور كلها، وهي الذنوب والسيئات.

وأن يرزقهم الله ويوفقهم لأعمال البر كلها، فيصيروا بذلك من عباد الله الأبرار، وأن يثبتهم عليها حتى يموتوا عليها؛ فيدخلوا في معية الأبرار، وأن يؤتيهم ما ودعهم على ألسنة رسله وذلك شامل لعطايا الدنيا وخيارتها، وعطايا الآخرة وكراماتها، وأن يكرمهم في يوم القيامة ولا يخزهم.

وحقيق بقوم دعوا بهذه الأدعية الجليلة بحيث ما بقي خير إلا سألوه ولا شر إلا استدفعوه أن يسميهم الله أولي الألباب؛ فهذا من لبهم وعقلهم وتمام فطنتهم، نسأله تعالى أن يوفقنا لما وقفهم له إنه جواد كريم.

الشرح:

أول شيء: أن الآية جاءت في سياق أولي الألباب.

ثانيًا: الشيخ قال: (هم أولي الألباب وهم خواص الخلق) بعدما تفكروا وتأملوا في خلق السموات والأرض، وأن الله لم يخلق ذلك باطلاً دعوا فقالوا: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

طيب لماذا قالوا: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]؟

ما علاقة النار واليوم الآخر بخلق السموات والأرض؟

لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما خلق السماوات والأرض عبثًا، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]، قال بعدها: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ [الدخان: ٤٠].

فخلق السماوات والأرض لم تخلق عبثًا، وإنما خلقت للرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي سورة (ص) أيضًا مثلها، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

تلاحظ في رابط بين الخلق والميعاد والجنة والنار، علشان ما نطيل في هذه الآية؛ فالآية اشتملت على مجموعة من الأدعية، لكن نقف عند بعضها، يقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، هذا دعاء مضمونه أنهم يسألون الله ألا يخزيهم ويسألونه أن يجنبهم دخول النار، فهذا الدعاء متضمن لهذا الشيء.

ثم قال: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، هذا تنوع في أساليب في الدعاء، لما يقولون: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، غير أن قولوا: **"ربنا آمنا"** ولكن قالوا: سمعنا، فاستجبنا، وآمنا، وصدقنا، وبعد ذلك يقولون: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فكأنه وسيلة ومقدمة، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

لما يقول: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، هذا يدل على ماذا؟

يدل على: أنهم هضموا أنفسهم مع أنهم على أعلى مكان يقولون: ندخل مع الأبرار، ما قالوا: نحن الأبرار؛ وإنما قالوا: أدخلنا مع الأبرار، ففيه هضم للنفس، من أنا حتى أكون من الأبرار؟! لو قالوا: نحن الأبرار، فكأنهم يزكون أنفسهم، ولكن قالوا: نحن في جملتهم، لعلك يا ربك أن تجعلنا في جملتهم.

كلها أدعية جميلة، مثلما قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: **(وحقيق بقوم دعوا بهذه الأدعية الجليلة بحيث ما بقي خير إلا سألوه ولا شر إلا استدفعوه أن يسميهم الله أولي الألباب)** وهؤلاء يعني لما ذكر الله أولي الألباب أو في دعائهم هذه الأدعية وفي اختيارهم هذه الأدعية هذا تعليم للناس أن يقتدوا بهم، وأن يسلكوا مسلكهم في طريقة الدعاء ومنهجية الدعاء بهذا الشيء، يعني ما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنا إلا حتى نسلك مسلكهم ونوفق إلى ما وقفوا إليه.

ومن ذلك دعاء أتباع الأنبياء في مواطن الشدائد وأنواع المحن: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧، ١٤٨].

فدل هذا على أن الدعاء من الدعاء الذي استجابه الله، وأن أهله محسنون فيه، وذلك أنهم توسلوا إلى اله بربوبيته، فافتقروا إليه وطلبوا أن يُربَّهم بما يصلح أحوالهم.

الشرح:

قوله: (يُربَّهم) ممكن ساقطة الياء، **"فافتقروا إليه وطلبوا أن يربيهم"** يمكن السعدي يذكر هذا في تفسيره.

الطالب: جعلوا الباء مشددة؟

الشيخ: أحيانًا الناسخ والطابعة يخطئ كثير.

وأن يغفر لهم الذنوب وهي المعاصي المستقلة، وإسرافنا في أمرنا وهي تعدي ما حد للعبد ونهي عن مجاوزته، فكما أن التقصير يلام عليه الإنسان فكذلك المجاوزة للحد، وأن يثبت أقدامهم فيرزقهم الصبر والثبات، والقوة التي هي مادة النصر، وأن يمدهم بمدده الإلهي وهو نصره على القوم الكافرين، فسألوا ربهم زوال المانع من النصر وهي الذنوب والإسراف.

وحصول سبب النصر وهو نوعان:

سبب داخلي وهو ثبات الأقدام والصبر عند الإقدام.

وسبب خارج وهو نصره.

ويشبه أن يكون قولهم: ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، توسلاً إلى الله، وإننا يا ربنا آما بك واتبعنا رسلك، وحاربنا أعداءك الذين كفروا بك وبرسلك، فمعاداتنا لهم وقتالنا إياهم لأجلك وفي سبيلك، فانصرنا عليهم لكوننا من حزبك وجندك، وهم جنود عدوك الشيطان الرجيم.

الشرح:

هذه الآية جاءت في سياق ماذا؟

قال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يذكر أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة أحد، كيف كان موقفهم؟ وما الذي ينبغي أن يكونوا عليه؟

قوله: **"كأي"** هنا تفيد التكثير، يعني أنبياء كثيرون معهم ربيون الذين هم تربوا على الأنبياء، أصابهم ما أصابهم ما وهنوا وما ضعوا وما استكانوا، ومع كلّ هذه الأشياء فهم يجاهدون في سبيل الله، وصلوا ما وصلوا في الجهاد، وطاعة الأنبياء، وطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ قبل ذلك، ومع ذلك يدعون بهذه الأدعية التي فيها شيء عظيم، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]، أين الذنوب وهم مجاهدون؟! ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]، كلّ هذا افتقار إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فكل هذا دليل على أن الإنسان يستصغر نفسه، حتى لو كان في أعلى شيء من الأمور، من الطاعة ومن الجهاد، ولو وصل ما وصل يسأل الله الثبات، ويسأل الله مغفرة الذنوب.

ولذلك قال: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ﴾ [آل عمران: ١٤٨]، أعطاهم ثواب الدنيا، ثواب الدنيا ماذا؟ إما الفوز بالنصر، والغنية، ونحو ذلك.

قال: ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]، ما قال: **"وثواب آخره"** جاء بكلمة حسن؛ لأن الآخرة كلها سنة، وأضاف عليها قال: ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨]، وختم الآية بالمحسنين يدل على أنهم وصلوا إلى درجة الإحسان في أعمالهم.

نقف هنا؛ لأن الدعاء الأخير في سورة الفرقان، ثم أدخل عليه دعاء الأنبياء، آدم، ونوح، وإبراهيم، ويوسف، وسليمان يعني مجموعة من الأنبياء، ودعاء أصحاب الكهف، دعاء حملة العرش الملائكة، دعاء المهاجرين والأنصار، ثم ينتهي، نقف عند هذا ونستكمل في اللقاء القادم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

اللّٰهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك، والكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

وهذا اليوم هو يوم الاثنين الموافق للثلاثين لشهر جمادى الأولى من عام ١٤٤٣ وقفنا عند ما يتعلق بالأدعية التي ذكرها الشيخ السعدي ووقف عندها يتأمل هذه الأدعية، وهذا المجلس هو المجلس الرابع عشر.

ومن ذلك دعاء عبد الرحمن الذين وصفهم بكل خلق جميل، وأعد لهم المنازل العالية، فدعوا بدعوتين دعوة استجيبت لجميعهم كامل الدرجة ومن دونه ودعوة استجيب لخواصهم وأئمتهم وقدوتهم؛ قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، إلى أن قال عنهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

فتوسلوا بربوبية الله لهم، وإيمانهم وخوفهم من عذابه، أن يقيهم عذاب النار، وإذا وقاهم الله عذاب النار كان من لازم ذلك مغفرة ذنوبهم، وتكفير سيئاتهم، ودخولهم الجنة وقال تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

فتوسلوا بربوبية الله أن يهب لهم من أزواجهم وقرنائهم وذرياتهم ما تقر أعينهم به، وهو أن يكونوا مطيعين لله عاملين بمرضاته، وذلك دليل على أن طاعة الله قرة أعينهم ومحبته نعيم قلوبهم، فقويت هذه الحالة إلى أن سألوا الله تعالى أن يجعل قرناءهم بهذه الحالة الكاملة، وذلك من فضل الله عليهم؛ فإن الله إذا أصلح قرناءهم عاد من هذا الخير عليهم شيء كثير، ولهذا جعلوا هذا من مواهب ربهم فقالوا: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا﴾ [الفرقان: ٧٤]، إلخ.

ولما كان غاية كمال الإنسان أن يكون مطيعًا لله، وأن يكون قرينًا للمطيعين، سألوا ربهم أعلى المراتب وأجلها، وهي الإمامة في الدين، وأن يكونوا قدوة للمتقين، وذلك أن يجعلهم علماء ربانيين راسخين في العلم مجتهدين في تعلمه وتعليمه والدعوة إليه، وأن يكونوا علمهم صحيحًا؛ بحيث أن من اقتدى بهم فهو من المتقين، وأن من يرزقهم من الأعمال الظاهرة والباطنة ما يصيرون به أئمة للمتقين، وجماع ذلك الصبر على محبوبات الله، وثبات النفس على ذلك، والإيقان بآيات الله، وتمام العلم بها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فالحاصل أنهم سألوا ربهم أن يكونوا كاملين مكملين لغيرهم هادين مهتدين، وهذه أعلى الحالات، فلذلك أعد الله لهم أعلى غرف الجنان: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۝٧٥ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وقف مع آخر سورة الفرقان وقفة جميلة، وهو ما يتعلق بدعاء المتقين عباد الرحمن، وذكر أن دعاءهم أو من دعائهم هو ما كان دعاءً عامًا، ودعاءً خاصًا.

الدعاء العام في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٦٥]، كما ذكر الشيخ: (فدعوا بدعوتين) دعوة لجميعهم فاستجيب لجميعهم، ودعوة خاصة.

فالدعوة العامة هي أنهم طلبوا أن يصرف الله عنهم العذاب عذاب جهنم، ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، يعني ملازمًا لهم، ملازمة الغريم لصاحبه، فالغريم لصاحبه يلازمه بطلب الدين، يطلبه الدين يلازمه، فالنار ملازمة لهم، هذا معنى ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، أن النار أو العذاب كان مراغمًا أو كان غرامًا أي كان ملازمًا لهم.

يقول: (فتوسلوا بربوبية الله) وهذا كثير في القرآن في أدعية الأنبياء وغيرهم أنهم يكثرون من كلمة "ربنا" الربوبية، يتذكرون أن الله هذا الذي أنعم، وهو الذي خلقهم، وهو الذي أوجدهم، وهو الذي رزقهم، فيتذكرون هذه النعمة، فيتوسلون بربوبية الله لهم.

ومن ربوبيته تربيتهم على الإيمان والطاعة، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منّ عليهم بالصلاح والإيمان والاستقامة، قال: **"يقيهم وقد استجاب الله لهم"** هذه دعوة عامة.

الدعوة الخاصة هذه دعوة المؤمنين؛ حيث قالوا: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ليس عامة الناس كلهم يكونوا أئمة للمتقين فهي خاصة، وتوسلوا أيضًا بربوبية الله، قالوا: ﴿رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٧٤]، أن يهب لهم من أزواجهم، ما المراد بالأزواج؟ الشيخ فسر الأزواج بتفسيرين، تفسير الأزواج بالزوجة المرأة، والأزواج الأصناف والقرناء، ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ [الفرقان: ٧٤].

والأقرب أنها الزوجة؛ لأنه قال: ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ [الفرقان: ٧٤]، فدل على أنها المرأة والأولاد، فهم يقولوا: هب لنا من زوجاتنا النساء، وأبناء الأولاد، قرة أعين، الأولاد البنات والأبناء الذرية، ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]، يعني تقر الأعين بهم بصلاحهم واستقامتهم، لا أن تقلق العين وتحزن عليهم، هذا المقصود.

يقول: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، أي قدوة، فالشيخ يقول: القرناء يمكن تدخل يعني يعممها، فيدخل الأشباه والنظائر والقرناء أن يكونوا قرة عليهم، فيكون جلسائك وأصدقائك ومن تقابلهم وتجالسهم تقر عينك بهم بصالحهم، فترتاح لهم هذا المقصود.

قال: **(أن يجعل قرناءهم بهذه الحالة الكاملة)** فهذا دعاء خاص، هذا مقصد الشيخ أنه دعاء خاص.

ثم كيف يكون الإنسان إمامًا للناس فيكون قدوة؟

قال: بالصبر واليقين كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

كما قال الإمام مالك: **"بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين"**.

فالإنسان لن يصل إلى الإمامة في الدين ويكون قدوة لغيره وإمامًا يُقتدى به ويُنظر إليه إلا بالصبر واليقين، هذا مقصود المؤلف.

طيب فسر الغرفة بأي شيء؟ قال: **"غرف الجنان"**، لماذا قال أعالي؟ لأن الغرفة لا تُطلق إلا على المكان العالي، والمراد بالغرفة هنا جنس، وليس المراد بها غرفة واحدة.

ومن ذلك دعاء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين تاب إلى الله وتلقى منه هذه الكلمات هو وزوجته: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

فتوسلا بربوبية الله واعترافهم بالظلم، وإقرارهم بالذنب أن يغفر لهما، فيزيل عنهما المكاره كلها، وأن يرحمهما فيعطيهما أنواع المطالب، وأنه لا وسيلة لهما ولا ملجأ منه إلا إليه، وأنه لئن لم يرحمهما ويغفر لهما خسرا الدنيا والآخرة، فقبل الله دعاءهما وغفر لهما ورحمهما.

الشرح:

هذا في دعوة آدم وحواء لما وقعا في الذنب ووقعا في المعصية وأكلا من الشجرة التي نهاهم الله توسل، يقول: شوف كيف عبارات الدعاء؟ توسل بالربوبية ﴿رَبَّنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، واعتراف بالذنب، ﴿ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وإقرارهم بالذنب، وأن يطلبوا من الله الرحمة، ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، فيعطيهما أنواع المغفرة.

قال: **(وأنه لا وسيلة لهما ولا ملجأ منه إلا إليه)** قال: ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، يعني سنخسر إلا برحمتك، فلا ملجأ لنا إلا من الله، فقبل الله دعاءهم وغفر لهم، وهذا من أجل الأدعية بهذه الطريقة التي يعترف بها الإنسان بذنبه وتقصيره في حق الله، ويطلب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرحمه، وأن يغفر له، هذا المقصود.

ومثل قول نوح لما لامه الله بسؤال نجاة ابنه الكافر الذي ليس من أهله، وأن هذا عمل غير صالح، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

فتوسل بربوبية الله واستعاذ به أن يسأله سؤالًا ليس له به علم، وإنما حمله عليه مجرد محبة النفس لا إرادة رضى الله، واعترف بأن هذا الذي جرى منه يوجب التضرع والاستغفار وأنه إن لم يغفر له ربه ويرحمه كان من الخاسرين.

فالناس قسمان:

رابحون: وهم الذين تغمدهم الله بمغفرته رحمته.

وخاسرون: وهم الذين فاتتهم المغفرة والرحمة ولا يحصل ذلك إلا بالله.

الشرح:

هو لا يزال يمشي على الأدعية، هذا دعاء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يأت بجميع أدعية نوح، نوح له أدعية كثيرة، وأيضًا في سورة نوح ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨]، وغيرها.

لكن هنا أتى بالدعاء الذي أراد أن يقف عنده الشيخ، يقول: إن نوحًا سأل الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ [هود: ٤٥]، فرد الله عليه وقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦]، هذا كافر وأهلك المؤمنون فقط، وأن ابنه ليس من أهله، وأن هذا عملٌ غير صالح، ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦]، وفي قراءة: **"إنه عَمِل غير صالح"**، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧]، انظر يتوسل ربوبية الله، الشيخ يريد أن يركز على هذه النقطة.

يقول: إن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ توسل بربوبية الله فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي﴾ [هود: ٤٧]، هو استعاذ بالله، والاستعاذة من العوذ وهو اللجوء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والاعتصام بالله أن يسأله شيء ليس له به علم ولا معرفة، قال: ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧].

قال: (وإنما حمله عليه مجرد محبة النفس لا إرادة رضا الله، واعترف بأن هذا الذي جرى منه يوجب التضرع والاستغفار وأنه إن لم يغفر له ربه ويرحمه كان من الخاسرين) قال: إن لم تغفر لي وترحمني يا

رب؛ فإنني على خطر وهو أن أكون من الخاسرين، انظر مع أنه نبي من أولي العزم ومع ذلك يخشى على نفسه أن يكون من الخاسرين.

يقول الشيخ في ختام هذا الدعاء: **(فالناس قسمان: رابحون: وهم الذين تغمدهم الله بمغفرته رحمته. وخاسرون: وهم الذين فاتتهم المغفرة والرحمة ولا يحصل ذلك إلا بالله)** استنباطًا من قوله: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، فدل على أن من غُفر له ورحمه الله فهو من الفالحين، ومن لم يكن كذلك فهو من الخاسرين.

ومن ذلك دعاء إبراهيم خليل الرحمن، وابنه إسماعيل، وهما يرفعان قواعد البيت: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨].

فتضرعا إلى ربهم في قبول الله عملهما، وأن يكون كاملاً من كلّ وجه، وتحصل منه الثمرات النافعة، وتوسلاً إليه بأنه السميع لأقوالهما، العليم بجميع أحوالهما، ولما دعوا بهذا الدعاء الخاص في قبول عملهما سألا الله أجل الأمور وأعلاها وهو أن يمن الله عليهما وعلى من شاء من ذريتهما بالإسلام لله ظاهرًا وباطنًا، والعمل بما يحبه ويرضاه، وأن يعلمهما العمل الذي شرعا فيه، ويكمل لهما مناسكهما علمًا ومعرفة وعملاً وأن يتوب عليهما لتتم أمورهما من كلّ وجه، فاستجاب الله هذا الدعاء كله، وبارك فيه وحقق رجاءهما، والله ذو الفضل العظيم.

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ اختار من هذه الأدعية ويقف عندها ويتأملها، في تأملات، غالبًا ما يتأمل عند كلمة **"ربنا"** أو **"يا رب"** أو **"ربي"**، يقول: تضرعا إلى الله الذي هذا ربهم ، رباهم وخلقهم ورزقهم، وهداهم، كلّ هذه من التربية، يتضرعون إلى الله بأجل الأسماء أو أجل الصفات وهو صفة الربوبية له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا الذي يريد الشيخ أن يقف عنده.

لاحظ أنهم يتوسلون أيضًا بالأسماء الحسنى، في قوله: ﴿تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، فيتوسلون إلى الله بالأسماء الحسنى، فينبغي للإنسان عند الدعاء أن يتوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا.

طيب أليسوا مسلمين؟

كيف يقول: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]؟

كيف يدعون بالإسلام وهم في مقدمة المسلمين؟

لعل يقصدون بذلك الثبات، الثبات والزيادة، مثلما تقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وأنت على الصراط المستقيم تريد الزيادة والثبات، وهم يريدون الزيادة في الإسلام، والثبات عليه.

قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً﴾ [البقرة: ١٢٨]، كم منّ عليهم أم يمنّ على ذريتهم بأن تكون ذرية مسلمة.

قال: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]، هذه جميلة جدًا، هذه الدعوة تفوت على الكثير على الناس، ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]، يعني أرنا أعمالنا التي نعملها في رضاك، الإنسان قد تفوته أعمال كثيرة من أعمال اليوم والليلة، عمل اليوم والليلة كثير، قد يفوته شيء فهو يسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يبصره وأن يوفقه وأن يدله على ألا يفوته شيء من هذه الأعمال، قد يمضي عليك يوم كامل وأنت ما عملت شيء، لا في ذكر، ولا في قراءة، و لا في صلاة.

قد تفوتك تكبيرة الإحرام، قد يفوتك الكثير من السنن؛ فأنت تسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يريك أعمالك، وأن يوفقك وأن يسددك أعمالك، قد يفوت عليك قيام الليل، وقد يفوت عليك كذا، فهذا مقصود الدعاء ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، فهذه دعوة جميلة.

وقد ختمت الآية باسمين: ﴿التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، لتناسبها مع التوبة، الذي يتوب عليك هو التواب الرحيم، يرحمك ثم يتوب عليك، وهذا مقصده.

ولاحظ أنهم أنبياء إبراهيم، وإسماعيل، مع ذلك يقولا: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]، مما يدل على أن الإنسان من طبيعته التقصير، وأنه يلجأ إلى الله بكثرة الدعاء، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نادى المؤمنين جميعًا قال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

فنادى المؤمنين كلهم بأن يتوبوا إلى الله، والتوبة مطلوبة من كلّ إنسان مهما عمل، ومهما حصل عليه من منة ومن هداية ومن كذا إلا أنه مفتقر إلى ربه بأن يتوب إليه في كلّ وقت، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مجلسه كان يستغفر مائة مرة، «**أستغفر الله وأتوب إليه، أستغفر الله وأتوب إليه**»، الإنسان ليس بغني عن مغفرة الله عَزَّ وَجَلَّ له، وعن أن يتجاوز عنه.

عمومًا هذه كلها أدعية اختارها الشيخ ويتأملها ويقف عندها، وهي في الحقيقة تحتاج من أيضًا تأمل كثير، ووقفات.

طيب نقف عند يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم دعاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على بينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛...

اللّٰهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا وعلمًا يا رب العالمين.

أيها الأخوة الكرام الكتاب الآخر الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية) لمؤلفه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

هذا الكتاب جمع فيه بعض الآيات التي فيها تدبرات وفيها تأملات، كتاب مختصر جدًا أورد فيه الشيخ مواضع فيها تأملات، يأخذ الآية ويتأملها ويتدبرها، يختار آيات من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لم يرتبه على ترتيب السور؛ وإنما يقف على آيات يتدبرها.

جلسنا عدة مجالس في هذا الكتاب وهذا هو المجلس الخامس عشر وفي هذا اليوم الاثنين الثامن والعشرون من شهر جمادى الآخرة من عام ١٤٤٣ صحفة ٥٤.

هذه الآن المجالس التي أخذنا شيئًا منها وسنواصل فيها هي تتعلق بـ**"أدعية القرآن"** الشيخ يقف عند هذه الأدعية ويبين ما فيها من لفتات ومن فوائد.

وكذلك دعاء يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

فتوسل إلى الله بربوبيته وبنعمة الله عليه، بنعمة الدنيا وهي الملك وتوابعه، ونعمة الدين وهي العلم الكامل، وبولاية الله وانقطاعه عن غيره، وتولي الله له في الدنيا والآخرة، أن يثبته على الإسلام الظاهر والباطن؛ حتى يلقاه عليه، فيدخل في خُلص عباده الصالحين.

الشرح:

هذا دعاء يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر حياته، وفي آخر القصة قصته في سورة يوسف دعاء يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا الدعاء.

الشيخ السعدي لما جاء عند هذا الدعاء استنبط فوائد جميلة:

أكبر فائدة: أن الإنسان إذا أراد أن يدعو ربه يتوسل بالأشياء التي تكون سببًا في قبول الدعاء، إما بأعماله الصالحة، أو يتوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، أو بأفعال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذا المقصد، هناك عدة أشياء يتوسل بها الإنسان.

نحن نعرف الثلاثة الذين دخلوا الغار وأطبقت عليهم الصخرة دعوا بصالح أعمالهم، الذي قال: إن لي أبوين، وهذا قال كذا، وهذا قال كذا، فالإنسان يضطر أحيانًا إلى الدعاء يعني يكون مضطرًا إلى الدعاء فيلجأ إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الدعاء أن الله يستجيب دعوته فيقدم مقدمات تكون سببًا في قبول الدعاء.

هذا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، نبي ورسوله، وشرفه الله بالرسالة والنبوة، ومع ذلك يدعو ويتوسل إلى الله، يتوسل بأي شيء؟ نحن يمكن نقرأ هذه الآية وما نقف عند هذه الوقفة الجميلة، يقول: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ [يوسف: ١٠١].

أول توسل؛ توسل بأن الله ربه، قال: أنت ربي، أن خالقي، وأنت رازقي، وأنت الذي أوجدتني من عدم فأنت ربي لا رب لي سواك.

أنت لما تأتي في الدعاء تقول: يا رب أنت ربي لا رب لي سواك هذا توسل، توسل باسم من أسماء الله الحسنى وهو الرب، وبصفة الربوبية والرزق والإيجاد وغيره.

يقول: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ [يوسف: ١٠١]، يقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: **(فتوسل إلى الله بربوبيته وبنعمة الله عليه)** نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، ما هي نعمة الدنيا؟ أن الله أعطاه الملك، قال: ﴿آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ [يوسف: ١٠١]، هذه نعمة الدنيا، أعطاه الله الملك حتى رفعه، يكفي أن يوسف بيع في سوق مصر، ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ﴾ [يوسف: ٢٠]، ومع ذلك صبر وكانت العاقبة طيبة، فرفع الله مقامه حتى أصبح ملك مصر، ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١]،

قال: **(بنعمة الدنيا وهي الملك وتوابعه، ونعمة الدين)** نعمة الدين أن الله أعطاه من العلم، قال: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١]، هذه نعمة الدين أن الله فتح عليه في تأويل الأحاديث، والعلم الذي دعا قومه إليه.

ثم توسل بأي شيء؟

بولاية الله وانقطاع الولايات الأخرى قال: ﴿أَنْتَ وَلِيِّي﴾[يوسف: ١٠١].

طيب كيف عرفنا انقطاع الولايات الأخرى؟

لأن جملة ﴿أَنْتَ وَلِيِّي﴾[يوسف: ١٠١]، تسمى **"صيغة الحصر أو القصر"** يعني أنت وليي فقط، ما لي ولي غيرك، فهذا أسلوب، قال: ﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[يوسف: ١٠١]، ما في ولي غيرك، قال: **(وانقطاعه عن غيره، وتولي الله له في الدنيا والآخرة)**.

ثم قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١]، يعني ثبتني عند الوفاة على الإيمان هذا معناه، لما تقول: اللّٰهم توفني مسلمًا يعني ارزقني حسن الخاتمة وتوفني على الإيمان وعلى الإسلام.

قال: **(حتى يلقاه عليه، فيدخل في خُلص عباده الصالحين)** انظر إلى التواضع، نبي ورسوله ووصل هذه الكرامة وهذه المنزلة، يقول: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١]، هذا تواضع منه، والمؤمنون في سورة آل عمران يقولون: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾[آل عمران: ١٩٣].

مع أنهم في هذه المنزلة ولكن يقولون: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾[آل عمران: ١٩٣]، تواضع منهم، وسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كما سيأتي بعد قليل؛ قال: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[النمل: ١٩].

إذا كان سليمان، ويوسف، وهؤلاء الذين وصلوا هذه المنزلة يقولون: أدخلنا مع هؤلاء يا رب، لا تحرمنا الدخول معهم، فكيف بحالنا؟! إذًا فيها تأملات عجيبة في هذه الآية.

ومن ذلك دعاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

فتوسل إلى الله بربوبيته، وبنعمته عليه وعلى والديه، أن يوزعه أي يلهمه ويوفقه لشكرها بالاعتراف بها، محبته لله عليها والثناء عليه، والإكثار من ذكره، وأن يوقفه عملاً صالحًا يرضاه، ويدخل في هذا جميع الأعمال الصالحة ظاهرها وباطنها، وأن يدخله برحمته في جملة عباده الصالحين، وهذا الدعاء شامل لخير الدنيا والآخرة.

الشرح:

قال: (لخير الدنيا والآخرة) يعني خير الدنيا وخير الآخرة، هذا يسمونه **"حذف المضاف"** هذا صحيح في اللغة العربية، هو كأنه يقول: خير الدنيا وخير الآخرة، فحذف الآخر لأنه معلوم مثل ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]، يعني عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فحذف للدلالة، هذه لغة واضحة.

هذا الآن الموقف الثاني أو الشاهد الثاني وهو: "دعاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ" سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مثلما ذكرنا يقف مع أدعية القرآن، سواء كانت أدعية أنبياء أو غير أنبياء كما سيأتي.

وقف الآن مع يوسف، ثم مع سليمان، يتوسل سليمان، يتوسل بأي شيء؟ يتوسل بالربوبية، أين الربوبية؟ قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ [النمل: ١٩]، وهذا كثير في الأنبياء، أغلب الأنبياء في القرآن وغيرهم يتوسلون باسم الربوبية، كثير بصفة الربوبية، وأنت حتى في دعائك **"رب اغفر لي"**، **"رب ارحمني"**، **"رب آتني"** حتى تشعر بنفسك أنك مفتقر إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأن الله هو ربك، هو الذي خلقك وأوجدك، وهو المطلع وعالم بحالك، فتوسل بربوبيته.

ثم أيضًا بنعمة الله على سليمان، يقول: ﴿أَوْزِعْنِي﴾ [النمل: ١٩]، ما معنى أوزعني؟ ما معنى كلمة أوزعني؟ أوزعني هنا معناها ألهمني، ألهمني أن أشكر، يعني وفقني ويسر لي الشكر، هذا معناها، وأحيانًا كلمة **"أوزع"** و**"يوزع"** في لغة العرب، فهذا يدل على سعة لغة العرب، وعلى عظمة القرآن.

تجد أحيانًا كلمة لها معنى هنا، وتجد في موضع ثاني لها معنى، وفي موضع ثالث لها معنى، يعني كثير في القرآن هذا، ما يمكن الإنسان أن يتكلم القرآن من نفسه، تجد كلمات تختلف، فلما يقول: ﴿يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩]، يعني يُجمع أولهم إلى آخرهم، ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩]، يعني يُجمع أولهم إلى آخرهم ثم يدفعون دفعة واحدة، فتجد **"يوزع"،"أوزع"** لها معاني، فهنا قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ [النمل: ١٩]، أي ألهمني رشدي، أو ألهمني كذا، ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩]، هذه النعمة التي اعترف بها سليمان، النعمة ليست علي أنا فقط؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

ثم قال: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [النمل: ١٩]، شوف نبي ورسول ويقول: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [النمل: ١٩]، كلّ هذا دعاء منه، ﴿وَأَدْخِلْنِي﴾ [النمل: ١٩]، هذه أشد دليل على تواضعه الشديد، ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، مع أنه وصل إلى مكانية عالية ومع ذلك يقول: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

عمومًا هي تأملات عجيبة من الشيخ وفيها فوائد أن الإنسان يدعو بصالح الأعمال، ويفتقر إلى الله، ويعترف بذنوبه، ويعترف بتقصيره.

ومثل هذا دعاء الذي بلغه الله أشده وبلغه أربعين سنة، ومن عليه بالإنابة إليه فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

فتوسل بربوبية ربه له، وبنعمته عليه وعلى والديه، وبالتزام ترك ما يكرهه ربه بالتوبة وفعل ما يحبه بالإسلام أن يمن عليه بالشكر المتضمن لاعتراف القلب، وخضوعه ومحبته للمنعم، والثناء على الله مطلقًا، ومقيدًا، وأن يوفقه لما يحبه الله ويرضاه، ويصلح له في ذريته، فهذا دعاء محتو على صلاح العبد، وإصلاح الله له أموره كلها، وإصلاح ذريته في حياته وبعد مماته، وهو دعاء حقيق بالعبد خصوصًا إذا بلغ الأربعين أن يداوم عليه بذل وافتقار لعله أن يدخل في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦].

الشرح:

هذه الآية واردة في سورة الأحقاف، واردة على لسان أي من الأنبياء؟ نقول: ليست واردة على لسان أي من الأنبياء، وإنما ساق الله الرجل الصالح جنس الرجل الصالح عمومًا، وساق الله الرجل الذي ليس على الصلاح الذي قال لوالديه: ﴿أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي﴾ [الأحقاف: ١٧]، إلى آخره.

ذكر الله هذا وبيّن، وهذا فيه تعليم للناس، لما يذكر الله هذا الرجل ولم يحدد من هو تعليم للناس أن يكونوا على هذا المنهج، الشيخ السعدي أتى بهذه الآية وفيها هذه اللفتات الجميلة منها الافتقار والتوسل بالربوبية، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ [الأحقاف: ١٥]، أي ألهمني، ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]، مثلما مر معنا في قصة سليمان.

قال: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الأحقاف: ١٥]، نفس الذي عند سليمان، هناك قال: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥]، لأنه قال: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥]، لأن سن الأربعين كمال الرشد، وكمال العقل؛ لأن قبل الأربعين قد يكون عنده بعض النقص وكذا.

ولذلك الأنبياء يبعثون في سن الأربعين، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث في سن الأربعين؛ لأن عمر الأربعين وما بعده هو عمر الثبات، والاستقامة، وهذا لا يعي أن الإنسان إذا كان دون الأربعين في

العشرين أو الخمسة والعشرون أو الثلاثين أنه ما يدعو؛ بل يدعو ويتمنى أن يكون سنه كسن الأربعين، وعقله كعقل الأربعين، ولكن الله يعطيك أن هذا هو عقل التمام والرشد، لكن ما قبله ما يمنع.

تجد بعض الناس الآن عمره عشرين أو اثنين وعشرين أو ثلاثة وعشرين أسنانكم ولكنه في تمام عقله في الأربعين، وتجد من هو وصل إلى الأربعين ولا يزال سفيهًا لا يحسن التصرف، لا يصلي، وتجده يضيع ماله، ومسرف على نفسه بالمعاصي، ما يعني الأربعين أن كلّ واحد وصل إلى الأربعين صار خلاص يصير على أحسن حال لا؛ بل بعض الناس إلى الستين وهو ما يدرك هذه الأشياء.

لكن الله عَزَّ وَجَلَّ بين لنا أن الأغلب أن الإنسان إذا وصل الأربعين أنه يصل إلى هذه الدرجة التي يقف عندها ويتأمل ما الذي مضى من عمره وما الذي سيبقى؟

قال: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥]، وهذا أجل شيء أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يصلح لك الذرية، فالذرية عونٌ لك على الطاعة، فإذا فسدت الذرية أتعبت الإنسان، ولذلك الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ قتل الغلام، وأخبر قال: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].

أحيانًا الذرية إذا كانت ذرية فاسدة أتعبت الوالدين، وأشقت الوالدين، ولذلك من أجل الأدعية أن تدعو بصلاح الذرية، لا تدعو بالذرية، بعض الناس يتزوج يقول: اللّهم ارزقني الذرية لا، ارزقني الذرية فقط؛ بل اللّهم ارزقني ذرية صالحة.

امرأة عمران ماذا قالت؟ قالت: ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨]، وذكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨]، ما قال ذرية؛ بل ذرية طيبة.

قال: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]؛ لأن السن هو سن العودة إلى الله، والتوبة والثبات، ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

كلها تأملات عجيبة من الشيخ، لعل نقف عند هذا القدر، وإن شاء الله الكتاب مليء بالتأملات، ومليء بالتدبرات، والآن لا يزال الشيخ يأتي بالأدعية، الآن سيأتينا دعاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأيضًا سيأتي أدعية أخرى سواء من الأنبياء أو من أصحاب الكهف، ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

وأدعية كثيرة، حملة العرش الملائكة يدعون يقولون: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [غافر: ٨]، وهكذا، كلّ هذه أدعية سيسوقها المؤلف إن شاء الله ونستمر معها، فيها تأملات، وفيها فوائد.

نقف عند هذا القدر، وإن شاء الله نستكمل في اللقاء القادم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛... أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، والدرس الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية) وهو الدرس السادس عشر من دروس قراءة هذا الكتاب المبارك (المواهب الربانية) للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى، قرأنا في هذا الكتاب والآن نواصل ما توقفنا عنده.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤]، مستريحًا لذلك الظل بعد التعب، فقال: في تلك الحالة مسترزقًا: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

أي إني مفتقر للخير الذي تسوقه إلي، وتيسره لي، وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال قد يكون أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة راجيًا ربه متملقًا مفتقرًا إليه، معلقًا رجاءه بالله وحده حتى فرج كربه، وجلا همه، والله هو الرزاق.

الشرح:

هذه دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدما وصل إلى مدين بعد التعب والمشقة والخوف، واستقر وشعر بالراحة والاستقرار دعا بهذه الدعوات لما تولى إلى الظل، بعدما حصل ما حصل معه من الوقوف مع المرأتين، قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

يقول الشيخ هنا: **(وهذا سؤال منه بحاله)** يقول: انظر إلى حالي افتقار يعني، السؤال بالحال ورد في عدد من سور القرآن الكريم، منها قصة أيوب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، يعني شوف حالي هذه مسني الضر، وفي آية أخرى قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

ومنها أيضًا دعاء يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكرب، ما قال: **"أخرجني، ونجني"** ولكن قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ولا أني أسأل ولا شيء إلا أنه يقول: هذه حالي فقط، ويعترف بتقصيره.

يقول: **(والسؤال بالحال قد يكون أبلغ من السؤال بلسان المقال)** الإنسان أحيانًا يستحي من ربه، وأحيانًا يقول: ماذا أقول؟ فهذه حالي، فالانكسار بين يديه أشد، والتضرع إلى الله بهذه الصورة، والافتقار إلى الله التملق بهذا أو أقوى.

ومن ذلك الأدعية التي أمر الله بها رسوله وعباده المؤمنين فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]، فهذا توسل إلى الله بربوبيته ورحمته الواسعة في حصول الخير، ودفع الشر كله، وهي المغفرة التي تندفع بها المكروهات، والرحمة التي تحصل بها جميع المحبوبات.

وكذلك قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]، فهذا توسل إلى الله بروبيته أن تكون مداخل العبد ومخارجه كلها صدقًا، وذلك أن تكون صالحة خالصة لوجه الله، مقرونة بالاستغاثة بالله والتوكل عليه، وذلك يستلزم أن تكون حركات العبد كلها ظاهرها وباطنها طاعة لله وعملاً بما يحبه الله ويرضاه وهذا هو الكمال من جهة العمل، وأما الكمال من جهة العلم؛ فإنه يجعل الله له سلطانًا نصيرًا، أي حجة ظاهرة ناصرة، وقوة يحصل بها نصر الحق وقمع البطل، فيحصل باستجابة هذا الدعاء العلم النافع والعمل الصالح والتمكين في الأرض.

وقال تعالى لرسوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فالعلم أجل الأشياء وبه تعرف جميع الأشياء، فسؤاله وسؤال الزيادة منه من أفضل ما سأل السائلون.

الشرح:

جمع الشيخ عدة أدعية كلها جميلة، واستنباطات دقيقة جدًا، الإنسان قد يقرأ كثير وتمر عليه هذه الأدعية ولكن يفوته الشيء الكثير، يقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ [المؤمنون: ١١٨]، لماذا قال: اغفر وارحم، ولماذا قدم المغفرة على الرحمة؟

قال: طلب العفو، والتجاوز، ودفع الشر، والرحمة، وحصول الخير، أن يغفر الله لك ويتجاوز عنك، ويدفع عنك الشرور، والرحمة جلب الخير لك، قال: **"المغفرة دفع المكروهات والرحمة تجلب المحبوبات"** عبارة دقيقة نقرأها وأحيانًا على ألسنتنا ولكن لا نتأمل هذا المعنى.

أيضًا هذا الدعاء الذي ساقه في سورة الإسراء جميل جدًا، يقول: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

يعني جملتان: الجملة الأول الدعاء في الدخول والخروج ونحو ذلك، قال: **"في العمل والعمل"** يقول: الأول في العمل وهو التوسل إلى الله بربوبيته، وهذا معر معنا كثير، قال: **(أن تكون مداخل العبد ومخارجه كلها صدقًا، وذلك أن تكون صالحة خالصة لوجه الله)** في حياته كلها، في نومه، وفي قيامه، وفي صلاته، وفي عبادته، وفي أعماله، وفي جلوسه مع أهله، وفي زياراته، أحيانًا الواحد يزور أخوه، ويروح ويأتي، ويسافر، أنت سافرت احتسب الأجر عند الله، جبت أشياء لاحتياجات البيت كلّ هذه احتسب فيها الأجر.

قال: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]، يقول: كلّ ذلك **(مقرونة بالاستغاثة بالله والتوكل عليه)** انظر إلى الجملة هذه قال: **(أن تكون حركات العبد كلها ظاهرها وباطنها طاعة لله وعملاً بما يحبه الله ويرضاه وهذا هو الكمال من جهة العمل)** هذا هو العمل، أم العلم ففي قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]، قال: هذا العلم؛ لأنه يجعل له سلطانًا نصيرًا وحجة ظاهرة ناصرة، **(وقوة يحصل بها نصر الحق وقمع الباطل، فيحصل باستجابة هذا الدعاء العلم النافع والعمل الصالح والتمكين في الأرض)** التمكين في الرض من قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]، تكون لك حجة قوية.

الدعاء الأخير قال: **(وقال تعالى لرسوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فالعلم أجل الأشياء وبه تعرف جميع الأشياء، فسؤاله وسؤال الزيادة منه من أفضل ما سأل السائلون)** أن الله يزيدك علم وينفعك بعلمك.

نقف عند هذا القدر، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛

أما بعد ...

عندنا كتاب آخر وهو (المواهب الربانية) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، هذا الكتاب قرأنا فيه في مواضع كثيرة، ونواصل الآن ما توقفنا عنده، وهذا المجلس السابع عشر.

ومن أجمع الأدعية وأحسنها توسلاً دعاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين تضرع إلى ربه فقال: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۝١٥٥ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٥- ١٥٦].

فتوسل إلى وليه بولايته لعبده، وحسن تدبيره، وتربيته ولطفه على حصول المغفرة والرحمة، وكذلك توسل بكمال مغفرة الله وسعة جوده على هذا، ورتب على هذا حصول حسنة الدنيا والآخرة؛ فإنه إذا حصلت المغفرة زالت الشرور كلها ، والعذاب كله، وإذا حصلت الرحمة حل الخير وحسنات الدنيا والآخرة، فيكون قوله: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ، نظير قوله: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١].

مع زيادة التوسل بولاية الله، وكمال غفرانه، ومع طلب مغفرته ورحمته اللذين بهما تنال حسنة الدنيا والآخرة، ثم ختم دعاء بالتوسل إلى ربه بالإقبال إليه، والإنابة إليه والتذلل لعظمته فقال: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي رجعنا إليك في مهماتنا وأمورنا، لا نرجع إلى غيرك لعلمنا أنه لا يكشف السوء ولا يجيب المضطر إلا أنت، ورجعنا إليك في عباداتنا الظاهرة والباطنة.

الشرح:

فعلاً الشيخ سبحان الله العظيم يتدبر كلّ كلمة، وكلّ حرف يدخل على الكلمة يقف عنده، يقف على كلمات جملة جدًا، قد يكون الإنسان يقرأ هذه أو يمر بها أو يقرأ تفسيرها أحيانًا من كتب التفسير لا يجد هذا

التدبر والتأمل فيها، الشيخ يقول: **"هذا من أحسن الأدعية ومن أجمعها بالتوسل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ"** كيف يتوسل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ربه ويتضرع إليه؟ بأي شيء؟

أولًا قال: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فذكر أنه لا ولي إلا الله، ولا ناصر إلا الله، فيقول: نحن تحت ولايتك وأنت ولينا وأنت مدبر لأمورنا، هذا توسل بفعل من أفعال الله، بصفة من صفات الله باسم؛ لأن من أسمائه الولي، باسم من أسمائه؛ فهذا توسل إلى الله.

لما توسل إلى الله قال: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، حتى في جملة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فيها توسل، ليس فوقك أحدٍ أشد مغفرة منك سبحانك.

ثم زاد على ذلك قال: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، طلب أفضل الأدعية التي حث عليها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاءت في القرآن، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

بل قال: إن هذا فيه زيادة، لما قال: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، يعني حسنة الدنيا وحسنة الآخر، قال: وتوسل بالإقبال إلى الله عَزَّ وَجَلَّ إلى ربه، والإنابة، قال: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فجمع عدة توسلات في آية واحدة، توسل بقوله: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وقوله: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وقوله: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وتبنا إليك ورجعنا إليك، وأنت الذي تتوب علينا، وأنت الذي تقبل توبتنا، كلّ هذه تجمع لك عدة أشياء يتوسل بها العبد إلى ربه.

فقوله: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، من أجمع الأدعية؛ لأنك تسأل الله عَزَّ وَجَلَّ خير الدنيا، وخير الآخرة، حتى قال بعض السلف أن المراد بقوله: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، قالوا: العلم النافع والعمل الصالح، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، الفوز بالدار الآخرة والنجاة من النار، فهذا من أجمع الأدعية.

ومن ذلك دعاء أصحاب الكهف إذ فروا إلى الله بدينهم؛ فقالوا ملتجئين إليه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، فتضرعوا إليه في أن يؤتيهم من لدنه رحمة بحي إذا حلت عليهم سَلِم لهم دينهم.

قوله: (حلت) يعني نزلت بهم، أو قد يكون "سلّم"، "إذا حلّت سلّم لهم".

وحفظهم من الفتن، وأنالهم بها الخير، وأن يهيئ لهم من أمرنا رشدًا أي ييسرهم لليسرى، ويسهل لهم الأمور، ويرشدهم إلى أرفق الأحوال؛ فاستجاب لهم هذا الدعاء، ونشر عليهم رحمته، وحفظ أديانهم وأبدانهم وجعل فيهم بركة على أنفسهم وعلى غيرهم.

الشرح:

هذا الدعاء في ظاهره يعني ما في توسل إلا باسم من أسماء الله، لما قالوا: **"ربنا"** لكن الشيخ ركز على قضية اختيار هذه الألفاظ في الدعاء والتضرع، هم تضرعوا بأي شيء؟ لأنهم الآن في خوف وفي رعب من قومهم أو من أحد يعتدي عليهم، وتعرف أن الإنسان إذا كان فارًا بدينه، وخائفًا ممن يعتدي عليه تجده في قلق وغير مطمئن، فما الذي يحتاج إليه؟

يحتاج إلى إنزال السكنية عليه، نزلت السكينة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أي مكان؟ لما كان في غار ثور، لما كان في جبل ثور في شدة الرعب والخوف والأعداء محيطين به، وليس معه أحد إلا شخص واحد، وليس معه سلاح ولا قوة؛ فنزلت السكينة عليه، حتى صاحبه يحزن ويزيد حزنًا فيقول: **"لا تحزن اطمئن"** مثلما أنا مطمئن اطمئن؛ فالله معنا.

ففي مثل هذه المواقف العصيبة يحتاج الإنسان إلى إنزال سكينة إنزال رحمة، ولذلك هم ما سألوا أي شيء يحتاجون إليه إلا أن ينزل عليهم الرحمة، ﴿آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

ومعنى تهيئة الرشد لهم في أمورهم أن تيسر أمورهم كما ذكر الشيخ هنا؛ قال: (ييسرهم لليسرى، ويسهل لهم الأمور، ويرشدهم إلى أرفق الأحوال) التي تطمئن بها قلوبهم وتنشرح صدورهم، ومع ذلك لما دخلوا الغار وهم مجهدين ومتعبين أول رحمة نزلت عليهم أن الله أنزل عليهم النوم فناموا، والنوم راحة

للجسم، وراحة للعقل، ولذلك حتى في الغزوات يُنزل الله من السماء مطرًا لينشط ويذهب النعاس عنهم، فالنوم قد يكون فيه مصالح.

وهذا الدعاء من أجمع الأدعية كما ذكر الشيخ، دعاء مختصر لكن تلاحظ أنه يناسب الحال، كلّ حالة وكلّ موقف يكون له ما يناسبه، فهؤلاء في حالة يحتاجون إلى مثل هذا الدعاء.

الشيخ ما زال ينظر في الأدعية القرآنية ويجمعها، ويمشي عليها، غير مرتب للسور؛ لكنه يقف مع هذه الأدعية ويستخرج منها.

ومن ذلك دعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة المقربين حين دعوا للمؤمنين، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧، ٩].

وهذا دعاء جامع وتوسل نافع، فتوسلوا بربوبية الله تعالى، وسعة علمه ورحمته المتضمن علمه بحال المؤمنين، وما خلقهم عليه من الضعف، ورحمته إياهم لكونه جعل الإيمان أعظم وسيلة تنال بها رحمته أن يغفر للمؤمنين والملتزمين للإيمان، وهم الذين تابوا مما يكرهه الله واتبعوا سبيله بالتزام ما يحبه ويرضاه فيغفر ذنوبهم، ،يقيهم أشد العذاب وهو عذاب الجحيم.

وأن يُنيلهم أعظم الثواب، وهو دخول جنات عدن التي وعدهم على ألسنة رسله، وتمام ذلك أن يقرأ أعينهم باجتماعهم بآبائهم، وأزواجهم وذرياتهم الصالحين، ثم توسلوا بكمال غزة الله وكمال حكمته، لأن المقام يناسب هذا، فمن كمال عزته واقتداره أن يحفظهم ويحول بينهم وبين السيئات، ويصرف عنهم السيئات، وينيلهم أنواع المثوبات.

ومن كمال حكمته أن الموصفين بتلك الصفات هم أهل لأن يغفر لهم ويرحمهم، ويدفع عنهم السوء وينيلهم الأجر.

ولما دعوا أن يغفر لهم السيئات التي فعلوها دعوا الله أن يقيهم سيئات أنفسهم الأمارة بالسوء بأن يحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم، ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ويجعلهم من الراشدين.

وأن من لازم وقاية السيئات حصول رحمة الله، وهذا دعاء عظيم صادر من أعظم الخلق معرفة بالله، ولذلك وصف الله من حصلت له هذه الأمور بالفوز بكل مطلوب، والنجاة من كلّ مرهوب فقال: ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

الشرح:

هذا دعاء صادر من الملائكة، وليس من أي ملائكة، لا؛ بل هم حملة العرش المقربين، يدعون ربهم لهؤلاء المؤمنين، لماذا؟ لما ذكر فيهم من أوصاف المؤمنين، ذكر الله أوصافهم.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلمنا كيف تدعو الملائكة حتى نقتدي بهذه الأدعية، أول شيء التضرع إلى الله بربوبيته وخلقه، قال: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، التضرع إلى الله بسعة علمه ورحمته، ثم قال: ﴿فَاغْفِرْ﴾ [غافر: ٧]، فاغفر لمن؟ قال: ﴿لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

فدعوا بالمغفرة لمن؟ لهؤلاء الذين سلكوا طريق النجاة واتبعوا سبيل الرسل واتبعوا شرع الله، وتابوا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومن أدعيتهم قالوا: ﴿رَبَّنَا﴾ [غافر: ٨]، مرة ثانية، توسل، ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [غافر: ٨]، كلهم يدخلون الجنة لصلاح عملهم، لما تابوا واتبعوا وصلحت أعمالهم يعني نالهم هذا الخير العظيم، قال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ [غافر: ٨]، بقوتك، ﴿الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨]، بتدبيرك.

قال: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ [غافر: ٩]، هذه جملة الحقيقة تحتاج منا وقفة، ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ [غافر: ٩]، كيف يدعون الله أن يقي المؤمنين السيئات؟ كيف يقيك السيئات الله؟ كيف يحميك؟

قالوا: معنى هذا والله أعلم أن الله يصرف عنك الأمور التي توقعك في السيئات، هذا من أجمل الأدعية، أن تدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يصرف عنك؛ لأن الإنسان أحيانًا تقع عينه على حرام، يقع سمعه على حرام، تمشي رجله إلى حرام، قد توسل نفسه مهما كان، النفس ضعيفة فتتأثر.

فأنت تدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يحمي جوارحك من الحرام، من أي وجه من الوجوه التي تُغضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا يرضى الله بها، هذا معنى ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ [غافر: ٩]، يعني أنك تحفظهم من الوقوع في السيئات، ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ [غافر: ٩].

فإذا وقاهم الله السيئات في الدنيا وقاهم السيئات في الآخرة بأن يحفظهم من الوقوع في النار، وهذا من أجمل الأدعية، ويكفي أنه دعاء من لم يعص الله، ودعاء من هو أقرب الخلق إلى الله، وهم الملائكة وحملة العرش، فهذه نعمة من الله أن يدعو لمن تاب، ولذلك فيه حث على التوبة والإنابة والرجوع إلى الله حتى تدخل في زمرة هؤلاء.

وكذلك دعاء الذين اتبعوا المهاجرين والأنصار بإحسان؛ حيث قال تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فتضرعوا إلى ربهم، وتوسلوا إليه بربوبيته ونعمته عليهم بالإيمان، وبسعة رحمته ورأفته أن يغفر لهم ولجميع إخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان، وأن يُصلح الله قلوبهم بالاجتماع على الإيمان، ومحبة بعضهم بعضًا، وأن لا يجعل في قلوبهم أدنى غل لكل من اتصف بالإيمان.

وهذا الدعاء يتضمن حصول الخير لهم ولإخوانهم، ودفع الشر عنهم وعن أخوانهم، وقد أخبر الله أن أنبياءه تضرعوا إليه في مطالب خاصة، ومطالب عامة، وتوسلوا بكمال أسمائه وصفاته، وبما منّ الله عليهم به من الإيمان، والنعم الدينية والدنيوية، وبما كانوا عليه من الفقر والضعف، وشدة الضرورة إلى ربهم في جميع أمورهم، فهذه الأدعية التي أمر الله بها، وحث عليها ومدح أهلها هي الأدعية النافعة التي لا يليق بالعبد أن يختار عليها غيرها من الأدعية المصطلحة، والألفاظ المخترعة التي لا نسبة لها إلى هذه الألفاظ القرآنية.

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم من الأعمال والأقوال، الباطنة والظاهرة، ومن ذلك الأدعية، وكم في السنة من الأدعية النبوية مما يوافق الأدعية القرآنية، فنسأله تعالى أن يهدينا لأحسن الأمور، ويصرف عنا جميع الشرور، إنه جواد كريم رءوف رحيم.

الشرح:

هذا الدعاء الأخير الذي ذكره الشيخ، وفي أدعية كثيرة في القرآن في سورة الممتحنة أدعية، وفي سورة النساء أدعية، في مواضع في البقرة، ولكن الشيخ اقتصر على هذا الذي أورده وإلا في أكثر من هذه الأدعية، من تدبر القرآن ومن قرأ القرآن سيجد هناك أدعية كثيرة في القرآن، ولكن الشيخ وقف مع هذه الوقفات الجميلة وتكفي أنها أمثلة لك تسير عليها.

يقول في الدعاء الأخير: هم الذين جاؤوا بعد المهاجرين والأنصار في سورة الحشر، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

الشيخ له وقفة جميلة في تفسير عند هذه الآية ما ذكره هنا، لما قال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، قال: ينبغي للإنسان أن يدعو لنفسه قبل أن يدعو لغيره، انظر قالوا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ [الحشر: ١٠]، فينبغي للإنسان أن يدعو لنفسه أولًا ثم يدعو لغيره.

قال: فتضرعوا بكلمة **"ربنا"** كما ذكرنا أكثر من مرة هذا الدعاء التوسل إلى الله بروبيته، وبنعمته، قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

"سبقونا بالإيمان" دل أنهم على الإيمان، لكن هؤلاء سبقوهم وإلا كلهم على الإيمان، ولهذا قال: نعمة الإيمان التي هم فيها، ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، أن يصلح قلوبهم، وهذا أفضل شيء أن يكون قلبك سليم، وصدرك سليم، ألا يكون في شيء على،، وإلا تجد من قد يسب الصحابة أو يسب التابعين، أو يسب الصالحين وغير ذلك، هذا في قلبه شيء، في قلبه مرض، وسلامة الصدر أفضل شيء.

ولذلك تعرفون قصة الرجل الذي دخل والنبي جالس مع أصحابه، وقال: «**سيدخل عليكم رجل من أهل الجنة، فدخل رجل، وفي اليوم الثاني قال: سيدخل عليكم**»، ودخل نفس الرجاء، فجاء عبد الله بن عمرو بن العاص سأتبعه أنظر ماذا يفعل؟ فبات عنده ليلة، فوجده لا يقوم الليل، فقال: ما الذي تصنعه؟ قال: ما أويت إلى فراشي في ليلة من الليالي إلا وأنني أكون سليم الصدر، لا أحقد على أحد ولا أحمل في صدري شيئًا، فهذا معنى قوله هنا: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، أي أصلح قلوبنا واجعلها سليمة من الغل والحقد.

ختم الشيخ هذه الأدعية بقوله: **(وقد أخبر الله أن أنبياءه تضرعوا إليه في مطالب خاصة، ومطالب عامة)** حتى لو تقرأ في سورة الأنبياء ذكر الله فيها كم؟ ستة عشر نبيًا، جلهم يتضرعون إلى الله، ينكسرون، حتى قال بعضهم: أول ما قرأت سورة الأنبياء ظننت أن السورة فيها ذكر لأشياء مثلما يُقال بطولات الأنبياء، وما الذي حصل من الأنبياء؟ وإذا هي كلها انكسار وتضرع منهم، **"ربنا ربنا"** كلها، وكلها فيها **"ونجيناه"** و**"واستجبنا له"** فهي تدل على ضعف هذا الإنسان أمام الله، وقوة الله فوق كلّ شيء، وإلا أبو الأنبياء يُلقى في النار، ونوح الذي يسمى أبو البشر الثاني، قال: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٧]، فأدعيتهم كثيرة.

يقول الشيخ هنا: ينبغي الحرص على أدعية القرآن الكريم، وأدعية الأنبياء، الأنبياء خير البشرية، فأدعيتهم خير الأدعية، فيحرص عليها، ويحرص على أدعية القرآن ولا ينبغي أن يترك أدعية القرآن ويأتي بأدعية بعيدة، إلا في بعض الحالات، قد يدعو الإنسان في حالات خاصة في نفسه، لا مانع أن يدعو أحيانًا.

فالشيخ يقول: إن أدعية القرآن من أفضل الأدعية، نقف عند هذا القدر صفحة ٦٠ تقريبًا الآن انتصف الكتاب، والشيخ سينتقل بعد ذلك إلى تدبرات أخرى في القرآن غير الأدعية، نقف عند هذا القدر.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛...

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم يوم الخميس الموافق لـ الثلاثين من شهر رجب من عام ١٤٤٣ من الهجرة، الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لفضيلة الشيخ العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح وأن يبارك لنا ولكم فيما نقرأ وفيما نتناوله من هذه المؤلفات القيمة.

هذا الدرس هو الدرس الثامن عشر وعندنا فصل فيما يتعلق بالأحكام.

فصل

إذا وفق الحاكم أن يحكم بالحق والعلم، لا بالجهل والباطل، وبالعدل وحسن القصد لا بالظلم واتباع الهوى؛ فقد سلك سبيل الأنبياء، قال تعالى لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى وقف عند هذه الآية وقفة جميلة مختصرة جدًا.

وهو أخذ الحكم أو التوفيق توفيق العبد للحكم من جانبين:

الجانب الأول من قوله تعالى: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦].

الجانب الثاني من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ﴾ [ص: ٢٦].

أمرٌ ثم نهي، لما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ داود بأنه قد جعله خليفة في الأرض يحكم بين الناس أمره بأمر ونهاه عن شيء، فأمره بأن يحكم بين الناس بالحق، ونهاه عن اتباع الهوى.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: إذا القاضي والحاكم سلك هذا المسلك بمعنى أنه حكم بالحق والعلم، وابتعد عن الجهل والباطل، وأيضًا بالعدل وحسن القصد لا بالظلم واتباع الهوى فقد سلك سبيل الأنبياء، فهذه فائدة جميلة جدًا من الشيخ يعني فائدة يستفيد منها الحكام والقضاة في منهج القرآن في توجيه الحكام والقضاة كما وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ لما جعله خليفة يحكم بين الناس بهذا الأمر المختصر جدًا الذي يثمر هذه الثمرة الطيبة.

قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١]، فوعد الله المتقين بنفي العذاب عنهم ظاهرًا وباطنًا، كما أثبت لهم في آخر السورة النعيم ظاهرًا وباطنًا من قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، إلى آخرها.

الشرح:

الشيخ كأنه يربط الآيات بعضها ببعض، ويرى أن الجامع بينهما هي التقوى، وأن التقوى سبب للنجاة والفوز، والبعد عن العذاب، قال هنا: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١].

قال: (**فوعد الله المتقين بنفي العذاب عنهم ظاهرًا وباطنًا**) نفي العذاب هنا لما قال: ﴿وَيُنَجِّي﴾ [الزمر: ٦١]، كلمة ﴿وَيُنَجِّي﴾ [الزمر: ٦١]، دليل على السلامة من العذاب، ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [الزمر: ٦١]، بسبب فوزهم ينجيهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيسلمون من العذاب، والنجاة هي السلامة مما قد يؤذي الإنسان ويضر الإنسان، قال: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾، "**لا يمسهم السوء**" هذا ظاهرًا، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١]، هذا باطنًا.

فيسلمون من العذاب الجسدي والعذاب النفسي، هذا معناه، ولذلك قال: فإذ اثبت لهم هذا؛ فإن الله قد أثبت لهم في آخر السورة حقيقة الفوز بدخول الجنة في قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣].

وخلاصة الكلام: أن الشيخ يعني ربط بين الآيتين مع البعد بينهما بما يقارب عشر آيات أو أكثر، إلا أنه ربط بينهما؛ لأن الآية ربطت بينهم بتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالمتقين الذين اتقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لهم هذه البشارات، لهم البشارات بالسلامة من العذاب، والسلامة من الحزن والخوف، وإذا سلم هذا لهم فقد فازوا بجنات النعيم، فهذا معنى السلامة بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلصهم من هذا الشيء، وجعلهم يفوزون.

وهذا كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، هذا معناه، أو قريب من هذا.

الإخلاص لله تعالى أعظم الأسباب لعون الله للعبد على جميع أموره، ولثبات قلبه، وعدم انزعاجه عند المقلقات والشدائد؛ قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

أي إذا كان قصدكم في جهاد الأعداء نصر الله، وأن تكون كلمته هي العليا نصركم الله على أعدائكم، وثبت أقدامكم في مواطن اللقاء، فالنصر سبب خراجي، وتثبيت الأقدام سبب داخلي، وبهذين الأمرين يتم الأمر.

الشرح:

نلاحظ أن الشيخ في هذا الفصل بدأ يأخذ آيات مختصرة ويقف عندها في تدبر ما تدل عليه هذه الآيات، فلاحظ هذه الآية وهي آية واردة في سورة محمد: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

لاحظ أنه استنبط منها استنباط دقيق جدًا وهو الإخلاص إخلاص العمل، وأثر الإخلاص، إن تنصروا الله لا تنصروا أمرًا آخر من أمور الدنيا، لا لغنيمة، ولا لجاه،ولا ليقال مجاهد، ولا لأي غرض من أغراض الدنيا؛ وإنما تنصر الله وتنصر دينه وتنصر رسوله، فإذا كان هذا الأمر قد تحقق في هذا الشيء، أو تحقق في هذا الإنسان، دل على أن عمله خالصًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأثر الإخلاص هو الثبات على الحق.

ولذلك قال: **(أعظم الأسباب لعون الله للعبد على جميع أموره، ولثبات قلبه)** هو الإخلاص، هو أعظم الأمور على يعني أن يعينك الله عَزَّ وَجَلَّ على جميع الأمور الدينية والدنيوية ويثبت قلبك وثبت قدمك عند الشدائد هو الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فدوران الشرع كله على الإخلاص، الشرع كله وأعمال العباد كلها تدور على الإخلاص، فمتى وجد الإخلاص قُبل العمل، ومتى فات الإخلاص ضعف العمل ولم يكن له أي أثر على الإنسان، وكان ذلك سببًا في رد العمل وعدم قبوله، كما ذكر الشيخ قال هنا: **"تثبت الأقدام في المواطن والنصرة"** كلّ ذلك إذا كان هذا الأمر خالصًا لله، فالإخلاص سبب للقبول، وعدم الإخلاص سبب للرد.

فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ استنبط من كلمة ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾ [محمد: ٧]، لا تنصروا غيره.

الطالب: الحكم جعله عامًا.

الشيخ: نعم، وإن كانت الآية في سياق الجهاد والنصرة إلا أنه عام في جميع ما يحتاج العبد إليه في حياته، جميل أحسنت.

كثيرًا ما يدور على ألسنة الناس: "إذا أراد الله أمرًا هيأ أسبابه" دليل ذلك في القرآن قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٣، ٤٤].

الشرح:

مثلما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يقول: **(إذا أراد الله أمرًا هيأ أسبابه)** هذا كثير في القرآن وليست هذه الآية، يعني لو تتبع كثير من القرآن تجد أن الله إذا أراد أمرًا هيأ أسبابه.

أنا أضرب لك مثال: في قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أراد الله ليوسف الخير والنصرة والتمكين في الأرض جعل هناك أسباب لإخراجه من السجن، وهي رؤيا الملك، لما رأى الملك هذه الرؤيا جاء الآن أمر يوسف وإخراجه.

فأحيانًا يجعل الله للشيء أسباب، وهذا كثير في القرآن، وخاصة في القصة القرآنية، يعني إذا أراد الله شيئًا هيأ أسبابه، وهنا لما أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نصرة المؤمنين في بدر، وأراد قمع الفساد والقضاء عليه، والقضاء على صناديد الشرك والكفر، وأراد نشر الدين، ونصرة محمد، ونصرة هذا الدين، ونصرة أتباع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين والأنصار هيأ أسبابه.

والأسباب كثيرة؛ منها:

أولًا: العير التي خرجت واعترضوا لها، هذه كانت سببًا في غزوة بدر، وسببًا في إخراج أهل الشرك من مكة، وهنا قال: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣]، يعني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أرى نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشركين قليلاً، ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [الأنفال: ٤٣].

يعني لو أن الله أرى محمدًا المشركين على عددهم الكثير لكان ذلك سببًا في التنازع، وسببًا في عدم الوقوف مثل هذه الوقفة، ولتنازعوا فيما بينهم، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أراد أمرًا فهيأ أسبابه.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]، يعني على الواقع، ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]، يعني لما جاء في الواقع في غزوة بدر أرى الله عَزَّ وَجَلَّ المشركين في أعين المؤمنين قليلاً، لما ظهروا أراهم قليلاً حتى يعزموا على الجهاد والقتال، وحتى يذهب عنهم الخوف والرعب والقلق، وأيضًا أرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المشركين المؤمنين؛ جعل الله المشركين يرون المؤمنين قليلاً حتى يعزموا عليهم، ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤].

حتى إذا رأوكم قليلاً عزموا، وإذا عزموا صاروا في أيديكم قتلى، ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤]، وهذا هو الشاهد، ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤]، يعني إذا أرد الله أمرًا هيأ أسبابه فتهيأت الأسباب وحصل الأمر، هذا دليل واحد، وشاهد من شواهد القرآن في أن الله إذا أراد شيئًا هيأ أسبابه، كثير في القرآن؛ حتى في قصة موسى وفي قصة فرعون، وقصص كثيرة يجعل الله لكل شيء سببًا.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

ما أضعف اليقين في قلوب كثير من المؤمنين تحدهم الآن قد استولى عليهم اليأس، وظنوا أن أمر الإفرنج الغربيين الآن سيظهر وسيدوم، وأن أهل الإيمان لا قيام لهم، وأنهم لابد مغلوبين، وأعداؤهم لابد غالبون، وسبب هذا نظرهم إلى الأسباب المدركة بالحسن، وقصروا النظر عليه، ولم يقع في قلوبهم أن وراء الأسباب المشاهدة أسبابًا غيبية أقوى منها وأمورًا إلهية لا تعارض ولا تمانع ، وآفاتٍ تطرأ، وقوات تزول، وضعفًا يزول، وأمورًا لا تدخل تحت الحساب، فهؤلاء أهل الكتاب، ذوو القوة والشوكة، قد غرتهم أنفسهم، وظنوا أن حصونهم مانعتهم، وأنهم يمتنعون فيها، ولم يخطر في قلوب المؤمنين خروجهم منها حتى جاءهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، واستولى عليهم الضعف والخراب من حيث لا يشعرون، وللكافرين أمثالها.

فالمؤمن حقًا هو الذي ينظر إلى قدر الله وقضائه، وما له من العزة والقدرة، ويعلم أن هذا لا تعارضه الأسباب وإن عظمت، وأن نمو الأسباب ونتاجها متحقق إذا لم يعارضه القدر فإذا جاء القدر اضمحل عنده كلّ شيء، ولكن الأسباب محل حكمة الله وأمره فأمر المؤمنين بالاستعداد لعدوهم ظاهرًا وباطنًا؛ فإذا فعلوا المأمور ساعدهم المقدور.

الشرح:

كلام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ واضح جدًا، يعني فعلاً هذا واقع في الحقيقة، ضعف اليقين في قلوب الكثير من المؤمنين، وهذه النظرة التي ينظر بها بعض المؤمنين بهذه النظرة، وأن ليس النصر يعني بالقوة والأسباب، وقد تكون هناك أسباب خفية، وإن كانت هذه الأسباب سبب في النصر، هذه الأسباب من وجود العدة والعدد والعتاد، هذه لاشك أنها أسباب قوية، لكن هناك أسباب خفية تكون للمؤمنين خاصة، ولذلك ضرب الشيخ هنا مثلاً أو استشهد بهذه الآية التي يعني جعل أصحاب هذه الحصون وهم اليهود الذين تحصنوا بهذه الحصون وأخذا العدة معهم، وظنوا أن هذه الأشياء ستنصرهم وستكون سببًا في منع العدو

من التسلط عليهم، ولكن جاءهم أمر لم يحسبوا له أي حساب لا في جانب المؤمنين، ولا في جانب هؤلاء اليهود، وهو أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك الشيخ علق تعليق جميل لما جاء بهذه الآية: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ [الحشر: ٢]، ما ظننتم أنتم أيها المؤمنون أن يخرجوا، وهم ظنوا أيضًا أن هذه الحصون ستمنعهم، ولكن الله أتاهم من حيث لم يحتسبوا.

ولذلك الشيخ هنا يقول: على المؤمن أن ينظر إلى هذه النظرة وهي أن أمر الله فوق كلّ شيء، وعليه أن يتخذ الأسباب الحسية والمعنوية، والأسباب المعنوية التوكل على الله، واللجوء إلى الله، ودعاءه، كما ذكرت سورة الأنفال يعني لمن تدبر سورة الأنفال من أولها إلى آخرها كلها في الأسباب، أسباب النصر.

ولذلك أن أذكر باحثًا استنبط أسباب النصر في سورة الأنفال وخرج بأسباب كثيرة، أسباب ربانية، وأسباب حسية، وأسباب معنوية، كثيرة في السورة كثيرة جدًا، والله عَزَّ وَجَلَّ ابتدأ السورة سورة الأنفال بالأسباب المعنوية، الإيمان والتوكل على الله، واليقين، غيرها.

وكذلك نلاحظ تطبيقات هذه في فعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما خرج في غزوة بدر لقتال أهل مكة لجأ كلّ الليل إلى الدعاء والاستنصار، واستغاثة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وهنا يشير الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى أن الإنسان ينبغي له أن تكون عنده نظرة دقيقة وهو النظر إلى قدرة وإلى قضائه وحكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعزته؛ بأن العزيز القدير الحكيم هو الذي ينصر، مهما كان الأعداء على ما هم عليه من القوة؛ فإن هناك أسبابًا خفية، قد تقلب هذه الموازين كلها كما ذكر الشيخ، قد تواجه شوكة قوية لكن تضمحل هذه الشوكة أمام أسباب أخرى في حكمة الله وفي قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا الذي ينبغي أن يقف الإنسان معه أن هناك أسباب يقف الإنسان عندها كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

الطالب: بالعكس من ذلك يا شيخ في غزوة الأحزاب، لما اغتر بعضهم بالعدد ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥].

الشيخ: في حنين، في حنين اغتروا بالعدد، قالوا: **"لن نُغلب من قلة"** فخرجوا ومعهم اثنا عشر ألف من مكة؛ لأنهم دخلوا مكة ومعهم عشرة ألاف، وانضم إليهم أهل مكة ألفين من المقاتلين، فأصبحوا اثني عشر ألفًا ليقابلوا أهل الطائف، لما اعتمدوا على أنفسهم انهزموا في أول الأمر، أحسنت بارك الله فيك.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، لا يمكن أن تكون القبلية في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، راجعة إلى الدار دون الإيمان؛ لأن اللفظ لا يساعد على هذا ؛ لأن الوصف بالجار والمجرور، و لا يصلح إلا أن يعود على المعطوف والمعطوف عليه، فإلى أين يعود وقد علم وتقرر أن المهاجرين قد تقدم إيمان كثير منهم على الأنصار؟

فالجواب: أن هذا عائد إلى الدار والإيمان على اللفظ المصرح به، وهو التبوء والاستقرار، ومعنى هذا أن أهل الإيمان لهم حال تبوء وتمكين يتمكنون فيه من إقامة دينهم، وقيامه في أنفسهم وفي غيرهم، ولهم حال وجود للإيمان منهم دون تمكين، فلم يحصل التمكين إلا بعدما هاجروا إلى المدينة، وصار لهم دار إسلام، وأما قبل ذلك فهم وإن كانوا مؤمنين لكنهم في حال ذلة وقلة ، محكومون مقهورون، خائفون على أنفسهم وبهذا يتبين المعنى.

الشرح:

هنا الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أراد أن يزيل إشكالًا، يعني أنت الآن تقرأ الآية ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، هؤلاء هم الأنصار؛ لأن الآية التي قبلها ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر: ٨]، هذه في المهاجرين، وهذه في الأنصار الذين استقبلوا المهاجرين في المدينة.

قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا﴾ [الحشر: ٩]، أي تهيئوا، أي بوؤوا الدار والإيمان، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، يحبون المهاجرين أن يهاجروا إليهم، الإشكال هنا في كلمة ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، من قبل من؟ من قبل المهاجرين، هل هؤلاء الأنصار قد حصل لهم التهيؤ في الدار والإيمان أيضًا قبل المهاجرين، أو أن المهاجرين سبقوهم بالإيمان؟ بلا شك أن المهاجرين سبقوهم بالإيمان، فكيف يقول: من قبل المهاجرين؟ هذا هو الإشكال.

يقول: (لا يمكن أن تكون القبلية في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، راجعة إلى الدار دون الإيمان) لأن الأصل أنها تعود إلى الأمرين، من قبلهم في الدار وفي الإيمان.

يقول: (لأن الوصف بالجار والمجرور) يعود إلى الجميع (و لا يصلح إلا أن يعود على المعطوف والمعطوف عليه، فإلى أين يعود وقد عُلم وتقرر أن المهاجرين قد تقدم إيمان كثير منهم على الأنصار؟).

الطالب: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، هذا الجار والمجرور يعود على الدار وعلى .. هذا الإشكال هنا، قول: **"لأن الوصف بالجار والمجرور يعود على أمرين، ولا يمكن أن يعود على واحد منهم"** يعني الدار هو الإيمان، هذا المعطوف والمعطوف عليه قصده هنا؟

الشيخ: هو يقصد ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩]، هؤلاء الأنصار، تبوؤوا الدار وتبوؤوا الإيمان من قبل المهاجرين، فهل هذا يعني إذا أخذناه بظاهره معناه أن الأنصار سبقوا المهاجرين هذا هو الإشكال.

هو يقول هل الأنصار تقدموا المهاجرين بالإيمان؟

لاشك أن المهاجرين تقدموهم، فكيف يكون من قبلهم؟

فالجواب هنا لنزيل هذا الإشكال وهذا الأمر: قال: إن هذا عائد إلى الدار والإيمان على اللفظ المصرح به وهو التبوء والاستقرار، ومعنى هذا أن أهل الإيمان لهم حال تبوء وتمكين.

كأن الشيخ يقول: تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يعني هم هيئوا هذا الأمر، ولكن المهاجرين سبقوهم، وظهر دينهم لما استقروا في المدينة، أما في مكة لم يكن لدينهم ظهور وتمكين، ولذلك قال: (يتمكنون فيه من إقامة دينهم، وقيامه في أنفسهم وفي غيرهم، ولهم حال وجود للإيمان منهم دون تمكين) يقول: أصل الإيمان موجود، هم سابقون في الإيمان، لكن في تمكين الإيمان وإظهاره بعد الهجرة.

قال: (وأما قبل ذلك فهم وإن كانوا مؤمنين) يعني سبقوهم بالإيمان (لكنهم في حال ذلة وقلة) فليس لهم تمكين.

يريد الشيخ أن يجيب عن هذا الإشكال، لو أن أحداً أثار هذا الإشكال قال: كيف يكون قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩]، وهم الأنصار، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، وهم المهاجرين، كيف سبقوهم بالإيمان؟

نقول: ليس المراد الإيمان في أصله، الإيمان في أصله للمهاجرين قبل الأنصار، والإيمان في ظهوره وانتشاره والتمكن جاء بعد ذلك، هذا المقصود، هو يريد أن يزيل هذا الإشكال، كلمة ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، هي التي أحدثت إشكال، فأراد أن يبين الفرق بين أصل الإيمان والتمكن وإظهار الإيمان.

يعني حال الإيمان في أصله، وحال الإيمان في ظهوره، والتمكن من وجوده، قال: (ولهم حال وجود للإيمان منهم دون تمكين) هذا في الأول (فلم يحصل التمكين إلا بعدما هاجروا إلى المدينة).

التجارات نوعان:

أحدهما: تجارة ربحها الجنات، وأنواع الكرامات، وصنوف اللذات وهي تجارة الإيمان والجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١٠، ١١]، إلى آخر الآيات.

فهؤلاء هم الرابحون حقًا، وهم الذين تحققوا بالإيمان ظاهرًا وباطنًا، فاجتهدوا في علوم الإيمان ومعارف الإيمان في أعماله الباطنة كمحبة الله ورسوله وخشية الله وخوفه ورجائه وفي أعماله الظاهرة، كالأعمال البدنية والمالية المركبة منهما وجاهدوا أنفسهم على هذا، وجاهدوا أعداء الله بالحجة والبرهان والسيف والسنان.

وثانيهما: تجارة ربحها الخسران وأصناف الحسرات وهي كلّ تجارة مشغلة عن طاعة الله، ومفوتة لتلك التجارات الرابحة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

وكم في القرآن من مدح تلك التجارة والحث عليها، والثناء على أهلها؟ ومن ذم التجارة الأخرى والزجر عنها، والذم لأهلها، وأهل التجارة الرابحة إذا اشتغلوا بتجارة المعاش لم تكن قاطعة لهم عن تجارتهم؛ بل ربما كانت عونًا لهم عليها إذا أحسنوا فيها النية، وسلموا من المكاسب الردية، وأخذوا منها مقدار الحاجة، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧].

فلم يقل: إنهم لا يتجرون ولا يبيعون؛ بل أخبر أنهم لو فعلوا ذلك لم يشغلهم عن المقصود، وهو ذكر الله وأمهات العبادات وعطف البيع على التجارة، وإن كان البيع داخلاً فيها؛ لأنه أعظم الأسباب التي تحصل بها التجارة وأنواع المكاسب وأبركها والله أعلم.

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أراد أن يقف على كلمة **"التجارة"**، التجارة في القرآن تجارة في الآخرة، وتجارة في أمور الدنيا، والفرق بينهما وهو فرق شاسع جدًا، فأخذ آية الصف ووقف معها التي أشارت إلى تجارة الآخرة: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

التجارة مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هي التجارة الرابحة، ولذلك في قوله تعالى في فاطر ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، لن تخسر أبدًا، تلاوة كتاب الله، وإقام الصلاة، والصدقة، والإنفاق في سبيل الله، هذه هي أصول الإيمان؟

وهنا أشار أيضًا إلى شيء من أصول الإيمان قال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الصف: ١١]، تحققون الإيمان بالله ورسوله كما ذكر الشيخ هنا، قال: **"الإيمان ظاهرًا وباطنًا"** اجتهدوا في علوم الإيمان وفي معارف الإيمان، وفي أعمالهم الظاهرة والباطنة، وطاعة الرسول.

ثم قال: ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١١]، يقول: جاهدوا أعداء الله، والجهاد هنا على إطلاقه، الجهاد بالسيف، والجهاد بالقلب، والجهاد باللسان، كلّ هذا داخل في الجهاد، وإن كان الأصل الجهاد إذا أُطلق في القرآن أن يُراد به الجهاد في سبيل الله بالسيف، وقمع العدو، لكن لا يمكن أن يدخل ذلك جميعًا في هذا المعنى.

عمومًا أسباب التجارة الرابحة ما أشار الشيخ إليه في هذه الآية، وأيضًا آية فاطر هذه هي التجارة الرابحة، وهذه أسباب التجار الرابحة.

وأشار إلى أن تجارة الدنيا لها أحوال، تجارة الدنيا لا نقول: إنها خاسرة، ولا نقول: إنها رابحة، تجارة الدنيا على حسب، ولذلك قال: **(تجارة ربحها الخسران وأصناف الحسرات)** هذا متى؟ إذا أشغلت عن طاعة الله، وصدت عن سبيل الله، كما حصل هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

يعني هذه أصبحت مشغلة عن طاعة الله، هم في المسجد ويستمعون إلى الخطبة، ثم تأتي التجارة فيخرجون إليها، وينفضوا إليها ويتركوا التجارة الرابحة مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإذا كانت التجارة تعارض طاعة الله، وتشغل عن طاعة الله فهي بلا شك أنها تجارة خاسرة، لا تنفع صاحبها، تضيع عليه،

تشغله، وتلهيه، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

فهذه هي الخسارة العظيمة، وإذا كانت التجارة في حدودها لا تتعارض مع طاعة الله، وإذا تعارضت قدم العبد طاعة الله، فهذه تجارة لا بأس بها، ولم يذمها القرآن، ولذلك قال هنا: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ [النور: ٣٧].

إذا جاء ذكر الله، وجاءت الصلاة، وجاء الخير والطاعة تركوا هذه الدنيا وأقبلوا على الله، فهؤلاء عرفوا كيف ينظرون إلى التجارة وإلى الدنيا، فلا يبيعون ويشترون في وقت الطاعة والعبادة.

فهؤلاء إلى الذين عرفوا كيف يتصرفون، لذلك لم يذم الله أعمالهم، ولم يذم أحوالهم مع التجارة.

أشار الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في آخر الكلام إلى قوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ [النور: ٣٧]، البيع داخل في التجارة فلماذا أفرد؟ التجارة هي البيع والشراء، فلماذا قال: ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾ [النور: ٣٧]..؟ لأن البيع هو السبب، لأن السلعة إذا جيء بها وعرضت في السوق جاء من يشتريها، المشتري لا يأتي إلا إذا جاء البائع، فالسبب هو البيع، ولذلك تلاحظ أن كثير من القرآن الكريم تأتي الآيات بالبيع دون الشراء؛ لأنه إذا جاء البيع وجد الشراء، فالشراء نتيجة البيع، هذا كثير في القرآن.

وقفة جميلة من الشيخ في أنواع التجارات:

ما هي التجارة الرابحة التي ينبغي أن يسلكها الإنسان؟

وما هي التجارة الخاسرة إذا تعارضت مع شرع الله؟

وما هي التجارة المباحة التي قد تكون أيضًا عونًا على طاعة الله؟

ولذلك سلفنا الصالح عرفوا كيف يتعاملون مع هذه التجارات إذا تعارضت مع شرع الله، وتعارضت مع طاعة الله؟

سورة مريم عليها السلام قد اشتملت على تفاصيل عظيمة من ذكر رحمة الله بأنبيائه وأصفيائه وأحبابه، وما منّ عليهم به في الدنيا من نعم الدين والدنيا، والنعم الظاهرة والباطنة وما يكرمهم به من الذكر الجميل والثناء الحسن، ووصفهم بأحسن أوصافهم، ونعتهم بأشرف نعوتهم، وإلى يكرمهم به في الآخرة من الثواب والفضل العظيم، وذكر رحمته أيضًا بأعدائه؛ حيث عاملهم بالحلم والصفح وتصريف الآيات لعلهم يرحمون، مع عِظم ما أتوا به من الشرور وعظائم الأمور، ولذلك أكثر الله فيها من ذكر اسمه الرحمن الذي هذه آثاره، ومن ذكر الرحمة فنسأله تعالى أن يدخلنا بحرمته في عباده الصالحين.

الشرح:

هذه الوقفة من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى وقفة مع سورة كاملة، يتأملها ويتأمل ألفاظ هذه السورة وما تدور عليه، هو لم يتعرض إلى آية معينة؛ وإنما أشار إلى السورة كاملة، سورة مريم، وأن السورة محورها الأساس وأصلها الذي بُنيت عليه آيات السورة هي الرحمة، وتلاحظ سبحان الله العظيم كيف تكرر اسم **"الرحمن"** فيها؟ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٨، ٨٩].

إلى آخر الآيات تجد فيها كلمة الرحمن كثير جدًا، وفي قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما كان يناصح والده ويذكر والده بطاعة الله، قال: ﴿يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٤٥]، فجاء باسم **"الرحمن"** فـ **"الرحمن"** تكرر في السورة كثيرًا.

وكذلك كلمة **"الرحمة"** ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]، وفي موسى قال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝٥١ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ [مريم: ٥١، ٥٣]، هذا الشاهد ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ [مريم: ٥٣].

فتجد كلمة **"رحمة"**، و**"رحمتنا"** تتكرر، وأول السورة أول آية فيها بعد الحروف المقطعة ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ﴾ [مريم: ٢]، فرحمة الله تتكرر في هذه السورة، وهذا الذي جعل الشيخ يقف عندها يقول: حتى الرحمة على أنبياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، رحمة الله بأنبيائه وأصفيائه، وأحبائه، أنبياءه مثل زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وإسماعيل وإدريس وآدم هؤلاء أنبياء الله.

قال: وأصفيائه وأحباءه مثل مريم، مريم اختارها الله واصطفاه، كما قالت الملائكة: ﴿يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ [آل عمران: ٤٢]، فجعلها من أولياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا معنى أن السورة اشتملت على رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: وأن رحمته لم تكن في أولياءه فقط وأصفياءه؛ بل حتى في الأعداء لم يعاجلهم بالعقوبة، وإنما حلم عليهم وصفح عنه، وهذا كلّ من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأنت لو تقرأ في السورة قراءة دقيقة متأملة ستجد فعلاً أثر الرحمة؛ حتى قال بعض المفسرين: إن سورة مريم سورة الرحمة، وآياتها كلها رحمة، وتدور على الرحمة من أولها إلى آخرها، فكما قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: نسأل الله أن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥]، إلى قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

فيه الذم للذين كفروا وصدوا عن المسجد الحرام عبادة المؤمنين من وجهين:

١. من جهة أنهم اختصوا به ومنعوا غيرهم، مع أن الناس فيه سواء.

٢. ومن جهة أن المؤمنين أحق به منهم، وهذه مرتبة ثانية؛فأباحوه للأبعدين ومنعوه الأقربين؛ فإن الله أمر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يطهره للطائفين والقائمين والركع السجود، فهؤلاء أحق الخلق به؛ لأنهم حزب الله وأولياءه، وما كان المشركون أولياء: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

الشرح:

هذه وقفة من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تلاحظ أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ قد يورد الآية كاملة لكن يستنبط منها وقفة في بعض ألفاظها، يقول: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذم الكفار الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله، ذمهم بسبب كفرهم، وصدهم عن سبيل الله، هم صدوا عن سبيل الله، وصدوا غيرهم، يعني كلمة صدوا هنا تكون متعدية ولازمة، هم صدوا بأنفسهم يعني أعرضوا، وصدوا غيرهم يعني منعوا.

فهم اتصفوا بهذين الوصفين:

١. الإعراض.

٢. والمنع، منع الناس.

فصدوا عن سبيل الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥].

يقول الشيخ هنا: (وصدوا عن المسجد الحرام عبادة المؤمنين من وجهين: من جهة أنهم اختصوا به ومنعوا غيرهم، مع أن الناس فيه سواء) كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥]، المقيم العاكف، والبعيد القادم كلهم سواء، لا تمنع هذا وتأذن لها.

ومن جهة أخرى أنهم ليسوا أهلاً أصلاً، ليسوا أهلاً أن يتحكموا في بيت الله وأن تكون لهم الريادة في البيت، والأحق للمؤمنين، ولذلك قال: (ومن جهة أن المؤمنين أحق به منهم، وهذه مرتبة ثانية، فأباحوه

للأبعدين ومنعوه الأقربين ، فإن الله أمر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يطهره للطائفين والقائمين والركع السجود) فهؤلاء هم المؤمنون الذين أباح الله لهم أو أذن لهم العبادة عند البيت، أما هؤلاء الكفار فليسوا أهلاً لذلك، هذا معنى كلام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في الوقف عند هذه الآية، وقفة تأمل وتدبر.

لولا فضل الله ورحمته لما شرع لعباده الأحكام، ولولا فضله ورحمته لما فصلها وبينها، ولولا فضله ورحمته وأن الله تواب حكيم لما وضح ما يحتاج إليه العباد ويسره غاية التيسير، ولولا فضله ورحمته لما شرع أسباب التوبة والمغفرة ولما تاب على التائبين، ولولا فضله ورحمته لما زكى منهم من أحد أبدًا، ولكن الله يزكي من يشاء، والله سميع عليم، كما فصل ذلك في صدر سورة النور.

الشرح:

الشيخ مثلما ذكرنا أحيانًا يقف مع الآيات، وأحيانًا يقف مع الألفاظ، وأحيانًا يقف مع السورة ككل، وأحيانًا يقف مع ألفاظ تتكرر في السورة لها أثر، فقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [النور: ١٠]، تكرر في سورة النور، في مواضع كثيرة، والشيخ أجملها هنا، قال: لولا فضل الله ورحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما فصل أحكام هذه السورة وبينها، ولما تاب على التائبين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠].

وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠]، جاءت في ختام آية اللعان أو آيات اللعان، ليفتح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الباب إلى التائب؛ لأنه كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاء المتلاعنين؛ قال: «**والله إن أحدكما لكاذب والآخر لصادق**».

فالمتلاعنين بلا شك أن أحدهما كاذب، فالله فتح له باب التوبة، قال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠]، وقوله: **"حكيم"** ولم يقل: **"توابٌ رحيم"** لماذا جاء باسم **"الحكيم"** ولم يأت بـ **"الرحيم"**؟ لأنه لما شرع اللعان أراد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يستر على المسلمين، وأن يستر على الأسر ولا يريد فضحهم، ولذلك إذا جاء الرجل وادعى أو اتهم زوجته بالزنا؛ فإنه لا يُقام عليه حد البينة، ويصعب عليه أن يأتي بالشهادة؛ لأنها أربعة شهود تُقام حتى يُقام الحد هذا من الصعب.

ولذلك لما جاء أحد الصحابة وقال: يا رسول الله إذا وجد أحدنا رجل على امرأته يذهب فيأتي بالشهود؟!! أظن سعد بن عبادة، قال: يأتي بالشهود؟!! قال: «**البينة أو حد في ظهرك**»، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رفع حد القذف وهو الحد في الظهر ثمانين جلدة، ورفع أيضًا صعوبة الإتيان بالبين، كيف يأتي بالبينة يفضح زوجته ويأتي رجال يشهدون ولا ماذا يصنع؟ فالله من رحمته ستر هذا الباب، فجعل مخرجًا لهم في

الملاعنة، فيلاعن أحدهما الآخر وهذا هو المخرج، ولذلك قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠]، في آيات اللعان.

قال: وشرع التوبة والمغفرة للتائبين، قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]، هذا في سياق الذين وقعوا في الإفك، وفي قذف عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقع من وقع من الصحابة ومن غيرهم، وفتح الله لهم باب التوبة، ولذلك قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١].

فشرع لهم التوبة وتزكية النفس بالتوبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا كله ورد في أول سورة النور في الآيات الأول من سورة النور، في الثمن الأول، لذلك الشيخ قال: جاء في صدر السورة الإشارة إلى هذا الأمر.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٢، ٣٣].

اشتملت هذه الآيات على الأمر بالسعي بالأسباب المباحة التي ينال بها الرزق كالنكاح ونحوه، وعلى أن من لم يحصل له سعة فليلزم تقوى الله تعالى والكف عن محارمه، وينتظر فصل الله ورزقه وغناه وعلى تحريم السعي بالأسباب المحرمة في قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣]، والله أعلم.

الشرح:

ما تلاحظ أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كأنه ربط مسألة الغنى والسعة في النكاح، أو العفاف؟ لأن الزواج سبب للغنى، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثلاثةٌ حقٌّ على الله عونهم الناكح يريد العفاف**»، وجاء أحد الصحابة أو رجلاً جاء إلى أبي بكر يسأل أبا بكر قال: إني رجل فقير، قال أبو بكر: **"تزوج يغنيك الله"** وجاء رجل إلى ابن مسعود وسأله قال: إني رجل محتاج وفقير، قال: **"تزوج؛ فإن الله وعد المتزوجين بالغنى"**.

وهذا يدل على نظرة ثاقبة من الصحابة، وتأمل في القرآن الكريم، شوف كيف تأملهم وتطبيقهم للقرآن الكريم واليقين في معاني الآيات؟!

يقول الشيخ هنا: هذه الآيات آيات النكاح، الآيات على الأمر بالسعي بالأسباب المباحة التي يُنال بها الرزق كالنكاح ونحوه، وعلى أن من لم يحصل له سعة فليلزم تقوى الله، يعني إذا لم يستطع الزواج فعليه أن يتق الله وأن يكف عن المحارم وليستعفف، وينتظر فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وغناه.

لكن هنا عدة وقفات؛ مع أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ركز على قضية الربط بين الزواج وبين الرزق، وأن النكاح سبب للزرق، حتى أن العفاف أيضًا سبب للرزق.

لكن هنا عدة وقفات:

أولًا: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، ما المراد بالأيامى؟ نقول: الأيامى جمع أيم، والأيم من لم يكن عنده زوج، سواء كان رجلاً أو امرأة، من لم يتزوج فهو أيم، ولذلك قال: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى﴾، يشمل الرجال والنساء ﴿مِنْكُمْ﴾، أي الأحرار ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾، المماليك وشرط فيهم الصلاح، الصلاح في المماليك، قال: ﴿عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾، ثم بيّن العلة، قال: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

هنا أيضًا وقفة قد تجد من يتزوج ولا يغتني، تزوج من يتزوج وتزيد عليه الديون، فكيف نوفق بين ما أخبر الله به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ووعد به بالغنى، والواقع تجد بعض الناس يزداد فقرًا وتكثر عليه الديون؟

نقول: انظر إلى خاتمة الله، ماذا قال الله؟ قال: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، يعني واسع العطاء، وعليم بمن يستحق العطاء، وليس معنى أن كلّ من تزوج اغتنى، فالله حكيم وعليم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد يمنع، وبعض الناس الفقر أصلح له وأنفع، وبعض الناس الغنى أنفع وأصلح، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ختم الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، لم يقل: **"واسع"** فقط، أو قال: **"واسع العطاء"** أو **"كثير العطاء والجود"**؛ بل قال: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، عليم بمن يستحق.

الشيخ قال: **(وعلى تحريم السعي بالأسباب المحرمة في قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣])** كانوا في الجاهلية يأتون على المماليك من النساء والبنات ويُرسلونهم يقول الرجل أو السيد لمملوكته: **"أبغي لنا"** يعني أجري نفسك ومكني نفسك لتأتينا بالمال، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣]، قد تكون البنت والفتاة لا تريد هذا الشيء، ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣]، فهذا أمر محرم، فكانوا يسعون أو يجعلون النساء أو البنات بهذه الطريقة حتى يتكسبوا من ورائهم.

عمومًا سورة النور سماها بعض العلماء: **"سورة الحياء"** لما اشتملت عليه من أنواع الحياة، ولما اشتملت عليه من أسباب الحياء، والأسباب الوافية من الوقوع في الفاحشة والبعد عن الرذائل، وهي سورة الفضيلة، وحراسة الفضيلة في سورة النور بالأخذ بأسبابها.

وقد ذكرت أسبابًا كثيرة يعني تكلم عنها العلماء، وجُمعت أسباب كثيرة في الوقاية من الوقوع في الفاحشة، لعلنا نقف عند هذا القدر، وإن شاء الله في اللقاء القادم يعني نستكمل ما توقفنا عنده وهو الحديث عن الأعراف، الأعراف سيتكلم الشيخ عنه، فنجعل الكلام إن شاء الله في لقاء قادم حول هذا، والله أعلم وبارك الله فيك وجزآك الله خيرًا.

والمستمعين جميعًا بارك الله فيكم، نلقاكم على خير إن شاء الله.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛...

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم وهو يوم الخميس الموافق للسادس أو للسابع، الموافق للسابع من شهر شعبان لعام ١٤٤٣ الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

وهذا الدرس هو الدرس التاسع عشر، وقفنا عند آية الأعراف، والمراد بالأعراف وما يتعلق بذلك.

الأعراف موضع بين الجنة والنار، يُشرف على كلّ منهما وليس هو موضع استقرار، إنما هو موضع أناس تساوت حسناتهم وسيئاتهم، يمكثون فيه مدة كما يشاء الله ثم يدخلون الجنة، وفي ذلك حكم نبه الله تعالى عليها:

منها: أن هذا منزل به يستدل على كمال عدل الله وحكمته وحمده؛ حيث جعل الله تعالى أسباب الثواب والعقاب تتجاذب، وتتعارض، ويقاوم بعضها بعضًا، فحسناتهم منعتهم من النار، وسيئاتهم منعتهم الجنة في ذلك الوقت فصاروا وسطًا بين الدارين، وفي برزخ بين المحلين، لتظهر الحكمة أولًا ثم يأتيها الفضل من ذي الفضل العظيم الذي أحاط بالخلق من جميع الوجوه فيغمرها، ويكون الحكم له، ففي هذا من تنويع حمده، وتصريفه لعباده ما به يعرف العباد كماله، وكمال أسمائه وصفاته، وحكمته وعدله وفضله.

ومنها: أن حالهم من جملة الأدلة على سعة رحمة الله، وأن رحمته سبقت غضبه وغلبته؛ بحيث إذا تعارض موجب هذا وموجب هذا صار الحكم قطعًا لموجب الرحمة على موجب الغضب.

ومما يدل على هذا أنه كان في العبد من موجب الرحمة مثقال ذرة من إيمان؛ فإنه لابد أن يصير الحكم له، ولو عمل موجب الغضب عمله فالعاقبة لموجب الرحمة.

ومنها: أن الله إذا أراد أمرًا هيأ أسبابه، فلما قضى تعالى أنهم سيدخلون الجنة جعل الطمع والرجاء في قلوبهم، والدعاء أن يجبرهم من النار ولا يجعلهم مع القوم الظالمين على ألسنتهم، والدعاء مع الرجاء والطمع لا تتخلف عنه الإجابة.

ومنها: أن أهل الأعراف جعلهم الله سببًا يُعرف به ما يصير إليه أهل الدارين، وما كان عليه أهل الشقاء من النكال والوبال، وما عليه أهل الجنة من السرور والغبطة، ولهذا ذكر الله توبيخهم لرجال يعرفونهم بسيماهم من أهل النار إلى غير ذلك من الحكم الإلهية فيما يجريه من الأحكام على البرية.

الشرح:

في سورة الأعراف في آيات معدود بيّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أهل الأعراف، ومصيرهم، ومواقفهم، وذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في هذه الآيات شيئًا من الاستنباطات التي تستنبط من مواقف أهل الأعراف، وأهل الأعراف كما ذكر الشيخ هم **"قومٌ تساوت حسناتهم وسيئاتهم"** فحسناتهم لم تدخلهم الجنة، وسيئاتهم أيضًا لم تدخلهم النار، يعني حسناتهم منعتهم من الدخول في النار، ولم تستطع الدخول إلى الجنة، فكانوا في موضع بين الجنة والنار.

والذي يظهر والله أعلم: أن هذا الموقع يعني قد يُقال: إن النار تحت والجنة فوق، يبقى كيف سيكون كيفية هذه الأمور؟ هذه أمور نجهلها لا نستطيع؛ لأنها مغيبة، لكن الذي يظهر أن النار تحت، والجنة فوق، ولذلك ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا﴾ [الأعراف: ٥٠]، والإفاضة لا تكون إلا من أعلى إلى أسفل؛ فهذا يدل على أن النار في الأسفل والجنة في الأعلى، يبقى كيفية الأعراف وما هو؟ قيل: **"إنه سور بين الجنة والنار يكون عليه هؤلاء أهل الأعراف"**.

والأعراف مأخوذ من العرف، والعرف هو دائمًا يُطلق على الشيء العالي، ومنه عُرف الديك، الأعراف هي الأماكن العالية، وهم في هذا المكان حبسهم الله عَزَّ وَجَلَّ لحكم عظيمة ذكر الشيخ شيئًا منها.

يقول: أولًا إن هذا الموضع ليس موضع استقرار، وإنما هو مؤقت؛ لأهل الأعراف يعني يبقون فيه وقتًا ثم بعد ذلك يدخلون الجنة، إذًا أهل الأعراف مصيرهم إلى الجنة، ليس مصيرهم إلى النار، يدخلون الجنة بعد أن يحكم الله فيهم.

واستنبط الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عدة حكم:

منها: أن هذا يظهر فيه عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحكمته، **(حيث جعل الله تعالى أسباب الثواب والعقاب تتجاذب، وتتعارض، ويقاوم بعضها بعضًا، فحسناتهم منعتهم من النار، وسيئاتهم منعتهم الجنة في ذلك الوقت فصاروا وسطًا بين الدارين)** بين الجنة والنار، لا إلى دار النار، ولا إلى دار الجنة، فهنا يظهر حكمة الله فيهم، ويظهر فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم؛ بعدما يكون مصيرهم إلى الجنة.

ذكر أيضًا من الحكم: أن هذه الحال وهذا الوصف لهم، وذكرهم، وموضعهم يدل على سعة رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن رحمته سبقت غضبه؛ لأن مصيرهم إلى الجنة، **(ومما يدل على هذا أنه كان في العبد من موجب الرحمة مثقال ذرة من إيمان؛ فإنه لابد أن يصير الحكم له)** ولو عمل ما عمل.

يقول أيضًا: **(ومنها: أن الله إذا أراد أمرًا هيأ أسبابه، فلما قضى تعالى أنهم سيدخلون الجنة جعل الطمع والرجاء في قلوبهم، والدعاء)** فهمم يسألون الله ويطمعون في دخول الجنة، ويرجون رحمة الله، فبدؤوا يضرعون هذا التضرع؛ فهذا سببٌ لدخول الجنة، ولما أراد الله عَزَّ وَجَلَّ أن يقضي عليهم في دخولهم الجنة وأن يحكم لهم بدخول الجنة هيأ الأسباب، ومن أقوى الأسباب هذا التضرع والدعاء منهم.

يقول أيضًا: **(أن أهل الأعراف جعلهم الله سببًا يُعرف به ما يصير إليه أهل الدارين، وما كان عليه أهل الشقاء من النكال والوبال، وما عليه أهل الجنة من السرور والغبطة)** الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عنده استنباطات دقيقة جدًا يقف عند كثير من هذه الآيات، وأحيانًا يقف عند الآية الواحدة فيستنبط منها، وأحيانًا يأخذ جملة من الآيات أو موضوعًا من موضوعات القرآن يقف عنده ويستنبط ما فيه من دلالات وحكم وتدبرات قرآنية.

قول شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، بعد قوله: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

من أعظم الأدلة على كمال معرفته بربه؛ فإنه أولًا لما بين امتناع عودهم في ملة الكفار بحسب ما كان عليه من منة الله عليه بكراهته الشديدة لملتهم، واغتباطه بإنجاء الله له منها، وأنهم لو عادوا في ملتهم بعد هذا كان من أعظم الافتراء على الله الذي يمتنع غاية الامتناع، ممن هذا وصفه، وكان هذا الامتناع أثرًا عما يسر الله له من الأسباب استدراك الأمر بعد ذلك، وعلم أن هذا الامتناع بحسب إلى وصلت إليه علوم البشر، وأن عِلم الله تعالى محيط بعلومهم فقد يعلمون شيئًا ويخبرون ما يترتب على علمهم مما يكون بحسب حكمة الله تعالى، ومع ذلك فالله غالب على أمره، وقد يتخلف العلم الذي علموه وأثره الذي حكموا به فقال: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، ثم قرر ذلك بقوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩].

ثم لجأ إلى أعظم الأسباب الصادرة من العبد التي بها ينال ما عند ا لله من خير الدنيا والآخرة، ودفع شرورهما، وهو: التوكل على ربه، فقال: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، ثم بين ثقته التامة بوعد الله له بالنجاة، هو ومن تبعه، وهلاك من خالفه فقال: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

الشرح:

الشيخ ذكر هذه الآية الواردة في قصة شعيب، وشعيب هو نبي من أنبياء الله بُعث إلى قومه أهل مدين، وهو من الأنبياء العرب، وهو قد جاء بعد لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ مباشرة؛ لأنه في سورة هود: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩].

ومدين معروفة في الشمال الغربي من الجزيرة، قريبة من خليج العقبة، وهي موجودة الآن، تسمى الآن ببلدة **"البدع"** وهي معروفة، هذه البلدة كان أهلها يعبدون شجرة يقال لها: **"الأيكة"** شجرة غليظة كبيرة، فكانوا يعبدونها من دون الله، ويعبدون الأصنام، وأيضًا كانوا أهل مكاييل وموازين، وتطفيف،

وبخس الناس؛ فأرسل الله إليهم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان أعطاه الله من البلاغة وقوة الفصاحة، حتى جاء في بعض الأحاديث **"أنه خطيب الأنبياء"**.

بعض المفسرين ذكر أنه شعيب كان رجلاً أعمى، وهذا الذي يظهر أنه قول ضعيف جدًا؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إذا أراد أن يصطفي من البشر لرسالاته؛ فإنه يختار منهم من أشرف الأنساب ومن أكمل الخلق، فالذي يظهر والله أعلم أنه ليس كما قيل؛ بأنه كان رجلاً أعمى.

هذه الآية التي وردت في سورة الأعراف هي قول شعيب لما قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، يعني سنخرجك أنت ومن معك، أو تعود إلى الكفر في ملتنا التي نحن عليها.

فرد عليهم بهذا الرد القوي جدًا؛ قال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لما وقف مع هذه الآية قال: أولًا نفهم ما وصل إليه الأنبياء من حسن الأدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكيف يخاطبون مثل هؤلاء؟

قال: **(ما كان عليه من منة الله عليه بكراهته الشديدة لملتهم، واغتباطه بإنجاء الله له منها)** وما منّ عليهم بترك الكفر والشرك والإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك قال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾، في هذه الملة، يستحيل، و**"ما"** هنا نافية، ثم تأدبوا مع الله قالوا: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، فهذا شيء في علم الله، لا يستطيع البشر أن يجزم بشيء من ذلك، ولذلك الشيخ قال هنا: **(استدراك الأمر بعد ذلك، وعلم أن هذا الامتناع بحسب إلى وصلت إليه علوم البشر، وأن علم الله تعالى محيط بعلومهم)** ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

ثم قال: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]، فدل ذلك على أن الله يعلم ما لا يعلمه البشر، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]، ثم فوض مثلما ذكر الشيخ قال: **"فوضوا أمرهم إلى الله"** قال: **(ثم لجأ إلى أعظم الأسباب)** وهو التوكل على الله، في دفع الشرور وجلب المنافع، والثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك قال: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

ثم مثلما ذكر الشيخ هنا؛ قال: دعوا بوعد الله، أو سألوا الله بما وعدهم من النجاة والسلامة من الهلاك، فدعوا بهذا الدعاء، ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

والفتح هنا هو القضاء، المراد بالفتح هنا القضاء، القضاء والفصل بينهم وبين قومهم، فقوله هنا: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾، أي اقضي بيننا، وافصل بيننا وبينهم، ولذلك يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"لم أعلم معنى ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، حتى سمعت بنت ذي يزن وهو أحد ملوك العرب تقول لزوجها: تعالى أفاتحك، أي تعالى أقاضيك"**.

وكذلك في سور السجدة في آخرها قال: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٨ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٨، ٢٩].

يوم الفتح يوم القضاء، وحسم الأمر، إذا حُسم الأمر وقضي بينهم لا يملكون شيئًا، فهذه الوقفة جميلة من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ حول هذه الآية في تدبرها، وموقف شعيب الصارم من هؤلاء، وكيف يعني رد عليهم بهذا الرد القوي، وكيف تأدب مع الله، وسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فوقفة جميلة من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ۝٧٠ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠، ٧١].

دلت على أن مخالفتهم للرسول لأجل ما جاء به من الحق، وأن عداوتهم الحقيقية للحق لذاته، وأنه السبب ف ذلك؛ لأن الحق خالف أهواءهم، وأن أهواءهم فاسدة يمتنع أن يرد الحق بما يوافقها؛ لأن الحق وهو صلاح السماوات والأرض ومن فيهن، ولو وافق الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن، فدل هذا على أن الحق جاء بما تشهد العقول الصحيحة، والفطر المستقيمة بحصته واستقامته واعتداله وكماله، وأن من خالف الحق فلفساد عقله، وانحراف في فطرته، وأنه اختار الضار على النافع؛ فلهذا قال: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

الشرح:

هذه الآية واردة في سورة المؤمنون، الشيخ رَحِمَهُ اللهُ استنبط يعني الشيخ لا يفسر الآية؛ إنما يستنبط من دلالات الآية.

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ركز على أن هؤلاء المخالفين لما جاءت به الرسل هم يحكمون عقولهم، ويريدون أن يتبعوا أهواءهم، ويخالفن الرسل؛ لأن الرسل جاؤوا بالحق وهم على الحق، وهؤلاء لا يريدون الحق، وإنما يريدون العبث واتباع الأهواء.

ولذلك الشيخ رَحِمَهُ اللهُ قال: **(دلت على أن مخالفتهم للرسول لأجل ما جاء به من الحق، وأن عداوتهم الحقيقية للحق لذاته)** لا للرسول **(وأنه السبب ف ذلك؛ لأن الحق خالف أهواءهم)** وخالف رغباتهم، وأهواءهم دليل على أن الحق هو الصلاح للأرض من عليها، وأهواءهم هي الفساد للأرض ومن عليها، وهم لا يريدون الصلاح؛ بل يريدون الفساد، فيقول: دل بالدليل العقلي أن صلاح السماوات وصلاح الأرض إنما هو بالحق وبإرسال الرسل وبما أنزل الله، وأن فسادها باتباع مثل هؤلاء لأهوائهم وشهواتهم.

وأعطاك النتيجة قال: **(ولو وافق الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن)** لأنهم ليسوا عل حق؛ وإنما هم على باطل، فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ استنبط وقايس بين الحق والباطل، وما يريده أعداء الدعوة إلى الله، ومقايسة بين هؤلاء وهؤلاء في الدليل العقلي أن هؤلاء لا يريدون الحق، ولذلك قال: **(فدل هذا على أن الحق جاء بما تشهد العقول الصحيحة، والفطر المستقيمة بحصته واستقامته واعتداله وكماله، وأن من خالف الحق فلفساد عقله، وانحراف في فطرته، وأنه اختار الضار على النافع؛ فلهذا قال: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾** [المؤمنون: ٧١]).

فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ استنبط استنباطًا دقيقًا، ولذلك تستطيع أن تجعل لكل آية يقف عندها الشيخ أن تستخرج لها عنوانًا مناسبًا، يتناسب مع ما يتحدث عنه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

ولذلك هذه الآية تعطيك الميزان الحقيقي في الموازنة بين الحق والباطل، وأهل الحق وأهل الباطل، ماذا يُريد الحق وأهله؟ وماذا يريد الباطل وأهله؟ وما ثمرة هذا الشيء؟ أهل الحق ما ثمرتهم لما دعوا الله؟ وما ثمرة أهل الباطل لما ردوا الحق وأرادوا الفساد في الأرض ما ثمرة ذلك؟ الآية تدور حول هذا الأمر.

قوله تعالى: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، ذكر كثير من المفسرين أن تقديره: "فوهبنا له يحيى، وقلنا يا يحيى" إلخ، ولا يحتاج إلى هذا؛ فإنه صرح أولًا بهبته يحيى في قوله: ﴿يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ [مريم: ٧]، فلو ذكر بعد ذلك لكان تكريرًا لا يحتاج إليه.

الشرح:

نستطيع نقول: إنه تدبر في تركيب الآية، في تركيب الآية من ناحية بلاغية، أو نحوية، فيها تقديره وفيها حذف، والحذف والتقدير هذا أسلوب بلاغي، ولذلك الشيخ قال: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، أن الكلام فيه تقدير؛ لأنه لو تقرأه في القرآن تشعر أن بين هذا وما قبله شيء محذوف ولابد أن يُقدر، ولذلك قال: (فوهبنا له يحيى، وقلنا يا يحيى. إلخ، ولا يحتاج إلى هذا؛ فإنه صرح أولًا بهبته يحيى) لما قال: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]، ثم قال: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ [مريم: ١٢].

فلو ذُكر بعد ذلك لكان فيه تكرار، لو جاء باللفظ المحذوف وذُكر في مقام الحذف لكن هناك تكرار لهذا اللفظ، لكن لما حذفه كان أنسب، وهذا الغرض من حذف الكثير من الآيات في القرآن أو الكثير من الكلمات تجد فيها حذف كثير ويقدره العلماء؛ لأن أسلوب الحذف أسلوب بلاغي ويستعمله العرب للتخفيف وعدم التكرار؛ لأن أحيانًا التكرار يمل منه الإنسان.

عمومًا هذه الوقفة هي تتعلق بوقفة بلاغية فيما يتعلق بما يسمى **"الحذف والتقدير"**.

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، عذابًا مضاعفًا شديدًا اتبعوا الشهوات بمعنى أرادوها وصارت هي همهم، وانقادوا لها، وصاروا مطيعين لها، فلذلك قال: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ [مريم: ٥٩]، ولم يقل: "تناولوا وأكلوا" ونحوه لهذا المعنى؛ لأن هذا الذم إنما يتناول متبعي الشهوات، فمهما اشتهت نفوسهم فعلوه على أنه المقصود المتبوع، ومن المعلوم أن النفس من طبعها أنها أمارة بالسوء؛ فإذا كان هذه طبعها عُلم أن ذمهم على اتباع الشهوات يدخل فيه المعاصي كلها، فلذلك رتب على هذا العقاب البليغ في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] .

وهذا بخلاف المؤمن المطيع لله؛ فإنه وإن تناول الشهوات فإنه لا يتبعها ولا تصير أكبر همه، ولا مبلغ علمه؛ بل يتناولها على وجه تكون هي تابعة لغيرها لا متبوعة، وخواص المؤمنين يتناولون الشهوات بقصد التوسل بها إلى القربات فتنقلب طاعات.

ونظير هذا أن الذي تناوله الذم هو اتباع الهوى، وهو كونه متبوعًا بأن يتخذ العبد إلهه هواه، لا مجرد أن يكون للعبد هوى، فكل أحد له هوى، ولكن المؤمن كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

الشرح:

تلاحظ أن الشيخ ما زال يقف في بعض آيات سورة مريم، فتوقف عند هذه الآية، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

أولًا الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وقف مع هذه الآية في عبارة ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩]، ووقف عند كلمة، ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩]، قال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي من بعد هؤلاء الذين ذكرهم الله الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، لما ذكرهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال بعدها: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، من بعد هؤلاء خلف، والخَلْف غير الخَلَف، الخلف دائمًا يأتي على وجه الذم، كما قال بعضهم: **"الخَلْف من الخَلْف"** كأنه وراءك، فهذا يأتي دائمًا على وهذا الذم، أما إذا قلت: **"الخَلَف"** فإنه في الغالب على وجه المدح؛ فتقول: **"خير خلف لخير سلف"** ففرق بين الخَلْف والخَلَف.

قال هنا: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ [مريم: ٥٩]، يعني ضيعوا الصلاة ولم يمتثلوا أمر الصلاة، ولم يُقدروا الصلاة ويحافظوا عليها، وأبدلوا مكان المحافظة على الصلاة باتباع الشهوات، الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وقف عند كلمة: ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩].

ثم قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، ما المراد بالغي؟ المفسرون ذكروا أقوالًا كثيرة في معنى الغي، والشيخ رَحِمَهُ اللهُ أخذ معنًى دقيقًا جدًا؛ فقال: الغي هنا مرادٌ به العذاب المضاعف مضاعفة شديدة.

وبعضهم قال: هو وادٍ في جهنم، وهناك أقوال كثيرة، ولكن الشيخ أخذ المعنى العام من هذه الأقوال، وقال: **"هو العذاب الشديد"**.

الشاهد من الكلام قال: اتباع الشهوات، يقول: لم يقل: أنهم أكلوا أو فعلوا أو تناولوا أو وقعوا في شهوة لا؛ بل ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩]، وهذا يدل على أنهم انغمسوا في باب الشهوات وأصبحوا أتباعًا لها، مناقدين لها، لا يترددون في أي شهوة إلا تجدهم يتبعونها.

فالتعبير بـ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ [مريم: ٥٩]، يدل على أن هذا أصبح طبعًا لهم، وسجية لهم، لا يستطيعون أن يتركوها، فهذا هو المعنى، فهذا هو المقصود، الشيخ وقف عند كلمة ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩]، أنها أصبحت سجية لهم، وطبعًا لهم لا يفارقونه، هذا الذي أراد الشيخ.

يقول: والهوى يقع من كلّ إنسان، حتى المؤمن أحيانًا تميل به نفسه وهواه إلى أن يفعل شيئًا، لكن لا يتبع، فرق بين اتباع الهوى، وبين الوقوع في الهوى، والمؤمن التقي دائمًا يدفع الهوى عن نفسه، لذلك ذكر الشيخ هذه الآية وقال: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٤٠]، ينهى نفسه أن تقع في الهوى، قد تقع في الهوى، لكن أن يتبع الهوى ويصبح الهوى ديدنه لا يفارقه، هذا هو الإشكال، وهذا الذي جعل القرآن يختار هذه الكلمة، لما أضاعوا الصلاة قال: اتبعوا الشهوات واتبعوا أهواءهم.

قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، اشتملت على أصول عظيمة على توحيد الربوبية، وأنه تعالى رب كلّ شيء وخالقه ورازقه ومدبره، وعلى توحيد الإلهية والعبادة، وأنه تعالى الإله المعبود، وعلى أن ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده، ولهذا أتى فيه بالفاء الدالة على السبب فقال: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ [مريم: ٦٥]، أي فكما أنه رب كلّ شيء فليكن هو المعبود حقًا فاعبده، ومنه الاصطبار لعبادته تعالى، وهو جهاد النفس وتمرينها وحملها على عبادة الله تعالى، فيدخل في هذا أعلى أنواع الصبر، وهو الصبر على الواجبات والمستحبات والصبر عن المحرمات، والمكروهات؛ بل يدخل في ذلك الصبر على البليات؛ فإن الصبر عليها وعدم تسخطها والرضا عن الله بها من أعظم العبادات الداخلة في قوله: ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥].

واشتملت على أن الله تعالى كامل الأسماء والصفات، عظيم النعوت جليل القدر، وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سمي؛ بل فد تفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه، والاعتبارات، وهذا من أكبر الأدلة على أنه الذي لا تنبغي العبادة الظاهرة والباطنة القلبية والبدنية والمالية إلا لوجهه الكريم خالصة مخلصة، كما خلص له الكمال والعظمة والكبرياء والمجد والجلال.

ومنها بطلان الشرك عقلاً ونقلاً، فكيف يليق بالعاقل أن يجعل المخلوق الناقص الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا ندًا لمن لا كفء له ولا سمي، ولا مشابه بوجه من الوجوه؟!

فهل هذا إلا من السفه والضلال والجهل المفرط، والضرر من كلّ الوجوه؟!

ودلت على أن الشرك قد تقرر في العقل قبحه، وأن التوحيد قد تقرر في العقل حسنه، فكما لا سمي لله؛ فلا أحسن من عبادته وإخلاص العمل له، ولا أنفع للعبد من ذلك، ولا أصلح ولا أزكى.

ومن المتقرر شرعًا أن الإحسان في عبادة الله تعالى الذي هو سبب كلّ خير عاجل وآجل؛ بل هو سبب لأعلى المراتب وأكمل الثواب هو كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فكما حقق العبد هذا الأمر كان له نصيب وافر من العبادة؛ بل هو أهم الأمور، ولهذا أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذ بن جبل أن يسأل الله تعالى أن يعينه على ذكره وشكره وحسن عبادته، وهذا أمر يقل

من الخلق من يحققه ويتصف به على وجه الكمال لمشقة ذلك على النفوس، فإذا امتثل العبد لأمر ربه بالاصطبار، ولعبادته وحبس النفس وتوطينها على إحسان العبادة خصوصًا أفضل العبادات وأعظمها وهي الصلاة، كما أمر الله بالاصطبار عليها خصوصًا فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

استنار قلبه بالإيمان، وأشرق نور العرفان في ضميره، وذاق طعم الإيمان، وباشر حلاوته، فانجذبت إلى عبادة الله وإخلاص العمل له، وعلم أن هذا هو الفلاح الدائم والربح المتضاعف الذي لا خسارة فيه، فصبر نفسه قليلاً ليستريح بأعظم اللذات طويلاً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الشرح:

هي آية واحدة ولكن استنبط منها مسائل مهمة متعلقة أغلبها في العقيدة، وبعضها في العبادات وخاصة الصلاة، يعني عندنا في العقيدة الإقرار بتوحيد الربوبية، والإقرار بتوحيد الإلهية والعبادة، وأيضًا الإقرار بتوحيد الأسماء والصفات، فجمعت هذه الآية عدة مسائل.

أولًا: أنواع التوحيد الثلاثة، ثم ما يتعلق أيضًا بالإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مسألة الإيمان بالله، والإيمان بالقضاء والقدر؛ لأن قوله: ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ [طه: ١٣٢]، يدخل فيه الصبر على البليات كما ذكر الشيخ وهذا أعظمها، الصبر على الأقدار، وهذا هو معنى تحقيق الإيمان بالقدر والقدر، فهذه مسائل عقدية مهمة.

ثم قال: يدخل في ذلك الاصطبار على الصلاة، والحرص عليها، فهذه كلها استنباطات دقيقة جدًا من الشيخ، لاحظ في قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [مريم: ٦٥]، قال: هذا فيه الإقرار والاعتراف بتوحيد الربوبية، وأنه رب كلّ شيء، ثم قال: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ [مريم: ٦٥]، أيضًا بتوحيد الإلهية والعبادة وأنه هو الذي يستحق العبادة، وأنه المعبود حقًا، وكذلك في قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي نظيرًا أو شبيهًا، فهو واحد في ربوبيته، وواحد في إلهيته، وواحد في أسمائه وصفاته، فليس له سمي من خلقه، وليس له مثيل، وليس له كفء من خلقه، سبحانه المنفرد بهذه الصفات الجليلة، وهذا الكمال وهذه العظمة، وهذا الكبرياء والمجد الجلال، كلها من خصائص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]، يعني الزم عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أيضًا وقف مع مفهوم الآية؛ لأن هذا منطوق الآية، مفهومها يقول: **(ومنها بطلان الشرك عقلاً ونقلاً)** فكيف للعاقل أن يجعل المخلوق الناقص من كلّ وجه شبيهًا ومثيلاً وندًا للخالق الكامل من كلّ وجه؟ لا يمكن، وهذا المخلوق الضار الذي لا يمنع، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النافع غير الضار الحي الذي لا يموت يعني قارن بين التوحيد والشرك، والفرق بينهما، وأنه لا يكون صاحب العقل السليم أن يعبد من دون الله ما هو ناقص.

هذا ما أشارت إليه الآية وهو ما وقف عنده الشيخ، استنباطات دقيقة وأطال الكلام فيها، لكن تلاحظ رَحِمَهُ اللهُ أن عنده دقة الاستنباط في العبارات، وفي الكلمات، وفي الوقفات الجميلة، وكيف يستعمل القرآن؟

كلمة ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩]، لماذا قال: اتبعوا، ولماذا قال هنا: واصطبر؟ لماذا قال: فاعبده بالفاء؟ و**"الزم عبادته"** وهكذا.

فوقفة جميلة الحقيقة ومهمة جدًا للشيخ رَحِمَهُ اللهُ وجزآه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء، نلتقي بإذن الله في لقاء قادم.

نقف عند هذا القدر عند قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، من سورة المدثر، ونواصل إن شاء الله الحديث.

بارك الله فيك، وجزآك الله خيرًا ونفع الله الجميع بما قلنا وسمعنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛...

اللّٰهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم يوم الخميس الرابع عشر من شهر شعبان من عام ١٤٤٣ والكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

وعقدنا عدة مجالس لهذا الكتاب، وهذا المجلس الذي بين أيدينا هو المجلس العشرون، ونبدأ على بركة الله.

فصل

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩]، أي كلّ نفس مرتهنة محبوسة وموثقة بكسبها السيئ، وحبسها في العذاب السيئ، وذلك لأن الجزاء من جنس العمل، فكما حبس المجرمون ما لديهم لله ولخلقه من الحقوق اللازمة، فلم يؤدوا الصلاة التي هي أكبر العبادات المتضمنة للإخلاص للمعبود، ولا أطعموا المساكين من الحق الذي أوجبه الله عليهم في أموالهم، ولا حبسوا نفوسهم على ما شرع، وقيدوها بقيود الدين؛ بل أطلقوها فيما شاءوا من المرادات الفاسدة، فخاضوا بالباطل مع الخائضين، ولا صدقوا ربهم ورسله مع تواتر الآيات؛ بل كانوا يكذبون بيوم الدين؛ فلذلك حبسوا في هذا المحبس الفظيع، وأدخلوا في سقر.

ولما كان أصحاب اليمين قد حبسوا نفوسهم في الدنيا على شرع الله تصديقًا وعملاً وأطلقوا ألسنتهم وجوارحهم في طاعة الله ومرضاته أطلق الله إسارهم وفك وهنهم، فلم يكونوا في ذلك اليوم مرتهنين؛ بل كانوا مطلقين فيما اشتهت أنفسهم ولذت عيونهم.

فعمل العبد في الدنيا إما أن يكون سببًا لارتهانه أو سببًا لخلاصه؛ بل الأصل أن الإنسان في حبس، وأن عمله سيرتهن؛ لأنه ظلوم وجهول طبعًا، إلا من خلصه الله من هذا، ومنّ عليه بالصبر وعمل

الصالحات؛ فلهذا جعل الارتهان عامًا، واستثنى منه أصحاب اليمين؛ فقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩].

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وقف عدة وقفات:

الوقفة الأولى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، أولًا هو بيّن أن النفس هنا المراد بها الكافر، نفس الكافر، بدليل ماذا؟ بدليل الاستثناء، ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٩]، يعني يقول: كلّ نفس فهي معذبة، والعذاب لا يحل إلا بالكافر؛ لأن كلمة **"كلّ نفس"**، **"كلّ"** هنا تفيد العموم، لكن المراد بالنفس هنا مع أن النفس نكرة، **"كلّ"** تفيد العموم، فدل ذلك على أن المراد بها كلّ نفس كافرة، لأنه استثنى منها قال: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٩].

فدل على أن النفس التي هنا هي النفس التي تستحق العذاب، وهي كلّ نفسٍ قصرت في حق الله، هذه واضحة.

النقطة الثانية: بيّن الشيخ أن الجزاء من جنس العمل، فكما أنهم لم يعرفوا حق الله، ولم يحبسوا أنفسهم على طاعة الله في الدنيا حُبسوا في الآخرة.

والنقطة الثالثة: ذكر الشيخ كما يقال: **"وبضدها تتميز الأشياء"** وهذا ما يسمى بـ **"مفهوم المخالفة"**، فكما أن كلّ نفس بما كسبت ضيعت نفسها في الدنيا فهي رهينة بالعذاب، فكذلك كلّ نفس حبست نفسها على طاعة الله؛ فإنها قد فكت نفسها من العذاب، وخلصت نفسها من العذاب، فهذا معنى استنباط الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من هذه الآية القصيرة أو هاتين الآيتين القصيرتين استنبط رَحِمَهُ اللهُ هذه الدلالات.

أولًا: أن الآية دلت على أن النفس هنا هي الكافرة بدلالة الاستثناء.

ثانيًا: الجزاء من جنس العمل أن هذه النفس لما ضيعت نفسها في الدنيا وأثرت نفسها على المعاصي أُسرت في الآخرة.

ثالثًا: دلالة المفهوم أن من حبس نفسه في الدنيا على طاعة الله فقد فك نفسه في الآخرة من هذه الحال.

كلما ازداد العبد قربًا من الله بالإيمان به، والتحقق بحقائقه ومعرفته بالله، ومحبته والإنابة إليه وإخلاص العمل له، حصل له الخير والسرور، واندفعت عنه أنواع الشرور، وزالت عنه المخاوف، وسهلت عليه صعاب الأمور، وهذا هو المعني الذي أراد الله بقوله لموسى: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۝ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٠، ١١].

وبدل على هذا قوله: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾ [النمل: ١٠]، ولم يقل: "لا يخاف مني" أي لا خوف ينال من مننت عليه بأكمل الحالات وأشرف المراتب، وهي الرسالة، ولكل مؤمن نصيب من هذا بحسب ما قام به من أتباع المرسلين، ويدل أيضًا أن المراد هذا المعنى العام الحسن الجليل أن السياق والقرينة تدل عليه دلالة بنية؛ فإن الخوف الصادر من موسى إنما وقع لما رأى عصاه تهتز كأنها جان؛ فخاف حينئذٍ من تلك الحية بحسب الطبيعة البشرية، فأعلمه الله تعالى أن هذا محل القرب من الله، لا يليق ولا يكون فيه خوف، وإنما فيه الأمن التام، ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١].

ويدل على هذا المعنى ما دل عليه الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النمل: ١١].

فإن الاستثناء معيار العموم، والأصل أن يكون من جنس المستثنى منه؛ فالمعنى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فإن ظلموا أنفسهم ثم رجعوا إلى ربهم وبدلوا سيئاتهم حسنات رجعوا إلى مرتبتهم ، وأزال عنهم الغفور الرحيم موجب الظلم والإساءة والله أعلم.

الشرح:

الحقيقة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تميز بقوة الاستنباط والتدبر، هذا هو التدبر الحقيقي، لما على آية قصيرة ويستخرج منها هذه الدلالات فهذا هو التدبر الذي أمر الله به، وهذا هو معنى التدبر الحقيقي، أنه كيف تدل الآية عليه؟ بألفاظها.

أولًا: الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وقف مع هذه الآية وقفة تأمل فيما يتعلق بالخوف والإيمان، وميزان الإيمان والخوف، وما الذي يجعل الإنسان يزيل عنه الخوف؟ هو حقيقة الإيمان وقوة الإيمان عنده، ولذلك قال:

﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١]، وفي آية أخرى قال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ففي قوله تعالى: ﴿يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾ [النمل: ١٠]، كما قال الشيخ؛ قال: ما قال: **"لا يخاف مني"** وإنما قال: **"لا يخاف من عندي ومن توليت أمره، ومن كان تحت ولايتي؛ فإنه لا يخاف أبدًا مهما كان"** فهذا هو المقصود، وكما قال هنا: ﴿يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠]، والرسالة هي أعلى مراتب الدين، وأشرف المراتب، ولذلك ما دون الرسالة حسب إيمان الشخص، فكلما ازداد إيمانًا ازدادًا قربًا من الله، وكلما ازداد قربًا من الله ازداد أمنًا.

فالقريب من الله آمن، ولا يكون قريبًا إلا بإيمانه، فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ أكد على قضية الإيمان، والقرب من الله، ولذلك هو افتتح الكلام بأي شيء؟

قال: **(كلما ازداد العبد قربًا من الله بالإيمان به، والتحقق بحقائقه ومعرفته بالله، ومحبته والإنابة إليه وإخلاص العمل له، حصل له الخير والسرور، واندفعت عنه أنواع الشرور، وزالت عنه المخاوف)**.

فهذا الكلام الذي بدأ به هو الذي يعطيك خلاصة ما دلت عليه هذه الآية، فالآية لها دلالة جميلة حسنة وهو الذي استنبط الشيخ منها هذا المعنى الجميل.

فائدة: وهي في الحقيقة تابعة للإيراد السابق في إخبار الله لا يهدي الظالمين والكافرين ونحوهم، مع أنه وقع منه هداية لمن اتصف بذلك الوصف، وجوابه السابق هو أن النفي واقع على من حق عليه أنه مجرم من أهل النار، وأن الهداية الحاصلة لمن لم يكن كذلك ثم تبين لي في يومي هذا، وتوضح معنى ما زال مشكلاً عليّ وضحه الله له الحمد، وهو حل هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وأنها تقرير للآية التي قبلها؛ فإن الله تعالى قال لرسوله مسليًا بعدم إيمان المعاندين، وأن هذا لا يضر الحق شيئًا: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝٨٠ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨٠، ٨١].

فلما بيّن له أن اجتهاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هداية الضالين إنما ينتفع به ويسمعه سمع قبول وانقياد من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون، وأما الموتى الذين ليس في قلوبهم أدنى حياة لطلب الحق فكما أن صوتك لا تُسمع به الأموات موتًا حسيًا، فصوتك أيضًا في الدعوة والإرشاد لا تُسمع به موتى القلوب.

ولا الصم المعرضون المدبرون عن الحق، ولا الذين صار العمى لهم وصفًا، والغي لهم نعتًا فهؤلاء هم الذين ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وأولئك هم الغافلون، وهؤلاء هم الذين حق عليهم القول.

وإذا حق القول على الأشقياء لم تنتفهم الآيات المسموعة والتذكير، كما لا تنفعهم الآيات التي يصير الإيمان عندها اضطراريًا، وهي الآيات الكبار التي تكون مقدمة الساعة؛ فإنها إذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، حينئذٍ حق القول على الأشقياء أنهم لا يزالون على شقائهم، فيخرج لهم دابة من الأرض تكلمهم، وتبين المسلم من الكافر.

فالقول إذًا حق لا يتغير ولا يتبدل، ويحصل اليأس من إيمان الكافرين، ولو كانت الآيات أكبر الآيات، فالآية تقرر ما قبلها، وتدل على العلة الجماعة، وهي أن من حق عليه القول لو جاءته كلّ آية لم يؤمن حتى يرى العذاب الأليم، والله أعلم.

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وكأنه يقف مع الهداية، وحقيقة الهداية، هو يقول: نسمع ونقرأ في القرآن الكريم، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ونحو هذا، مع أنه وقع هداية لمن اتصف بهذا الوصف، تجد ظالمًا أو فاسقًا أو كافرًا قد اهتدى وقد اتصف بذلك الوصف.

فكيف يقول: لا يهدي؛ ثم نجد من يهتدي؟

قالوا: إن النفي واقع على من حق عليه أنه مجرم من أهل النار، وأن الهداية حاصلة لمن لم يكن كذلك، يقول: إذا قرأت القرآن ووجدت فيه ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ولم يهتدوا فهؤلاء الذين حقت عليهم الشقاوة، ومن تجده قد وقع في الظلم والفسق والكفر والضلال ثم يهتدي ويُسلم ويحسن إسلامه وهدايته؛ هذا من النوع الذي لم يكن الله قد حق عليهم كلمة العذاب.

فكأن الشيخ يبين أو يحاول أن يفرق بين من اتصف بهذه الصفات وهو قد كتب الله له الهداية، ومن اتصف بهذه الصفات وهو من كتب الله عليه الشقاوة، ولذلك مثلما ذكر هنا يقول: زال الإشكال عندي لما تأملت آية سورة النمل، ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

يقول: هذه الآية إذا نظرت إليها، ونظرت ما سبقها من الآيات التي قبلها جمعت بين هذا وهذا، واتضح لك الأمر؛ أن الموتى حقيقة لا يمكن أن يدخل الإيمان في قلوبهم، ولا يستحقون هذا الإيمان لشقاوتهم وضلالهم هؤلاء هم الذين تتناسب معهم الآية.

فكأن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كما ذكر في آخر كلامه قال: **(فالآية تقرر ما قبلها، وتدل على العلة الجماعة)** يقصد آية ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٨٢]، يقول: هذه الآية تُقرر ما قبلها من أهل الشقاوة، وتدل على العلة الجامعة وهي أن من حق عليه القول لو جاءته كلّ آية لا يؤمن؛ حتى تأتيه هذه الآية وهي من علامات الساعة الكبرى، فتميز الكافر من المؤمن، فلا ينفع الإيمان.

فكأن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أراد أن يميز بين من اتصف بهذه الصفات صفات الكفر والفسق والضلال والظلم ونحوه، ثم يهتدي أو لا يهتدي، كيف نعرف هذا الأمر؟ وكيف نميز؟ هو ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

الطالب: أحسن الله إليكم، الله لا يهدي القوي الكافرين يعني الذين حق عليهم أن الله لا يهديهم، وطبع عليهم؟

الشيخ: إي نعم، أنت تسمع في القرآن، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ثم نجد من يمن الله عليه بالهداية، هذا هو الإشكال، هذا الذي جعل الشيخ يقول: كيف يحصل هذا؟

فقال: إن الكافرين منهم من كُتبت عليه الشقاوة، مثل قوله تعالى: ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، فهذا معنى إيراد الشيخ كما ذكر هنا؛ قال: **(الهداية الحاصلة لمن لم يكن كذلك)** وأن النفي واقع على من حق عليه أنه مجرم وأنه من أهل النار.

فيقول: **"تبين لي الفرق"** لاشك أن الشيخ يعرف الفرق؛ من كتبت عليه الشقاوة لا يهتدي، ومن لم تكتب عليه الشقاوة وقد اتصف بهذه الصفات؛ فإن الله يجتبيه ويهديه إذا أراد الله هدايته، يعني يهده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لكن الشيخ ماذا يريد؟ يقول: إنني وجدت ذلك في كتاب الله، وجدت الدليل على هذا التفريق في كتاب الله في آية النمل، هذا المقصود، فهو الشاهد والدليل على هذا الكلام.

قوله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، تدل على أن أهل العلم بهم يعرف الحق من الباطل، والحلال من الحرام، فهم الوسائل بين الله وبين عباده، ولهذا استشهد الله بهم على التوحيد وعلى النبوة وعلى صحة القرآن كما في الآية، وعلى التوحيد في قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وعلى القرآن قوله: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وتدل هذه الآيات على أن العلم الحقيقي هو ما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب وما فرق بين الحق والباطل، وما سوى ذلك وإن كان صحيحًا فلا يستحق صاحبه، أن يكون من أهل العلم الذين أمر الله بالرجوع إليهم، وإنما هو من أهل الذكر الذين قال الله فيهم: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

حقيق بمن منّ الله عليهم بشيء من العلم أن يكونوا أسرع الناس انقيادًا للحق، وأبعد الناس عن الباطل، ولهذا شدد الله الذم بمخالفة هذين الأمرين على أهل العلم؛ كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ [النساء: ٤٤]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣].

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وقف مع آيات العلم هذه عدة وقفات:

أولًا: فضل أهل العلم، أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ربط الحق بهم، وبيان الحق بهم، قال: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً﴾ [الشعراء: ١٩٧]، دليل واضح ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، فشرف الله العلماء بمعرفة الحق، هذا الأمر الأول.

وشرفهم أيضًا باستشهاد الله لهم؛ فإن الله شهد على نفسه، وأشهد أقرب الناس إليه، أو أقرب الخلق إليه وهم الملائكة، واستشهد بأشرف الناس وهم أهل العلم، وأيضًا ميز أهل العلم بأن القرآن في صدورهم، وهم يتميزون بالقرآن.

فالدلالة الأولى التي استنبط الشيخ هي: **"شرف العلم، وتشريف أهل العلم، ومكانة أهل العلم"**.

الأمر الثاني: بين أن المقصود بالعلم في الآيات هذه هو العلم بالله وبرسوله، وأن العلم الحقيقي هو ما جاء به الرسل، وأما ما سواه من العلوم الأخرى فيسمى أهله بأهل الذكر، ولذلك ما قال: **"فاسألوا أهل العلم"** ؛ وإنما قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]. ففرق بين هذا وهذا.

ثم ختم المؤلف هذه الكلمة أو هذه الوقفة بأن من منّ الله عليه بالعلم أن يكون أسرع الناس استجابة لله وانقيادًا لله، وأبعد الناس عن الباطل، ولذلك شدد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في من عرف الحق وتلبس بالعلم ثم يكون هو أبعد الناس عن الحق، وأقرب إلى الباطل فشدد عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٢٣]، والآيات الأخرى التي مثلها، كلّ ذلك في هذا الجانب.

فهذه الوقفة تتعلق بـ: العلم، وفضله، والمقصود بالعلم في القرآن الكريم إذا أُطلق، والفرق بين العلم والذكر، وموقف أهل العلم في جانب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي جانب ما شرع الله وأمره به ونهى عنه، أن يكونوا أسرع الناس إلى الحق، وأبعد الناس عن الباطل، هذا خلاصة ما وقف الشيخ معه في هذه الوقفة الجميلة.

فائدة عظيمة بل هي أعظم الفوائد على الإطلاق، الإيمان هو أعلى الخصال وأشرف المراتب وأكمل المناقب ؛ بل لا يمكن أن تكون فضيلة ولا ثواب إلا بالإيمان وحقوقه؛ ولذلك أثنى الله به على خيار خلقه والمصطفين من عبادة فقال في كلّ من نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس وغيرهم من الأنبياء، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ٨١].

فعلل ما حصل لهم من الخيرات وزوال الشرور بإيمانهم، وقد علق الله الفلاح ودخول الجنان على الإيمان في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، ثم ذكر صفاتهم الناشئة عن إيمانهم، ثم قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

والله يحب المؤمنين، إن الله لمع المؤمنين، وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة الدالة على فضله وفضل أهله، وأن الخير كله فيه، فعلى العبد الذي يريد نجاة نفسه، ويقصد كمالها وفلاحها أن يسعى غاية جهده ويبذل مقدوره في هذا الوصف، وهو الإيمان علمًا ومعرفةً وعملاً وحالًا ووصفًا، وهو كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

فوصفه بأقوال اللسان التي يحبها الله ورسوله، وذكر أعلاها بالإحسان إلى عباد الله، أي إحسان كان حتى إماطة الأذى عن طريقهم وبأعمال القلوب التي أصلها الحياء؛ فإن من اتصف بالحياء من الله انصبغ قلبه بمعرفة الله وحبه، وخوفه، ورجائه، والتحبب إليه مهما أمكن.

الشرح:

هو سيواصل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في الإيمان حتى في صفحات أخرى كلها تتحدث عن الإيمان، وهو يبين لك مرتبة الإيمان في الدين، ومنزلة الإيمان، وأن هذه المنزلة هي أشرف المنازل وأشرف المراتب على الإطلاق، هذا هو مقصد الشيخ، ولذلك بيّن أنه حتى إن المرسلين وصفهم الله بالإيمان، وهم من أولي العزم كنوح وإبراهيم وموسى ومحمد وغيرهم، وصفهم الله بالإيمان وحثهم على الإيمان.

فمقصود الشيخ يبين لك منزلة الإيمان، وثمرة الإيمان، وأثر الإيمان على العبد، وأن الإيمان يشمل كلّ ما يتعلق بالإنسان، مثلما دل عليه الحديث «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة**»، الإيمان باللسان، والإيمان بالجوارح، والإيمان بالقلب، الإيمان يدخل في كلّ شيء، فقلبك مؤمن ولسانك مؤمن حتى الجوارح وأعمالك التي تقع منك تقع منك على وجه الإيمان مثلما ذكر هنا، فهذا هو مقصود الشيخ.

لكن سيواصل الشيخ ما يتعلق بالإيمان، والإيمان بلا شك الكلام فيه يطول، وأُلفت فيه مؤلفات، فهذا هو مقصد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ؛ حتى أن شيخ الإسلام ألف كتابًا كاملاً أو رسالة كاملة في الإيمان، في حقيقة الإيمان، الإيمان وحقيقته؛ فالشيخ الآن سيواصل، لما بين لك الآن منزلة الإيمان، وبيّن لك أيضًا شيئًا من أثر الإيمان، ومجالات الإيمان الآن سيتحدث عن حقيقة الإيمان ما هو؟ وأيضًا تفاوت الناس في الإيمان، ثم يذكر لك علامات الإيمان التي منها التوكل والإنابة إلى آخره.

وحقيقة هذا أن الإيمان اسم جامع للشرائع الظاهرة والباطنة، ولأقوال اللسان وأقوال القلب، وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، وأن من قام بهذه الأمور ونصح فيها وأحسن كان أكمل إيمانًا، وأن من نقص معها معرفة وعلمًا وعملاً وحالًا صالحًا نقص من إيمانه بقدر ذلك.

والناس في الإيمان درجات متفاوتة، فأكملهم من وصل في علوم الإيمان إلى علم اليقين وحق اليقين، وفي أعماله من وفى مرتبة الإحسان، وعبد الله على وجه الحضور والمراقبة، وفي أحوال الإيمان من كانت آدابه وأخلاقه صبغة لقلبه، وحالًا غير حائلة؛ بل إن عرض له ما يشوش عليه إيمانه بادر بالحال لإزالته، ورجع إلى نعته ووصفه صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا».

فإن لم يتغير إيمانه عند المعارضات كالشهوات والإرادات السيئة، وإتيان الأمر مخالفًا لمراد النفس، كان هذا المؤمن حقًا، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ولهذا كان من كمال الإيمان أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ولهذا أيضًا كان إخراج محبوب النفس وهو المال لله تعالى دليلاً عن الإيمان، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والصدقة برهان»، ولهذا أيضًا كان الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد.

الشرح:

يبين ما هو الإيمان الحقيقي، الإيمان يتعلق مثلما ذكرنا باللسان، وبالقلب، وبالجوارح، يقول: (الإيمان اسم جامع للشرائع الظاهرة والباطنة) كلها داخلة في الإيمان، ويتعلق باللسان، والقلب، والجوارح، وبيّن لك أن الناس يتفاوتون في قوة الإيمان وضعه، على حسب اليقين، والطاعة، وحسب العلم، والقرب من الله يزيد الإيمان، وكلّ ما خالف ذلك نقص إيمان العبد.

ومما يدل على قوة إيمان العبد المبادرة إلى الطاعات، والمبادة في البعد عن المعاصي، وأن المعاصي لا تؤثر فيه، وأن الإيمان حقيقة هو الذي يجعل العبد يُسارع إلى مرضات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما ذكر الشيخ هنا

قال: أثر الإيمان على العبد هو أن يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويخرج ماله المحبوب الذي في قلبه إلى من يستحقه، وهكذا، فهذه كلها تدل على قوة إيمان العبد.

الآن سيذكر لك أيضًا علامات الإيمان، مجموعة من الآيات تدل على علامات الإيمان وأثر الإيمان في بقي الأعمال.

ومن علامات الإيمان ما ذكره الله بقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

فوصف المؤمنين بأنهم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خضعت وخشعت وذلت لعظمته، وانكسرت لكبريائه فتركت معاصيه وخافت عقابه، واطمأنت بذكره، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وإنهم إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا أي ازدادوا بها علمًا وبصيرة ورغبة في الخير ورهبة من الشر؛ فنما الإيمان في قلوبهم، وكان إيمان ناشئًا من أعظم الأدلة والبيانات كما قالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]، وقالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وكما قال مؤمنو الجن، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١٣].

فبحسب إيمان العبد يزداد إيمانه عند تلاوة كتاب الله والحكمة، وهذا أعلى ما يكون من الإيمان؛ فإنه إيمان عن أكبر البراهين، وإيمان على بصيرة، لا كإيمان ضعفاء المؤمنين، الناشئ عن العادات والتقليد الذي هو عرضة لعارض والعوائق.

وأما هذا الإيمان فهو إيمان لا تزعزعه الشبهات، ولا تعارضه الخيالات؛ بل يزداد مع صاحبه مدى الأوقات.

الشرح:

الآن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يحاول أن يجمع الآيات وينظر في مجموع هذه الآيات ويستنبط من كلّ آية أو من كلّ مجموعة من الآيات استنباطات دقيقة، فهنا في هذه الآية آية الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٢]، ذكر أثر الإيمان على العبد، وعلامات قوة الإيمان وضعفه.

يقول: (فوصف المؤمنين بأنهم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هذه علامات الإيمان قوةً وضعفًا، وأثر الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [الفاتحة: ١٦]، هذه أثر الإيمان، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [الفاتحة: ١٦]، وقال: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١٣]، وهكذا.

فالآن يبين لك الشيخ هنا علامات الإيمان، كيف نعرف إيمان العبد؟ وكيف نعرف قوة الإيمان؟ من مواقفه ورغبته في الخير، والبعد عن الشر، سيذكر لك الآن أيضًا شيئًا يتعلق بالإيمان، وهو حقيقة الإيمان وهو التوكل على الله.

ووصفهم بتحقيق التوكل عليه، فأعظم الناس إيمانًا أعظمهم توكلاً على الله خصوصًا التوكل العالي الذي هو الاعتماد التام على الله في تحصيل محابه ومراضيه، ودفع مساخطه ولهذا يجعل الله التوكل ملازمًا للإيمان في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

فالمؤمن حقًا تجده قائمًا بما أمر الله به من الأسباب، معتمدًا على مسببها ومصرفها، واثقًا بربه، لا يقلقه تشوشها، ويحزنه إتيانها على غير مراده، وقد هدى الله قلبه فاطمأن إلى ربه ورضي به، وفوض إليه أمره، ومن يؤمن بالله يهد قلبه، قد تحقق قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

فقد رضي بكفاية ربه، وسلم إليه الأمر، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ووصف المؤمنين حقًا في هذه الآية بأنهم الذين يقيمون الصلاة، أي يقيمونها بقيام مكملاتها ظاهرة وباطنًا، ويؤتون الزكاة، فالصلاة فيها الإخلاص للمعبود، والزكاة فيها الإحسان إلى عبادة الله تعالى، فبحسب إيمان العبد يكون قيامه بالصلاة والزكاة اللتين هما أم العبادات وأجلها وأعلاها وأعظمها نفعًا وثمرات.

الشرح:

هو الآن يحاول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن يبين لك أوصاف المؤمنين، ما هو الإيمان الذي جعله إلى يصلون إلى هذه الدرجة؟ وما علامات الإيمان؟ فذكر شيئًا مما دلت عليه آية الأنفال، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، إلى أن قال: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٢، ٣].

فحقيقة الإيمان التوكل على الله، وأثر التوكل أو أثر الإيمان على توكلهم في جلب المنافع ودفع المضار، والمسارعة في مرضات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأيضًا من أجل هذا أنهم يلازمون هاتين الطاعتين العظمتين وهي: **"الصلاة، والزكاة"** أو الإنفاق في سبيل الله؛ التي هي من أجل العبادات، التي دائمًا يقرن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بينهما في الكثير من الآيات،

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [المائدة: ٥٥]؛ لأن إيقام الصلاة وإيتاء الزكاة هي عمود الدين، وهي أم العبادات.

وكذلك يقرن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين التوكل والإيمان، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وهكذا تجد يقرن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين أمور يعني إذا كان بينهما تلازم قوي.

لا تزال الآيات في وصف الإيمان والمؤمنين، لكني أخشى أن يطول الكلام؛ لأن الآن كلّ الآيات هذه فيما يتعلق بالإيمان، الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أطال في مسألة صفات المؤمنين، وأثر الإيمان عليهم، وما يتعلق بذلك من الآيات، سيأخذ صفحات كثيرة كلها تتعلق بالإيمان وأثره على العبد.

هو سيأخذ إلى تقريب صفحة ٩٤ وهو الفصل الذي يليه وهو ما يتعلق بالغيب ونحوه، لكني لا أريد الإطالة عليك، لعلنا نقف عند وصف الله المؤمنين في آيات المؤمنين وهي الآيات العشر، الآيات العشر هذه نزلت دفعة واحدة، وهي في أوصاف المؤمنين الذين علق الله عَزَّ وَجَلَّ الفلاح بهذه الصفات، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، من هم؟ قال: هؤلاء، وهؤلاء، وهؤلاء، هذه صفاتهم.

طيب نقف عند هذا القدر، وإن شاء الله في اللقاء القادم نواصل ما توقفنا عنده بإذن الله، جزآك الله خير، وبارك الله فيك.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

اللّٰهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا وعملاً يا رب العالمين.

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم الحادي والعشرون من شهر شعبان من عام ١٤٤٣.

الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

قرأنا في هذا الكتاب في مجالس متعددة، وهذا المجلس هو المجلس والحادي والعشرون في ذكر **"صفات المؤمنين"**.

وكذلك وصف الله المؤمنين في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ١٠].

فهذه الأوصاف العظيمة بها يكمل الإيمان ويتحقق، وهو ميزان للخلق، فالمؤمنون المفلحون أهل الفردوس، هم الذين أقاموا الصلاة ظاهرًا وباطنًا، بحقوقها وخشوعها الذي هو لبها، وآتوا الزكاة المأمور بها، وحفظوا ألسنتهم من الكلام السيئ والفحش، ومن اللغو والكلام الباطل، ولهذا نبه بالأدنى الذي هو اللغو على ما هو أولى منه.

فإخبار الله أنهم عن اللغو الذي هو الكلام الذي لا منفعة فيه معرضون يدل على أنهم تركوا الكلام المحرم، وحافظوا فروجهم عن الحرام لله تعالى، وتمام حفظها حفظ البصر، وعدم قربان الفواحش ومقدماتها، وكما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

ووصفهم بمراعاة عهودهم وأمانتهم، وهذا عام للعهود والأمانات التي بينهم وبين ربهم؛ فإنهم قد عقدوا بينهم وبين ربهم عقد الطاعة والسمع والالتزام، ولهذا ذكرهم الله بهذا العهد في قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧].

والعهود والأمانات التي بينهم وبين الخلق ألا ينقضوها، وأن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، ولهذا ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن علامة الأمان أن يكون العبد مؤتمنًا على الدماء والأموال، فقال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه وبده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»، وقال: «لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه».

ووصف المنافق بضد ذلك، ووصف المؤمنين بالإيمان بجميع الحق الذي نزله الله، وبالرسل الذين أرسلهم الله فقال:﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالمؤمن لما كان وصفه أنه متطلب لرضوان الله، متبع هداه أينما كان آمن بجميع الإلهية والرسل، والتزم الدخول في طاعة الله وطاعة رسوله في كلّ شيء، وسأل الله أن يغفر له ما قصر فيه، وأن يتجاوز عنه إذا قدم عليه.

الشرح:

الآن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ سيستمر في ذكر صفات المؤمنين التي ذُكرت في القرآن ويقف عندها، مجموعة من الآيات في صفات المؤمنين وبعض المناقب إلى أن يأخذ عدد من الآيات، وأحيانًا يذكر ربط بعض الأحكام بصفات المؤمنين، وتعليق بعضها، واشتراط ما يتعلق بالإيمان وأثره.

وذكر هنا الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الآيات العشر الواردة في سورة المؤمنين، وهذه الآيات العشر نزلت جملة، يعني أحيانًا القرآن تنزل السورة كاملة، وأحيانًا تنزل آيات، وأحيانًا تنزل خمس آيات خمسًا كما قال الكثير من الصحابة، قال: **"كان القرآن ينزل خمسًا خمسًا، وعشرًا عشرًا"** وأحيانًا ينزل أقل من ذلك وأحيانًا يزيد.

فمما نزل عشرًا عشرًا هذه الآيات التي بين أيدينا، من سورة المؤمنون، وأيضًا الآيات العشر التي نزلت في براءة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في آيات الإفك، هذه مما يذكرونها من الأمثلة على نزول الآيات عشرًا عشرًا.

طيب هذه ذكر الله فيها يعني تقريبًا ست صفات، وقف عند بعضها:

١. الخشوع في الصلاة.

٢. الإعراض عن اللغو.

٣. المحافظة على الزكاة وفعلها.

٤. حفظ الفروج.

٥. المحافظة أو مراعاة الأمانات والعهود.

٦. المحافظة على الصلوات.

ولاحظ أن الآيات هذه المجموعة العشر ابتدأ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بصفة الخشوع في الصلاة وختمها بالمحافظة على الصلاة، وهذه مثل آية المعارج ابتدأ الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤]، كأن هذه الصفات رابطها وجامعها الصلاة، فمن حافظ على الصلاة فهو من باب أولى يحافظ على هذه الصفات؛ فكأن هذه الصفات كلها يعني الرابط لها هو الصلاة، المحافظة على الصلاة بإقام الصلاة، وخشوعها، ونحو ذلك.

الشيخ ركز على قضية ماذا؟

قال: إن هذا الإيمان هو ميزان للخلق جميعًا، فمن اتصف بهذه الصفات صفات الإيمان التي علق الله عَزَّ وَجَلَّ عليها الفلاح لما قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، من هم؟ قال: هؤلاء هم المؤمنون، فصفاتهم هي التي تميز المؤمن عن غيره، المؤمن المفلح الذي وعده الله بالفردوس وجعله من أهل الفردوس هم الذين حافظوا على الصلاة.

قال: **"إقام الصلاة"** والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ركز على قضية **"الخشوع في الصلاة"** لأن الخشوع هو لُبها، فالخاشع في صلاته هو المتأمل لما يقوله في صلاته، المتدبر لما يفعله، الذي أدرك ويُدرك ماذا يقول في صلاته، فهذا هو لُبها، وإذا ذهب الخشوع عن الصلاة صارت الصلاة كأنها شكلية لا أثر لها على العبد.

ذكر من الصفات الثانية قال: **"المحافظة على الزكاة المأمور بها"**؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]، ونص على الزكاة، مع أنه يذكر في آيات أخرى الإنفاق، ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٦١]، لكن هنا خص الزكاة المعروفة وهي الزكاة التي نص عليها شرعًا، وهي إخراج النصيب الذي ..

أيضًا من الصفات قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، الكلام الذي لا فائدة فيه يُعرضون عنه، فكيف بالكلام الذي فيه ضرر عليهم؟! من باب أولى، فكأنه يقول: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نبه بالأدنى الذي هو اللغو على ما هو أولى منه، إذا كانوا هم يعرضون عن اللغو، فمن باب أولى أنهم يعرضون عن الكلام الذي قد يضرهم كالغيبة والنميمة والشتم والسب ونحو ذلك، فهذه من صفاتهم، ولذلك وصف الله الجنة وأهل الجنة أنه لا لغو فيها، ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١].

قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]، من تمام حفظها حفظ البصر، وحفظ ما يتعلق أو ما يكون مقدمة لهذه الأمور، كالنظر وقُربان الفواحش ومقدماتها، إذا كانوا هم لا يقعون في الفاحشة؛ فإنهم أيضًا يبتعدون عن كلّ الوسائل التي تؤدي إلى الوقوع في الفاحشة.

أما العهود والأمانات ذكر الشيخ هنا أنهم يراعون ذلك، وهذه العهود عامة، والعهود والعقود والأمانات التي تكون بين العبد وربه، أو تكون بين العبد وأخيه المسلم، فقد تكون هناك عهود بينك وبين أخيك المسلم، أو تكون هناك عهود بينك وبين رب العالمين، فهم يحافظون عليها.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: **(المنافق بضد ذلك)** وصف المنافق بضد ذلك.. العهود والأمانات، أن المنافق لا عهد له ولا أمانة **(ووصف المؤمنين بالإيمان بجميع الحق الذي نزله الله)** يقصد بذلك القرآن الذي قال الله فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وهو القرآن.

ثم ذكر صفات المؤمنين، ذكر الإيمان بالرسل ونحو ذلك، إلى آخره، قال: **(إنه متطلب لرضوان الله، متبع هداه أينما كان)** طيب نواصل في ذكر الصفات، صفات الإيمان وما يتعلق بهذه الصفات من آثار أو من أحكام.

ومن صفات المؤمنين أنهم يُحكمون الله ورسوله في جميع أمورهم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فالمؤمن أخلص دينه لله، واجتهد في الاقتداء برسول الله، ولم يقدم على قوله وحكمه قول غير وحكمه؛ بل إذا تبينت له سنة رسول الله لم يعدل عنها إلى غيرها، وبحسب تحقيقه لهذين الأصلين يتحقق إيمانه وبقوى يقينه وعرفانه.

الشرح:

يعني هذه الآيات التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كلها تتعلق بأن على المؤمن أن يقدم حكم الله ورسوله، وأنه لا يلتفت إلى أي حكم يخالف حكم الله ورسوله، وأنه يجب عليه أن يُحكم الله، ويُحكم رسوله، يعني يُحكم القرآن، ويحكم السنة، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥].

لا يتحقق الإيمان ويكمل الإيمان إلا بعدما يحكم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويحكم سنته، ويحكم القرآن؛ فإن لم يفعل ذلك فإنه يعتبر قد خالف، ولذلك ساق المؤلف مجموعة من الآيات كلها تدور حول التحاكم إلى الله وإلى رسوله وأنها من صفات المؤمنين، وأنهم إذا دعوا إلى الله ليحكم بينهم أنهم يبادرون، ويقولون: **"سمعنا وأطعنا"** بخلاف المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله ولا برسوله.

ومن صفات المؤمنين: أنهم متحابون متوالون متراحمون متعاطفون، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وكما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وكلما ازداد الاتصال بقرابةٍ أو جوار أو حق من الحقوق ازداد هذا المعنى وتأكد الإحسان إليه، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»، وقال: «من غشنا فليس منا»، وقال: «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

فالمؤمنون يدينون الله بالنصيحة له في عبوديته، ولكتابه في تعلمه وتفهمه، والعمل به، والدعوة لذلك ولرسوله في الاجتهاد في متابعته في أقواله، وأفعاله وجميع أحواله، ولأئمة المسلمين وعامتهم بإرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية، ومعاونتهم على البر والتقوى، وكفهم عن الإثم والعدوان بحسب القدرة، كما قال تعالى في الآية السابقة في وصفهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

الشرح:

ما يزال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في ذكر الصفات التي تميز المؤمن عن غيره، وذكر أن المؤمنين أنهم متحابون، ومتوالون، ومتراحمون، يُحب بعضهم بعضًا، ويوالي بعضهم بعضًا، ويرحم ويتعاطف بعضهم مع بعض، وذكر مجموعة من الآيات الدالة على ذلك مثل آية التوبة، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥]، فالمؤمن ولي المؤمن، وكما جاء في هذه الآية، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

جاء عند هذه الآية في تفسيره واستنبط استنباطًا دقيقًا جميلاً، وهو عند قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾[الحشر: ١٠].

وقال: **"إنه ينبغي للمسلم أن يدعو لنفسه قبل أن يدعو لغيره"** لأنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ [الحشر: ١٠]، وهذه لفتة جميلة أن الإنسان يحرص على الدعاء لنفسه، ثم لإخوانه المسلمين، أو لأخيه المسلم.

هذه كلها في المحبة، محبة المؤمن، وموالاة المؤمن، والنصح للمؤمن، كلها داخلة في صفات المؤمنين، أنهم على هذه الصفات الطيبة من المحبة والموالاة والتراحم بينهم والتعاطف، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد**».

ومن صفاتهم الحميدة ومناقبهم السديدة: ما قاله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار».

فجعل تحقيق الإيمان ووجود حلاوته بكون المحبة لله ولرسوله، وتقديمها على سائر المحاب، وجعل المحاب تبعًا لها، فيجب المرء لما قام به واتصف به من محاب الله، وما من الله به من الأخلاق الفاضلة، فكلما قويت فيه ازدادت محبته له، فتكون محبة المؤمن دائرة مع محبة الله، فيحب الله ورسوله، ويحب من يحبه الأعمال والأشخاص، وتكون كراهته للكفر المضاد للإيمان أعظم من كراهته للنار التي سيقذف فيها.

ومثل ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبينًا».

وقد تقدم قول هرقل الذي في صحيح البخاري: وسألتك : أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك: أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته بفضحه ولو في جوف بيته».

ومن علاماتهم: أن الله قد شرح صدورهم للإسلام، فانقادوا لشرائعه طوعًا واختيارًا ومحبة، قد اطمأنت لذلك نفوسهم، وصاروا على بينة من أمرهم، فهم يمشون بنورهم بين الناس، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا دخل الإيمان في القلب اتسع وانشرح، قالوا: وهل لذلك علامة يا رسول الله؟ قال: نعم الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن در الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله».

ولما قال له حارثة: "أصبحت مؤمنًا حقًا" قال: «وما حقيقة إيمانك ؟»، قال: "عزفت النفس عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا وإلى أهل الجنة في الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار في النار يتعاوون فيها" فقال: «عبدٌ نور الله قلبه فالزم».

فتحقيق الإيمان علامته سهولة العبادات والتلذذ بالمشقات في رضا رب الأرض والسماوات، والتصديق التام بالجزاء، والعمل بمقتضى هذا اليقين، وكذلك قال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال" ولهذا من أجل علاماتهم أن الإيمان يصل بهم إلى حد اليقين والصديقين، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

ولما ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتفاع غُرف الجنة وعلوها العظيم قالوا: "يا رسول الله تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم؟" فقال: «بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

الشرح:

هذه من صفات المؤمنين، ولا يزال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يسرد ويسوق لنا صفات المؤمنين، ومن أجلها هنا التي ذكرها وأشار إليها رَحِمَهُ اللهُ الوارد في الحديث، قال: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»، هذه من صفات المؤمنين، إذا تحققت يجد المسلم حلاوة الإيمان، وأثر الإيمان، وطعم الإيمان، إذا كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، حتى من نفسه وحتى من والديه، أن يكون الله ورسوله أحب إليه.

وإذا تعلقت المحبة بالله عَزَّ وَجَلَّ وتعلقت بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعر المسلم بأثر هذه المحبة، بالانقياد، ولذلك هنا قال: «**أن يكره أن يعود في الكفر**»، لأنه وجد الحلاوة، ووجد الطعم، فلا يمكن أن يتخلى عن ذلك.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: من أثر محبة الله ومحبة الرسول أن يُقدم محبة الله ومحبة الرسول على جميع المحاب، وجعل هذه المحاب كلها تابعة لمحبة الله ورسوله، فكأنما محبة الله ومحبة الرسول هي أصل المحاب، وكلها تندرج تحت محبة الله، فإذا تحققت تحقق أثرها على العبد.

ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الذي ورد في قصة أبي سفيان مع هرقل ملك الروم، قال: **(وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب)** الشاهد منه أنه قال: أتباع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل يزيدون أم ينقصون؟ قال: يزيدون، قال: كذلك الإيمان إذا وقر في القلب؛ فإن الإنسان لا يستطيع أن يتخلى عنه أو يرجع عنه، هذا هو الشاهد من الحديث.

قال: **(وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه»،)** إلى آخر الحديث، الإنسان قد لا يجد أثر الإيمان بقلبه بسبب حواجب وموانع تمنعه وتضعف أثر الإيمان على قلبه، تضعف أثر الإيمان على قلبه مثلما يحصل عندما يقع الإنسان في بعض المعاصي؛ لأن الإيمان لم يستقر في القلب استقرارًا قويًا.

قال: **(ومن علاماتهم: أن الله قد شرح صدورهم للإسلام، فانقادوا لشرائعه طوعًا واختيارًا ومحبة)** دون أن يترددوا؛ بل يتلذذون، يتلذذون بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأيضًا يتحسرون، ويحزنون على فوات شيء من هذه الطاعات.

وهذا الحديث حديث حارثة ذكروا أن الحديث هذا فيه ضعف، لكنه من باب يعني إذا كان من باب الفضائل ونحوه؛ فإنه يستدل به، لما قال: **(وما حقيقة إيمانك ؟ قال: عزفت النفس عن الدنيا)** وأقبلت عل الآخرة، وكأنه ينظر إلى الآخرة، هذا معناه صحيح، إن كان السند تكلم عنه المحقق وقال: إنه ضعيف.

كلّ هذه من علامات الإيمان التي ذكرها .. بالقلب، ومحبة الله، ومحبة الرسول في القلب حتى يجد لذة ذلك، وحلاوته وطعمه في قلبه.

ولهذا كانت الصديقية التي أثنى بها على خواصه خلقه هي تكميل مراتب الإيمان علمًا وعملاً ودعوة.

وكما أن من تحقيق الإيمان أن تكون الأعمال الصالحة مصدقة له، فمن تحقيقه أيضًا أن يكون المؤمن متنزهًا عن الإثم والفسوق، وأنواع المعاصي الداخلة في قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

ومن موجبات الإيمان صرف الأموال في مصارفها الشرعية، ووضعها مواضعها وإقامة الحدود التي حد الله ورسوله قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: ٢]، وقال: ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

إلى غير ذلك من النصوص في الكتاب والسنة الدالة على وصف المؤمنين ، وأن العبد لا يستحق حقيقة الإيمان حتى يتصف بها.

وفي الجملة فكلما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا افعلوا كذا، أو اتركوا كذا كان امتثال ذلك الأمر، واجتناب ذلك النهي من مقتضيات الإيمان وموجباته الذي لا يتم إلا بها، فبهذا ونحوه تعرف حقيقة الإيمان الذي جعله الله عنوان السعادة، ومادة الفلاح، وسبب الفوز بكل مطلوب والنجاة من كلّ مرهوب، فنسأله تعالى إيمانًا كاملاً يهدي به قلوبنا إلى معرفته ومحبته، والإنابة إليه في كلّ أمر، وألسنتنا إلى ذكره والثناء عليه، وجوارحنا إلى طاعته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩].

ومن صفاتهم الجليلة أن الله يديهم إلى الحق في المواطن والمشتبهات وللصواب في محال المتاهات التي لا تحتملها عقول كثير من الناس، ويزدادون إيمانًا ويقينًا في المواضع التي يزداد بها غيرهم ريبًا وشكًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدثر: ٣١]، ،قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

فما معهم من الإيمان واليقين يديهم إلى الحقائق وأقوام الطرائق وأرشد الأمور وأصلح الأحوال، ولهذا كان القرآن تذكرة ورحمة وبشرى للمؤمنين، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧، ٥٨]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩]، فلما مشوا بنور إيمانهم في ظلمات الجهالات والشرور وتولاهم مولاهم ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

عندك (فلما مشوا في نور إيمانهم في ظلمات الجهالات والشرور) بعدها ماذا قال؟

الطالب: قال: (وتولاهم مولاهم).

الشيخ: لعلها (تولاهم) لأنها جواب الشرط (فلما مشوا في نور إيمانهم تولاهم) حتى يكون الجواب موجودًا، ولذلك استدل بالآية.

مشوا في نورهم يوم القيامة، ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الحديد: ١٢]، ولما كانت تجارتهم أجل التجارات كان ربحها النعيم المقيم في غرف الجنات: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

ومن صفاتهم أن الله ينزل في قلوبهم السكينة والطمأنينة في مواضع الحرج والقلق، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ حاول أن يجمع الآيات التي فيها ذكر الإيمان، وأثر هذا الإيمان، فذكر صفة الصديقية، وقال: **(التي أثنى بها على خواصه خلقه هي تكميل مراتب الإيمان)** والبعد عن الإثم والفسوق وأنواع المعاصي، والمحرمات، ولذلك استدل بآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢].

والظلم هنا الشرك كما فسره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الشرك يناقض الإيمان، فإذا وجد الشرك لم يحصل للمؤمن الأمن، والأمن كما ذكر الشيخ السعدي وغيره في تفاسيرهم، أن الأمن أمن مُطلق وأمن نسبي، فالذي حقق الإيمان ووصل إلى أعلى الدرجات له الأمن المطلق، ولذلك قال هنا: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ [الأنعام: ٨٢]،.

فعرف **"الأمن"** ما قال: **"لهمْ أمنٌ"**، وإنما قال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ويختلف الأمن على طبقات الناس، يختلف بأحوال الناس وقوة الإيمان.

أيضًا ذكر الشيخ أن من قوة الإيمان ومن أسباب الإيمان وأثر الإيمان أن العبد يتق الله ويتق المحرمات، ومن أعظمها أكل الربا، وكذلك ذكر من موجبات الإيمان أن تُصرف الأموال في المصارف الشرعية التي شرعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحدها؛ لأنه لما ذكر آية مصارف الغنائم قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ﴾ [الأنفال: ٤١].

فربط الإيمان بصرف هذه الأمور والأموال في مصارفها التي أمر الله بها، وكثير نجد في القرآن ربط الإيمان بقوله: **"إن كنتم"** بصيغة الشرط، ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ [الأنفال: ٤١]، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، وكثير، الشيخ لم .. التي فيها ربط الإيمان وأثره في بعض الأحكام، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

إذا وجد الإيمان؛ الإيمان بالله واليوم الآخر؛ فإنها تخاف الله عَزَّ وَجَلَّ، وكذلك إقامة الحدود الشرعية كحد الزنا ونحوه، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: ٢].

وهكذا تجد يسوق الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كثيرًا من الآيات التي ربط الله بها كثيرًا من الأعمال الصالحة أو مما يتميز به المؤمن، أو مثلاً يتصف به المؤمن من الصفات الجليلة التي ذكرها الله، وختم هذه الأشياء .. حققوا الإيمان من الشبهات، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يصرف عنهم هذه الشبهات، ويثبتهم، أن الله يصرف عنهم ويثبتهم كما ذكر في هذه الآيات وربطها بالإيمان، مثل آيات النسخ التي قد يظهر فيها شيء من الأمور التي لا تضح ويكون فيها شيء من الشبهات، ذكر أن المؤمنين يثبتون أمام ذلك، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

وهكذا الشيخ يسوق مجموعة من الآيات وأثر هذا الإيمان في تولي الله لهم، يتولاهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنهم يكون النور معهم يوم القيامة، إذا غير ذلك من الصفات التي يذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويُبين أثر هذه الصفات على هذا الإيمان الذي حققوه والتزموا به، إلى أمور أخرى يقف عندها ويستنبط منها استنباطات، يعني هذه المسائل سيسوقها، مسائل متفرقة يسوقها، لعل نقف عند هذا القدر حتى لا نطيل عليكم، والوقت يضيق أيضًا بنا، فنقف عند هذا.

وإن شاء الله في اللقاء القادم أستكمل ما توقفنا عنده، أخذنا ما فيه إن شاء الله الكفاية والبركة إن شاء الله، نسأل الله أن يبارك لنا ولكم، وجزاكم الله خيرًا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

اللّٰهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم وهو يوم الخميس الموافق للحادي عشر من شهر شوال من عام ١٤٤٣.

الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

قرأنا في هذا الكتاب في مجالس متعددة ماضية، وهذا المجلس هو المجلس الثاني والعشرين من مجالس قراءة هذا الكتاب والتعليق عليه، والآن نواصل ما توقفنا عنده.

كلّ من قام بحق أو دعاء إليه أو سعى في إنكار منكر وإبطال باطل وجبت عليه معاونته ومساعدته على ذلك، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

ودلت هذه الآية ونحوها باللزوم على الأمر وبالسعي بالأسباب التي تتم بها نصرة الحق، كالتعلم والتعلم للعلوم النافعة ونحوها.

الشرح:

مثلما مر معنا في مجالس عديدة، دقة الاستنباط عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى، وهذا الاستنباط الدقيق من قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، وإن كانت الآية في سياق الجهاد ونصرة الدين بالجهاد، بالجهاد باللسان، والبنان، والسلاح، نصرة الدين في مواجهة الأعداء؛ لأن سورة الصف وهذه الآية واردة في آخر سورة الصف ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]؛ جاءت في سياق إظهار الدين، وأنت تقرأ في سورة الصف ترى أن موضوع سورة الصف، ومقصد الصورة كله هو إظهار الدين، ولذلك إذا تأملت السورة من أولها إلى آخرها تجد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر لنا موقف أتباع موسى

عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما آذوه، قال: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ [الصف: ٥]، آذوه ولم ينصروه، يعني نقول: آذوه والكثير منهم لم ينصروه.

ثم نجد موقف النصارى مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذلك لم يكونوا في الموقف المطلوب، فذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى موقف هذه الأمة وأتباع نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحث على الوقوف معه، وأن هذا الدين لابد أن يظهر، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقال أيضًا: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ [الصف: ٨].

ثم ذكر الجهاد وما يتعلق به، وموقف أيضًا الحواريين، ثم ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أو أمر بنصرة هذا الدين؛ فقال: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يقول بدلالة اللزوم، عندنا الدلالات ثلاثة:

١. دلالة المطابقة.

٢. ودلالة التضمن.

٣. ودلالة اللزوم أو الالتزام، وهي أبعد الدلالات.

فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ استنبط من دلالة اللزوم من هذه الآية من قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، قال: السعي في نصرة هذا الدين بأي وجه من وجوه النصرة، **(كالتعلم والتعلم للعلوم النافعة ونحوها)** فاستنباط دقيق.

نقول: **"كلّ من قام بحق أو دعا إليه أو سعى في إنكار المنكر، أو إبطال الباطل، وجبت معاونته ومساعدته على ذلك"** من قام بحق ودعا إليه، هذا الحق حق في نصرة الدين، في علم وتعلم وأمر بمعروف أو نهي عن منكر أو غير ذلك، وسعى في إطفاء الشر على أي وجه، وإنكار المنكرات على أي وجه، وإبطال الباطل؛ فهو داخل في هذه الآية، فهذا استنباط دقيق من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى وهذا واضح.

الإخلاص والالتجاء إلى الله على الدوام، والرجوع إليه في كلّ أمر وهو السبب الأعظم في حصول الهداية إلى الصراط المستقيم علمًا وعملاً، قال الله تعالى عن الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الشرح:

وهذا أيضًا استنباط دقيق جدًا من الشيخ في قصة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]، وهذا بعدما دعا قومه وجاهد معهم في الدعوة وأبو إلا رد رسالته، ووصل الأمر إلى أن يُحرق بالنار، فبعد ذلك تركهم، ترك أباه، وترك قومه، وهاجر، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

فهذه الآية تقول: إذا لجأت إلى الله؛ فالإخلاص واللجوء إلى الله والسير إلى الله، والمجاهدة في سبيل الله هي من أعظم أسباب الهداية، ولذلك قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فالمجاهدة في سبيل الله هي من أقوى أسباب الهداية هذا هو مقصد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥]، قد استجاب الله له هذا الدعاء ووقع الأمر، كذلك فإنه مهما تنقلت بالخلق الأحوال، وأعطوا الأسباب العظيمة من التمكن في الأرض الاقتدار على مصالحها فلا بلغوا ولا يبلغون ما بلغه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر، وتجري بأمره رخاء حيث أصاب، وهو تسخير الشياطين كلّ بناء وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد، ومن تسهيل الأسباب التي تدرك فيها المطالب: ﴿قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠].

ومن تسخير الطير والوحوش، وتعلم منطقها، مما هو من أعظم الأدلة على أن هذا الأمر سماوي ليس في قدر المخلوقات استطاعته.

الشرح:

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى كأنه يربط دعاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن من أقوى حصول مثل هذه الأمور من أقوى أسبابها الدعاء، هو يقول: إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا ربه أن يعطيه ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وقد استجاب الله له هذا الدعاء، ووقع الأمر كذلك، وأن هذه الأمور لا يمكن أن تحصل من جهود البشر أبدًا، مهما أُعطوا من الأسباب لا يمكن أن يحصلوها عليها إلا بتسخير من الله، تذليل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك يقول: سُهلت الأسباب له في أمور كثيرة، من تسخير الريح والشياطين وتسهيل المطالب التي يريدها كما لما أراد الحصول على عرش ملكة سبأ، وتسخير الطيور والوحوش، كلّ هذا أمور سماوية، حصلت بأمر من الله بسبب الدعاء واللجوء إلى الله .

وكأنه يريد أن يذكرنا بالماضي من الدروس الماضية التي مرت معنا في أثر الدعاء على ألسنة الأنبياء لما مرت معنا مواقف كثيرة، والآن يذكر لك بعض المواقف التي كلما وجد شيئًا من ذلك ذكره رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

في أمر الله تعالى لزكريا بالعشي والإبكار بعد البشارة له بيحيى عَلَيْهِمَا السَّلامُ، وفي أمر زكريا لقومه بتسبيح الله بكرة وعشيًا تنبيه على شكر الله تعالى على النعم المتجددة، لاسيما النعم التي يترتب عليها خير كثير، ومصالح متعددة، وأنه ينبغي للعبد كما أحدث الله له نعمة أحدث لذلك شكرًا، وأن أفضل أنواع الشكر الإكثار من ذكر الله، وتسبيحه وتقديسه والثناء عليه.

الشرح:

وهذا استنباط مثلما ذكرنا، استنباط دقيق، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يفتح على العبد لمن يتدبره القرآن الكريم هذا الكنز العظيم الذي أمامنا وهو القرآن الكريم، فيه من الكنوز ما لا حد لها، فكم وكم نقرأ هذه القصة قصة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! وكم تمر علينا هذه الآيات؟!!

هل خطر ببالك أن ذكر زكريا لما الله عَزَّ وَجَلَّ بشره وقال: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، ثم أمره بالذكر، وأمره أن يأمر قومه بالذكر، والتسبيح والتهليل؟!!

هل خطر ببالنا أن هذا الذكر هو شكر الله عَزَّ وَجَلَّ على هذه النعمة التي وُهب لها زكريا إذا كان يتمنى في حياته كلها وهو لم يولد له، وامرأته عاقر، وقد بلغ من الكبر عتيا، ثم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُبشره بالولد؟!! فهذا من الشكر عند تجدد النعم.

فاستنباط الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن الذكر مع أن الله جعل له آية ألا يتكلم، وأمسك لسانه عن الحديث في أمور الدنيا، أما الذكر فإنه ينطلق لسانه، فهي آية من آيات الله، وإشارة إلى أنه ينبغي للمسلم عند تجدد النعم أن يكثر من الشكر على أي وجه من وجوه الشكر، الشكر باللسان، والشكر بسجود الشكر، وبالأفعال والأقوال، وغيرها.

كمال العبد في تمام النعمتين، نعمة الدين، ونعمة الدنيا، فيهما تحصل السعادة العاجلة الآجلة.

فنعمة الدين بالعلم والهادي إلى الصراط المستقيم، وبتقوى الله التي هي امتثال أمره، واجتناب نهيه، ونعمة الدنيا بأن ينقطع العبد عن رجاء المخلوقين والافتقار إليهم، وبرزقه الله العفة عن القبائح، ثم يغنيه بالحياة الطيبة، والخير الذي يكون عونًا له على عبادة ربه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

وقد تضمن هذه الأمور الأربعة الدعاء الذي ثبت في الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يدعو بهذا الدعاء، «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى».

الشرح:

هذا استنباط أيضًا نفس الشيء، يعني فعلاً الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لما ذكر كتابه (المواهب الربانية) فهي مواهب يهبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويفتح عليه.

هو يقول: كمال العبد في أن تتم له النعمتان، نعمة الدنيا، ونعمة الدين؛ فإذا حصلت نعمة الدين له، وتحصل نعمة الدين بالهداية إلى الصراط المستقيم، والتمسك والثبات عليه، ونعمة الدنيا بالعفاف والكفاف بأن يكفه الله عَزَّ وَجَلَّ عن سؤال الناس، وأن يعفه عن سؤال الناس، ويقتنع بحياته الدنيا بما رزقه الله، يقول: **"فهذه أعظم النعم"**.

فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ جاء بآيتين كلاهما تشير إلى نعمة الدنيا ونعمة الدين، وجاء بالحديث الذي جمع بين نعمة الدنيا ونعمة الدين.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، فحصلت الهداية والتقوى، وهذه من نعم الدين.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٣٣]، هذه من نعمة الدنيا أن يتعفف عن .. ولذلك جاء بالحديث هذا: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى**»، التقى في نعمة الدين، «**والعفاف والغنى**»، في نعمة الدنيا، وهو من أجل الأدعية التي ينبغي للإنسان أن يحرص عليها.

إذا صدق العبد في حبه ما أمر الله به، وكراهته لما نهى الله عنه، وبذل جهده في فعل المحبوب وترك المكروه، واستعان بالله وتضرع إليه في التوفيق لفعل ما يحبه، والحفظ مما يكرهه؛ فإن الله أكرم الأكرمين ولا يخيب عبدًا هذا شأنه، ولو توالت وتكاثرت الأسباب المعارضة؛ فإن هذا السبب المجتمع من ثلاثة هذه الأشياء لا يتخلف عنه عند مسببه، وإنما يأتي العبد النقص من إخلاله بها أو بأحدهما.

ولهذا لما اجتهد يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ في السلامة من شرط مراودة امرأة العزيز ومن أعانها على مرادها، وصدق في حبه وإيثاره طاعة الله على طاعة النفس، وتضرع إلى الله تعالى وتوكل عليه في حفظه وصيانته استعصم وحفظه الله، وصرف عنه السوء والفحشاء، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

فاختار السجن المتضمن للعقوبة والإهانة على مراد النفس الدني، المثمرة للخسران الدائم، وتملق إلى الله وتضرع في صرف كيدهن واجتهادهن في فتنته، وفوض الأمر إلى ربه، وعلم أن الله إن كان وكله إلى نفسه لم يصرف عنه كيدهن، فلابد أن يصبوا إليهن ويفعل أفعال الجاهلين؛ لأن هذا طبع النفس، إلا من رحم الله.

(الشرح)

وهذا استنباطه رَحِمَهُ اللهُ من الآية من قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: إذا اجتمع للمؤمن ثلاثة أشياء وهي:

١. محبة ما عند الله.

٢. وكراهة ما يبغضه الله.

٣. ودعاءه واستعانته بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذا صدق العبد في محبة ما عند الله، وصدق في كراهية ما نهى الله عنه، وأيضًا صدق في الاستعانة والتضرع إلى الله؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكرمه ولا يخيب أمله ويستجيب له، كما استجاب ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أبغض هذا الأمر الذي طُلب منه، وأحب ما عند الله عليه، ودعا ربه أن يصرف عنه ذلك الأمر؛ فحصلت الأمور الثلاثة فصرف الله عنه، واستجابته دعوته.

كأن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يستنبط من هذه الآية أن هذه الأمور الثلاثة هي من أقوى ما ينبغي للمسلم أن يحتاجه في هذه الدنيا، وهي من أقوى أسباب استجابة الدعاء.

- **طلب ما يحبه الله تعالى.**
- **ودعاء الله فيما يحب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.**
- **وأن يستعمله الله في طاعته.**
- **والبعد عما يبغضه الله ويكرهه.**
- **وأن يبذل جهده في فعل هذا المحبوب وترك هذا المكروه.**
- **مع الاستعانة والدعاء والتضرع والانكسار بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.**

إذا حصلت هذه الأمور الثلاثة؛ فإنه يكون أقرب إلى استجابة الدعاء، وإلى الدخول تحت ولاية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وحفظ الله لهذا العبد، كما حفظ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الطالب: فسر الالتجاء إلى الله، يعني عدم الوقوع فيما يتعلق بالشهوات والمعاصي وغيرها؟

الشيخ: إي نعم، يعني يجتهد في أن يُسلمه الله من الفتن، وأن يُسلمه الله من الوقوع في المعاصي التي تُبعده عن الله؛ لأن أثر المعاصي سيء جدًا، وشؤم المعاصي يحرم الإنسان من أمور كثيرة من الطاعات، تجد كثير من الناس يُحرم من الطاعات بسبب هذه المعاصي؛ فإذا طلب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصدق في كراهية هذه المعاصي وبغضها ومحبة ما عند الله جمع الله له هذا الخير.

فيستعصم ربه، ويطلب من الله اللجوء، فيستجيب الله دعاءه، وكذلك هذا قد يذكرنا بالآية الواردة في سورة الحجرات، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

فهذا فضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يعني إذا لجأ العبد؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من آثار الطاعة، وآثار الاعتصام بالله من المعاصي، وآثار صدق اللجوء إلى الله بهذه الأمور تحصل له هذه السعادة والبُعد والسلامة من هذه الأمور.

الطالب: أحسن الله إليكم البعض قد يورد مثل هذا ولكن ما يصدق، يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قال هنا: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣]، فهو ابتعد، يقول: أنا لما أسجن وأبتعد عن هذه الفتنة أحب إلي من

أن أجلس في مثل هذه الفتنة؛ في بيت العزيز أو كذا، فبعضهم قد يقول: أنا ما ودي أن أقع في الشهوات وهو يسعى برجليه إليها، إما بجواله أو يذهب إلى أماكنها هذا ما صدق.

الشيخ: صحيح، الصدق في دعائه، والصدق في لجوئه مثلما ذكر الشيخ قال: **"إذا صدق العبد"** انظر صدق العبد **"في حبه لطاعة الله وكراهية معصية الله، وصدق في دعائه حقيقة بالتضرع إلى الله والاستعانة به حصلت هذه الأمور"** أما أن يقول: أنا والله أدعو ربي وأنا أفعل وأنا، مجرد أماني دون أفعال فهذا غير صحيح.

قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

أبطل به قول من زعم أن لله ولدًا من ثلاثة أوجه؛ بل من أربعة:

أحدها: أنه قول بلا علم، ومن المعلوم أن القول بلا علم من أعظم المختلفات، وأن ذلك من الجهالات والضلالات، خصوصًا في أعظم المسائل وأهمها وهي مسألة التوحيد، وتفرد الباري جَلَّ جَلَالُهُ بالكمال، وتنزهه عن كلّ ما لا يليق بجلاله من أنواع النقائص المنافية لكمال الربوبية وعظمة الإلهية، فنفى عنهم العلم، ونفى عنهم التقليد لأهل العلم فلم يقولوا شيئًا يعلمونه، ولا اقتدوا بالعالمين؛ بل هم وآباؤهم في ضلال مبين.

والوجه الثاني: قوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، أي عظمت وزادت في الشناعة إلى حد يُستعجب كيف نطقوا به؟! وكيف خرجت هذه الكلمة الشنيعة من أفواههم التي ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠ - ٩٢]..؟!

وإنما كانت شنيعة جدًا لأنها متضمنة لشتم رب العالمين، وسبه، كما قال في الحديث الصحيح: «شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وكذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، أما شتمه إياي فقوله: إن لي ولدًا، وأنا الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له كفوًا أحد»، إلخ.

فأي شتم أعظم من هذا الشتم الذي مضمونه حاجة رب العالمين إلى اتخاذ الصحابة الولد! ومنافاة وحدانيته وتفرده بالكمال!!

الوجه الثالث: قوله: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، فسجل على أن قولهم هذا هو الكذب الصراح والإفك المبين، وتأمل كيف ارتقى في إبطاله من وجه يبله ويفسده إلى وجه آخر يزيد في إبطاله إلى وجه ثالث لا يبقى ريب ولا شك لكل ذي بصيرة في إبطاله، فنفى العلم بوجوهه، وشنع ما قالوه وعظمه، وأخبر عن مرتبته وأنه قول في أخس المراتب وأسفلها وهو الكذب والافتراء.

والوجه الرابع: ما يحصل به من مجموع هذه الأوجه؛ فإن الهيئة الاجتماعية يحصل منها أثر ودلالة غير ما حصل لكل وجه على انفراد، ويحصل بها من تصريح الدلالة ما يتضح به الحق وينجلي، وهكذا

كلّ مسألة عليها عدة أدلة؛ فإنه يحصل بكل دليل على انفراده علم، ثم يحصل بالدليل الآخر علم آخر، ثم يحصل باجتماعهما علم آخر، وهكذا كلما كثرت وتعددت، وبهذا ونحوه يعلم أن المسائل الكبار كمسألة التوحيد وفروعه ومسألة المعاد ومسألة النبوة أن من تتبع أدلتها، واستقرأ براهينها؛ فإنه يحصل له من حق اليقين، ومن العلم الكامل فيها ما لا يحصل في غيرها من المسائل التي هي دونها، وهذا من أجل قواعد الإيمان، وأفضل العلوم النافعة وأعظم ما يقرب إلى رب العالمين.

الشرح:

هذه المقالة التي قالها من قالها في دعوى **"أن لله ولدًا"** وهذه مقالة اليهود، ومقالة النصارى، ومقالة مشركي العرب، كلهم ادعوا أن لله ولدًا، قال تعالى: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٤- ٥].

فاليهود قالوا: **"إن عزيرًا ابن الله"**، وقالت النصارى: **"إن المسيح ابن الله"** ، وقال مشركي العرب: **"إن الملائكة بنات الله"**، كلّ هذه مثلما ذكر الشيخ دعوى باطلة، وأبطلها القرآن من ثلاثة أوجه، وزاد الشيخ أيضًا وجهًا رابعًا بمجموعة هذه الأوجه الثلاثة.

فمن زعم أن لله ولدًا؛ فقد أبطل الله قوله من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن هذا قول بلا علم، والقول بلا علم ولا مستند مردود، لما يأتيك شخص بكلام لا مستند له؛ فكلامه مردود، فالله أبطله بأول بطلان وهو أقواها قال: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الكهف: ٥]، أين علمكم؟ لا لهم ولا لآبائهم.

الوجه الثاني: أبطلها بأنها كلمة لا يمكن أن يقبلها العقل، كلمة شنيعة ما يقولها عاقل، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، وأنها مجرد كلام لا حقائق له، وإنما يخرج من أفواه فقط.

الوجه الثالث: أنه حكم عليها على هذه الكلمة حكم الله عليها بأنه كذب وإفك وافتراء على الله.

- فلا علم.
- وأنها كلمة شنيعة لا يقبلها عقل، يعني لا مستند لها لا بالعلم ولا بالعقل.
- والنهاية أنها كذب صريح في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

بمجموع هذه الأدلة الثلاثة نستطيع أن نبطلها بأنها كلمة ساقطة غير مقبولة، لا يقبلها أي شخص وأي عاقل؛ فكيف ينسبون إلى الله مثل هذا الأمر الباطل؟!! فأبطلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهذه الكلمات المختصرة، بأنها كلمة لا يقبلها النقل ولا العقل، وأنها كذب في كذب لا مستند لهم، لا بالدليل العقلي، ولا بالدليل النقلي، وحكم عليها بالكذب والافتراء والإفك على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فصل

سؤال: ما هو الغيب الذي أثنى الله على المؤمنين به، وأخبر عن سعادتهم وفلاحهم واستحقاقهم النعيم المقيم؟ فلعل العبد يعرف ويتعرف محاله ومواضعه فيجتهد في تحقيق الإيمان ليكون من المفلحين؛ فإن أكثر الناس بل أكثر المؤمنين ليس عندهم في هذا الباب إلا أمور مجملة، وألفاظ غير محققة، وهذا نفعه دون نفع التنويع والتفضيل والتوضيح والتبيين بكثير كثير؛ فأفتونا بحسب قدرتكم واستطاعتكم فإنا لا نطلب منكم شططًا وإلا فقد تقرر أن هذه المسألة لا يتمكن خواص الخلق من إيفاء حقها وبيان أمرها؛ فأفتونا مأجورين.

الجواب: وبالله أستعين، وإليه أضرع في الهداية فيها وفي غيرها: الغيب هو خلاف الشهادة، ولهذا تقسم الأشياء قسمين: "غيبية ومحسوسة" فالأمور المحسوسة المشاهدة لم يُعلق الشارع عليها حكمًا من أحكام الإيمان الذي يفرق به بين أهل السعادة وغيرهم، وذلك كالسماء والأرض وما فيها من المخلوقات المشاهد، والطبائع المعلومة المعقولة؛ إنما يذكر الله تعالى من هذا النوع الأدلة والبراهين على ما أخبر به وأخبرت به رسله.

القسم الثاني: وهو الغيب الذي أمر بالإيمان به، ومدح المؤمنين به في غير موضع من كتابه.

وضابط هذا القسم: أنه كلّ ما أخبر الله به، وأخبرت به رسله على وجه يدعو الناس إلى تصديقه، والإيمان به، وذلك أنواع كثيرة: أجلها وأعلاها وأفضلها وأنفعها وأيسرها ما أخبر به في كتبه، وأخبرت به رسله من أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، ونعوته الجليلة الجميلة، وأفعاله الحميدة، وفي الكتاب والسنة من هذا النوع شيء كثير جدًا بسحب الحاجة إليه؛ فإنه لا أعظم حاجة وضرورة من معرفة النفوس بربها ومليكها الذي لا غنى لها عنه طرفة عين، ولا صلاح لها ولا زكاء إلا بمعرفته وعبادته.

وكلما كان العبد أعرف بأسماء ربه، وما يستحقه من صفات الكمال، وما يتنزه عنه مما يضاد ذلك، كان أعظم إيمانًا بالغيب، واستحق من الثناء والمدح بحسب معرفته، وموضع هذا تدبر أسمائه الحسنى التي وصف وسمى بها نفسه في كتابه وعلى لسان رسله، فيتأملها العبد اسمًا اسمًا، ويعرف معنى ذلك.

وأن له تعالى في ذلك الاسم أكمله وأعظمه، وأن هذا الكمال والعظمة ليس لها منتهى، ويعرف أن كلّ ما ناقض هذا الكمال بوجه من الوجوه؛ فإن الله تعالى منزه مقدس عنه، لما كان هذا النوع هو أصل

الإيمان بالغيب وأعظمه وأجله، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحد، من أحصاها دخل الجنة».

أي ضبط ألفاظه، وأحصى معانيها، وتعقلها في قلبه، وتعبد الله بها، وتقرب بمعرفتها إلى رب العالمين، فينبغي للمؤمن الناصح لنفسه أن يبذل ما استطاع من مقدوره في معرفة أسماء الله وصفاته وتقديسه، ويجعل هذه المسألة أهم المسائل عنده، وأولاها بالإيثار، وأحقها بالتحقيق ليفوز من الخير بأوفر نصيب، ولهذا سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرجل الأنصاري عن سبب ملازمته لقراءة سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، في صلاته فقال: "لأنها صفة الرحمن فأحب أن أقرأ بها"، فقال: «حبك إياها أدخلك الجنة»، متفق عليه.

فثبت أن حب العبد لصفات الرحمن، وملازمة تذكرها، واستحضار ما دلت عليه من المعاني الجليلة، والتفهم في معانيها من أسباب دخول الجنة، وطريق ذلك أن يجمع العبد الأسماء الحسنى الواردة في القرآن، وهي قريب من ثمانين اسمًا وفي السنة زيادة على ذلك فيتدبرها، ويعطي كلّ اسم منها عموم ذلك المعنى وكماله وأكمله.

فإذا تدبر اسم الله عرف أن الله تعالى له جميع معاني الإلهية، وهي كمال الصفات والانفراد بها، وعدم الشريك في الأفعال؛ لأن المألوه إنما يؤله لما قام به من صفات الكمال، فيحب ويخضع له لأجلها، والباري جَلَّ جَلَالُهُ لا يفوته من صفات الكمال شيء بوجه من الوجوه، أو يؤله ويعبد لأجله نفعه وتوليه ونصره، فيجلب النفع لمن عبده، ويدفع عنه الضرر، ومن المعلوم أن الله تعالى المالك لذلك كله، وأن أحدًا من الخلق لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشوزًا؛ فإذا تقرر عنده أن الله وحده المألوه أوجب له أن يعلق بربه حبه وخوفه ورجاءه، وأناب إليه في كلّ أموره، وقطع الالتفات إلى غيره من المخلوقين، ممن ليس له من نفسه كمالًا ولا له فعال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ انتقل الآن إلى مسألة مهمة وهي: **"الإيمان بالغيب"** وصدر هذا الفصل بسؤال وجواب، قد يكون هذا السؤال ورد إلى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يعني سؤالًا من أحد طلاب العلم أو غيرهم، أو أن الشيخ هو ساقه بطريقة السؤال الجواب كما يفعله شيخ الإسلام **"ابن تيمية"** و**"ابن القيم"** وغيره من العلماء يسوقون أحيانًا بطريقة السؤال والجواب.

فعمومًا سواء هذا ورد سؤال يعني إلى الشيخ أو هو ساقه بطريقة السؤال؛ الشيخ أراد في هذا الفصل أن يبرز لنا حقيقة الإيمان بالغيب التي قد تخفى تفاصيلها على كثير من الناس، وحقيقة الإيمان بالغيب هي التي تميز المؤمن عن غيره، الكافر لا يؤمن بالغيب، الكافر يؤمن بالأمور المحسوسة المشاهدة، وإذا جئت إليه بأمور غيبية ما آمن بها، ولو وآمن بالأمور الغيبية لدخل في الإيمان، ودخل في الإسلام.

فالمؤمن يتميز عن الكافر، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر أول صفة من صفات المؤمنين في سورة البقرة بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، وقدمها على إقام الصلاة والزكاة وغيرها.

والإيمان بالغيب يدخل في كلّ ما غاب عن الإنسان مما يجب الإيمان به، والشيخ هنا سيذكر لنا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، كلها من الإيمان بالغيب، وبما أخبر به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه من الأمور السابقة التي وقعت في الأمم الماضية كلّ ذلك من الإيمان بالغيب، والأمور اللاحقة مما سيقع في هذه الدنيا أو في الآخرة مما يجري يوم القيامة كلّ ذلك من الإيمان بالغيب.

فالإيمان بالغيب أمرٌ واسع جدًا، والحقيقة عظيم، لابد للمسلم أن يفهمها فهمًا دقيقًا بمجملها وتفاصيلها.

هو بدأ بـ **"الإيمان بالغيب"** مما يتعلق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بأسمائه وصفاته، وأفعاله، كلّ ذلك في **"الإيمان بالغيب"** ولكنه ركز على الإيمان بالأسماء الحسنى؛ لأنه سيرتب عليها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أنه سيذكر لنا أمثلة من أسماء الله الحسنى كمثل اسم **"العليم"** واسم **"الرحمن"** كما سيأتي، وهو ذكر اسمين وبين ما فيهما من الإيمان بالغيب، وإلا أسماء الله كما ذكر أسماءه كثيرة جدًا.

فهو ركز على قضية الإيمان بأسماء الله الحسنى، وقال: إن من تدبر اسم الله عرف أن الله له جميع معاني الإلهية، وذكر اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **"الله"** مأخوذ من **"أله يأله إلهًا"**، **"أله فلان إذا أحب"** ويقال: **"فلان مألوه أي محبوب"** وهذا معنى **"الله"** وهو علم على الله لا يُطلق إلا على الله لا يُطلق على غيره، فلا

يقال: **"الله"** لغير الله، فهو من أسماء الله الخاصة، **"الله"** و**"الرب"** المعرف، و**"الرحمن"**، و**"الخالق"** هذه كلها من أسماء الله الخاصة به، ولا يجوز إطلاقها على غيره.

ممكن تقول: **"المالك"** يُطلق على الخالق والمخلوق، و**"العزيز"**، و**"العليم"** تقول: **"فلان عليم"** ولذلك قال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، فهذا جائز.

هو ذكر اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبيّن أثر التعرف على تفاصيل أسماء الله الحسنى، وأن من آثارها دخول الجنة، ومن آثارها محبة العبد لربه، فهناك آثار عظيمة للتعرف، ومعرفة أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومعانيها، فهي من أسباب دخول الجنة، ومن ثمراتها محبة العبد لربه، ومحبة الرب لعبده إذا أحبه، وسيأتي الآن باسمين جليلين هما: اسم **"العليم"** واسم **"الرحمن"** نأخذها لأنه بعدها سينتقل إلى الإيمان بالرسل، أن من الإيمان بالغيب **"الإيمان بالرسل"** ثم **"الإيمان باليوم الآخر"** ثم **"الإيمان بالملائكة"** كما ذكرنا، كلّ هذه داخلة في **"الإيمان بالغيب"** طيب نأخذ هذين الاسمين.

إذًا نقف عند اسم الله **"العليم"** وإن شاء الله في اللقاء القادم نستكمل ما يتعلق بأسمائه وما يتعلق بالأمور التي ذكرها المؤلف مما يتعلق بالإيمان الغيب كالإيمان بالملائكة والرسل واليوم الآخر، إن شاء الله لنا لقاء قادم نستكمل فيه ما توقفنا عنده.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم، هذا اليوم هو يوم الخميس الموافق للثامن عشر من شهر شوال من عام ١٤٤٣.

الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) وهذا المجلس هو المجلس الثالث والعشرين من مجالس قراءة هذا الكتاب.

في مجلسنا الماضي ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ فصلاً يتعلق بـ **"الإيمان بالغيب"** وذكر أن من الإيمان بالغيب **"أن نؤمن بالله، وبصفاته، وبأسمائه، وبأفعاله، وبوجوده"**، وكذلك يدخل في ذلك: **"الإيمان بالملائكة، والإيمان بالرسل، والإيمان بالكتب"** كلّ هذه سيتحدث عنها المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

وتحدثنا عن الإيمان بالغيب أو أن من الإيمان بالغيب الإيمان بالله، وبصفاته وأسمائه، وذكر الشيخ بعد ذلك تدبر شيء من أسمائه، يتدبر مثلاً اسم **"العليم"** ، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، واسم **"الرحمن"** أيضًا، ثم بعد ذلك يتكلم عن أنواع الإيمان بالغيب أو يستكمل هذه الأنواع، نحن وقفنا عند اسم **"العليم"**.

ويتدبر مثلاً اسم "العليم"، فيعلم أن العلم كله بجميع وجوهه واعتباراته لله تعالى، فيعلم تعالى الأمور المتقدمة والأمور المتأخرة أزلًا وأبدًا، ويعلم جليل الأمور وحقيرها، وصغيرها وكبيرها، ويعلم تعالى ظواهر الأشياء وبواطنها، غيبها وشهادتها، ما يعلم الخلق منها وما لا يعلمون؛ ويعلم تعالى الواجبات والمستحيلات والجائزات.

ويعلم تعالى ما تحت الأرض السفلى كما يعلم ما فوق السماوات العلى، ويعلم تعالى جزئيات الأمور وخبايا الصدور، وخفايا ما وقع ويقع في أرجاء العالم وأنحاء ملكه، فهو الذي أحاط علمه بجميع الأشياء في كلّ الأوقات، ولا يعرض تعالى لعلمه وخفاء ولا نسيان، ويتلو هذه الآيات المقررة له كقوله في غير موضع: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤]، ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ

وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٥، ٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣]، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ٢]، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

وغير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على هذا المعنى؛ فإن تدبر بعض ذلك يكفي المؤمن البصير معرفة بإحاطة علم الله تعالى، وكمال عظمته، وجليل قدره، وأنه الرب العظيم المالك الكريم.

الشرح:

هذا ما يتعلق باسم **"العليم"** وهو من أسماء الله الحسنى، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له الأسماء الحسنى، ومن أسمائه التي ترد في القرآن كثيرًا، وتتردد في القرآن كثيرًا اسم **"العليم"**.

ومعنى **"العليم"** أو **"العالم"** لأنه ورد باسم الفاعل **"عالم"** وورد باسم فَعِيل صيغة مبالغة **"عليم"** وورد أيضًا بالأفعال، قال: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [المائدة: ٩٧]، وغيرها.

فهذا الاسم اسم **"العليم"** معناه الذي أحاط بكل شيء علمًا، الذي علم كلّ شيء، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وهو عالم الغيب والشهادة يعلم الظواهر والخفايا، وكما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

يعلم ما وقع وما سيقع كلّ ذلك لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، والمسلم يتدبر هذا الاسم، والشيخ رَحِمَهُ اللهُ ساق الآيات الكثيرة التي ذكر الله فيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسمه **"العليم"** إما بصيغة الاسم المصدر، أو بالفعل، مثل قوله تعالى مثلاً: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٢٩]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢].

كلّ هذه تدل على صفة العلم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتأمل أنه أحيانًا يرد اسم **"الخبير"**، والخبير كما ذكر أهل اللغة أنه الذي يعلم الدقائق والخفايا، فلا يقال مثلاً للأشياء الظاهرة خبير، الأشياء الخفية يأتي اسم **"الخبير"** والمسلم يتدبر هذا الاسم اسم **"العليم"** واسم **"الخبير"** وأحيانًا تجد الاسم في القرآن الكريم يقترن باسم آخر مثل **"العليم الحكيم"** أو **"الحكيم العليم"** أو **"العليم الخبير"** أو مثلاً يأتي **"العليم القدير"** فهناك أسرار في هذا الاسم عندما يقترن بغيره، فهذا من أجل أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يعني الذي لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء فهو خبير بعباده وعليم بذات الصدور، لا يغيب عنه شيء.

وحتى المسلم يعرف ثمرة هذا الاسم، إذا علم المسلم أن الله مطلع عليه، عالم بأحواله، وعالم بسرائره وخفاياه دفعه ذلك إلى تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتعظيم أوامره والمسارعة إلى تحقيقها، وتعظيم النواهي والمسارعة إلى البعد عنها، واجتناب المحرمات، كلّ هذا يعلم أن الله مطلع عليه، عالم بحاله، فإذا علم أن الله عالم وأنه سيجازيه كان ذلك من ثمرات هذا الاسم. ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى اسم **"الرحمن"**.

وكذلك يتدبر اسمه "الرحمن"، وأنه تعالى واسع الرحمة، له كمال الرحمة، ورحمته قد ملأت العالم السفلي وجميع المخلوقات، وشملت الدنيا والآخرة، وبتدبر الآيات الدالة على هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ [الروم: ٥٠]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

ويتلو سورة النحل الدالة على أصول النعم وفروعها التي هي نفحة وأثر من آثار رحمته، ولهذا قال في آخرها: ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

ثم يتدبر سورة الرحمن من أولها إلى آخرها؛ فإنها عبارة عن شرح وتفصيل رحمة الله تعالى، فكل ما فيها من ضروب المعاني وتصاريف الألوان من رحمة الرحمن، ولهذا اختتمها في ذكر ما أعد الله للطائعين في الجنة من النعيم المقيم الكامل الذي هو أثر من رحمته تعالى، ولهذا يسمي الله الجنة الرحمة كقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وفي الحديث: «إن الله قال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي»، وقال: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، وفي الحديث الصحيح: «الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها»، وفي الحديث الآخر: «إن الله كتب كتابًا عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي».

وفي الجملة: فالله خلق الخلق برحمته وأرسل غليهم الرسل برحمته، وأمرهم ونهاهم وشرع لهم الشرائع برحمته، وأسبغ عليهم النعمة الظاهرة والباطنة برحمته، ودبرهم بأنواع التدبير، وصرفهم بأنواع التصريف برحمته، وملأ الدنيا والآخرة من رحمته، فلا طابت الأمور ولا تيسرت الأشياء لا حصلت المقاصد وأنواع المطالب إلا برحمته، ورحمته فوق ذلك وأجل وأعلى وللمحسنين المتقين من رحمته النصيب الوافر والخير المتكاثر: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وهكذا يتدبر العبد صفات ربه وآثارها وأحكامها حتى ينصبغ قلبه بمعرفته، ويستنير فؤاده ويمتلئ من عظمة خالقه وشواهد صفاته، ولنقتصر على هذا التنبيه اللطيف على هذه الأسماء الثلاثة ليحتذى في

باقيها على هذا الحذو، ويتدبر مثلاً آية الكرسي، وأول سورة آل عمران، وأول سورة الحديد وغافر، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص ونحوها من الآيات المشتملة على هذا العلم العظيم، وما يتأيد بها من الأحاديث النبوية لينال حظًا جزيلاً من الإيمان بالغيب، وليكون من الذين يخشون ربهم بالغيب.

الشرح:

هذا الاسم الثاني الذي ساقه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بعدما ساق اسم **"العليم"** ساق اسم **"الرحمن"** وبيّن أن الرحمن الذي رحمته وسعت كلّ شيء، رحمة الدنيا ورحمة الآخرة، واسع الرحمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كامل الرحمة، رحمته ملأت العالم السفلي والعالم العلوي، وهذه الرحمة خلق الله بها الخلق، وأرسل الرسل بها، وأنزل الكتب بها، فرحمته وسعت كلّ شيء، وكما ذكر المؤلف هنا آيات كثيرة ساقها ليبين لك سعة رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعباده، كما قال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ [لقمان: ٢٠].

فنعمه الدنيوية، ونعمه الأخروية، ونعمه الدينية كلها من ثمرات رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذكر لنا نماذج منها سورة **"النحل"**، وسورة **"الرحمن"** كلها تشتمل على نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ التي هي من رحمته، ولذلك افتتح الله سورة الرحمن باسم الرحمن الذي من آثار هذا الاسم هذه النعم التي ذكرها في هذه السورة.

وفي الأخير ذكر رَحِمَهُ اللهُ تعالى أن ذكر هذا الاسم اسم **"العليم"** واسم **"الرحمن"** وأنه فقط يعني ذكره وساقه لك حتى من خلاله تحذو حذوه في بقية الأسماء في مثل اسم **"القدير"** واسم **"الحكيم"** واسم **"العزيز"** وسائر الأسماء من خلالها تنظر وتتأمل، وتجمع الآيات وتتدبرها، فهذا يعينك على معرفة أسماء الله الحسنى وأثر هذه الأسماء.

بعدها ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى أن من الإيمان بالغيب **"الإيمان بالرسل"** لأنه لما ذكر الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله ووجوده وتدبيره للكون، ذكر بعد ذلك الإيمان بالرسل، وكلها من أركان الإيمان، طيب ننظر ماذا قال في **"الإيمان بالرسل"**.

ومن الإيمان بالغيب "الإيمان بجميع رسل الله" الذين أرسلهم على وجه الإجمال والتفصيل لأشخاصهم ولدعوتهم وشرعهم، وكذلك الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله هداية للعباد على ما اجتباهم برسالته، ولهذا سمى الله الوحي الذي أنزله على رسوله غيبًا؛ فقال: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤].

ويذكر تعالى من أدلة رسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأخبار بوقائع الأنبياء المتقدمين وما جرى لهم فيقول: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩]، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤].

وما أشبه هذا مما فيه التبيان لصحة رسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث أخبر بهذه الغيوب، فتمام الإيمان بالغيب أن يؤمن العبد بجميع رسل الله ويعرف من صفاتهم، ومن دعتهم ما يحقق به هذا الأمر.

وكذلك يؤمن بجميع الكتب خصوصًا هذا القرآن العظيم الذي كلف العبد بالإيمان به إجمالًا وتفصيلاً.

وكيفية الإيمان على وجه الإجمال والتفصيل أن يؤمن ويصدق بأنه كلام الله أنزله مع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على قلب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا اللسان العربي؛ لينذر الخلق ويهدي إلى الحق في جميع المطالب، ويلتزم العبد التزامًا لا تردد فيه تصديق إخباراته كلها، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وإحلال حلاله وتحريم حرامه.

ثم يُحقق هذا الأصل بتفاصيله فيتفهم ما دلت عليه أخباره، ويجعلها عقيدة لقلبه راسخة، لا تزلزلها الشُّبه، ولا تُغيرها العوارض، ويجتهد في كلّ ما أمر به من أعمال القلوب والجوارح أن يقوم به على وجه الكمال والتكميل، علمًا وعملاً وحالًا، وما لا يقدر عليه ينوي فعله لو قدر عليه.

وكذلك النواهي يأخذ نفسه في كلّ ما نهي عنه أن لا يقربه ولا يحوم حوله امتثالًا لأمر الله، ورجاء لثوابه، فبحسب قيام العبد بهذا يكون إيمانه بالغيب، فمستقل ومستكثر ومتوسط ويدخل في هذا النوع الإيمان بأخباره بما كان من الأمور الماضية، وما يكون من الأمور المستقبلة.

الشرح:

هذا الركن الثاني بعد ركن **"الإيمان بالله"** ساق المؤلف الركن الآخر وهو الإيمان بالرسل، والإيمان بالرسل يقتضي الإيمان بالكتب؛ لأن الرسل أُنزلت عليهم الكتب، وبين الإيمان بالكتب والإيمان بالرسل تلازم شديد؛ فإن الكتب لا تنزل إلا على الرسل، وإن الرسل لا يرسلون إلا بالآيات والدلائل والحجج، ولذلك يجمع الله دائمًا بين الإيمان بالرسل والإيمان بالكتب.

وهو ركن من أركان الإيمان، وهو إيمان بالغيب؛ فإننا لم نر نوحًا ولا هودًا ولا صالحًا ولا شعيبًا، ولم نر كتبهم التي أنزلت عليهم كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، وصحف موسى وغيرها، من الكتب التي أنزلها الله وقوله: **"أنزل"** يقتضي أو يحتمل أن يكون المراد به الكتب المُنزلة، أو الوحي المنزل عليهم؛ لأنه ليس للجميع كتب، فقد يكون وحيًا أُنزل عليهم.

فعلى المسلم المؤمن يجب عليه الإيمان ويُحقق الإيمان بالرسل؛ لأنه من الإيمان بالغيب؛ بأن الله أرسل رسلاً كرامًا، أرسلهم بعثهم لأقوامهم، نؤمن بما جاءنا جملة وتفصيلاً أن هناك رسلاً أرسلهم الله بأسمائهم المذكورة في القرآن، وبأوصافهم الواردة مما ورد عنهم من أوصاف، ونؤمن بالكتب المنزلة عليهم جملة وتفصيلاً، كلّ ما ورد ذلك؛ فإننا نؤمن به.

ونعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من لطفه ورحمته لم يترك الخلق هملاً؛ بل أرسل إليهم رسلاً كرامًا اختيارهم واصطفاهم وأرسلهم، وأنزل عليهم الكتب، وأنزل عليهم الوحي، كلّ ذلك من معتقد الإيمان بالله، والإيمان بالرسل، وأن الكفر برسول من الرسل كفرٌ بالرسل جميعًا، وأنه لا يجوز للمسلم ولا يحل له أن يؤمن ببعض الكتب ويكفر ببعضها، أو يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعضها كما يصنعه اليهود.

فعليه أن يبادر وأن يؤمن بما جاءه في القرآن الكريم من الإيمان، وفي السنة من الإيمان بالرسل وبالكتب، هذا من الإيمان بالغيب، وبعد ذلك يسوق المؤلف أن من أنواع الإيمان بالغيب **"الإيمان باليوم الآخر وهو يوم الميعاد وما يجري فيها جملة وتفصيلاً"**.

ومن أنواع الإيمان بالغيب "الإيمان باليوم الآخر"، وبما وعد الله العباد من الجزاء، فدخل في هذا الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت من فتنة القبر وأحواله، ومن صفات يوم القيامة أهواله، ومن صفات النار وأهلها، وما أعد الله لهم فيها، ومن صفات الجنة وأهلها، وما أعد الله فيها لأهلها، فيفهمها فهمًا صحيحًا مأخوذًا من الكتاب ودلالته البينة، ومن السنة الصحيحة ودلالتها الظاهرة، فبحسب ما يصل إلى العبد من نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب، وفهمها على وجهها يكون إيمان العبد بالغيب.

وإذا استقر الإيمان بالوعد والوعيد في قلب العبد، وحصل فيه من ذلك تفاصيل كثيرة أوجب له الرغبة في فعل ما يقربه إلى ثواب الله، والرهبة من الأسباب الموجبة للإهانة، وعلم أن الله تعالى قائم على كلّ نفس بما عملت من خير وشر، وأنه واسع الفضل، كامل العدل، قال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

الشرح:

من الإيمان بالغيب **"الإيمان باليوم الآخر"** واليوم الآخر يبدأ من الموت، **"من مات قامت قيامته"** فأحوال الموت، وأحوال القبر، وأحوال يوم القيامة، وكلّ ما يتعلق بيوم القيامة من الحشر والجزاء والحساب والصحف والميزان، والصراط، والجنة والنار، كلّ هذه بتفاصيلها على المسلم أن يؤمن بها وهي من علوم الغيب، لم يرها ولم يشاهدها، ومع ذلك يؤمن ويصدق يقينًا بأن هذه الأمور واقعة لابد منها، وأنه لابد أن يشاهدها، وكلّ هذا الغرض منه الإيمان بالغيب، الغرض منه تميز المسلم عن غيره فهو يؤمن بالغيب.

الأمر **الثاني:** أن الإيمان باليوم الآخر هو الدافع القوي لانضباط المسلم في حياته، ومعرفة ما له وما عليه، وما يجب أن يبادر إليه من الأعمال الصالحة، وما يجب عليه أن يبتعد عنه من الأمور المحرمة، فهذا أثر الإيمان باليوم الآخر، أنك إذا عرفت أنك ستموت، وأنك ستجازى في قبرك، وأنك ستُخرج من قبرك وتُحاسب على النقير والقطمير كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

وأن أعمالك ستوزن، وأنه هناك الصراط الذي ستمر عليه على قدر عملك، كلّ هذا يدفعك إلى المسارعة لرضا الله، والمسارعة إلى تحقيق ما أمرك الله به، والبعد عما حرم الله، هذا هو الغرض إلى الإيمان باليوم الآخر، وأنه من أنواع الإيمان بالغيب.

يسوق بعد ذلك الإيمان بالملائكة، وكلها من علم الغيب، لم نر الملائكة، ولم نشهد اليوم الآخر، كلّ هذا ومع ذلك أن يؤمن إيمانًا قويًا، إيمانًا يقينًا بهذه الأشياء كلها.

ومن الإيمان بالغيب "الإيمان بالملائكة الكرام" الذين جعلهم الله عبادًا مُكرمين، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وإنهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

وأن الله تعالى جعلهم يدبرون بأمره وإذنه أمور الدنيا والآخرة، فهم أكثر جنود الله وهم رسله في أحكامه الدينية وأحكامه القدرية، وأن الله جعل للعبد منهم مُعقبات يحفظونه من أمر الله، ويحفظون عليه أعماله، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ٩ - ١٢].

ولهم صفات وأفعال مذكورة في الكتاب والسنة لا يتم الإيمان بالغيب إلا بالإيمان بها، فرجع الإيمان بالغيب إلى أصول الإيمان الستة بالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، على هذا الوجه الذي ذكرنا، والأصل الذي نبهنا أدنى تنبيه عليه، فمن حقق الإيمان بذلك كله كان من المؤمنين بالغيب حقيقة المتقين المفلحين.

الشرح:

الإيمان بالملائكة هو ركن من أركان الإيمان، وهو عالم غيبي، والملائكة خلقهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعبادته، خلقهم من نور، لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتزوجون، ولا يتناكحون، ولا ينامون؛ بل هم عبادٌ يعبدونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يسبحونه بالليل والنهار، لا يفترون عن عبادته، ويفعلون ما يؤمرون، ولا يعصون الله ما أمرهم.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلقهم وأوجدهم لعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولينفذوا وأوامره، فهم جنود الله في الكون، وذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صفاتهم في القرآن الكريم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر: ١]، قال: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١]، قال: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: ١ - ٣]، قال: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥].

وهكذا صفات كثيرة لهم، وهم رسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن أعظمهم وفوقهم جميعًا هذا جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو أعظم الملائكة، فمن أعظم الملائكة جبريل الموكل بالوحي والرسالات، وميكائيل الموكل بالأرزاق، وإسرافيل الموكل بنفخ الروح، وغيرهم من الملائكة الكرام الكثيرين.

إذا كان الإنسان الواحد من بني آدم تحيط به ثمانية من الملائكة، ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الرعد: ١١]، اثنان أمامه، واثنان خلفه، يتعاقبون بالليل والنهار، يذهب هؤلاء ويأتي هؤلاء، ومعه رقيب عتيد، كلّ هذا يدل على عظم هؤلاء الخلق، عظم هذا الخلق وهم الملائكة الكرام عليهم السلام.

والله أمرنا بالإيمان بهم وبأفعالهم وبصفاتهم وما ورد منهم، وذلك من أصول الإيمان، من أصول الإيمان أن تؤمن بالملائكة الذين ذكرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإن لم تراهم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى: **"وبهذا تجتمع أركان"** أركان الإيمان التي يقوم عليها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبالقدر خيره وشره، كلّ هذه من أصول الإيمان.

بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى ما يتعلق بالخشوع، وسيختم هذه الرسالة التي بين أيدينا بمسألة أو بما يتعلق بالخشوع لله، ثم بلطف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعباده، فنأخذ الخشوع ماذا قال فيه؟ فقد ساقه على أنه سؤال وجواب.

فائدة: ما هو الخشوع الذي أمر الله به، ومدح أهله وذم من قسا قلبه فلم يخشع، فما حقيقة ذلك؟ وما علامته ودلالته؟

قلت: قد مدح الله الخشوع عمومًا في جميع الأوقات والحالات والعبادات مثل قوله تعالى: ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود: ٢٣].

ومدح الخشوع خصوصًا في الصلاة، مثل قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢].

فخشوع القلب عنوان الإيمان وعلامة السعادة، كما أن قسوته وعدم خشوعه عنوان الشقاوة، فالخشوع انكسار القلب وذله بين يدي ربه، وأن يبقى هذا الخشوع مستصحبًا مع العبد في جميع أوقاته، إن غفل رجع إليه، وإن مرح عاد إليه، وإن شرع في تعبد وقربة من القربات خضع فيها، وقام بالأدب الذي هو أثر الخشوع، خصوصًا في أم العبادات، والجامعة بين أنواع التعبدات القلبية والبدنية وأقوال اللسان هي الصلاة؛ فإنه يقوم فيها مراعيًا للمراقبة.

ومرتبة الإحسان أن يعبد الله كأنه يراه؛ فإن لم يره فإنه يراه، فيجهد نفسه على التحقيق بهذه العبودية الكاملة، فيحضر قلبه فيناجي ربه بقلبه قبل لسانه، ويستحضر ما يقوله وما يفعله، فتسكن حركاته ويقل عبثه، ولهذا لما رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً يصلي وهو يعبث في لحيته فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه».

وبهذا يُعرف أن من أعظم علامات الخشوع سكون الجوارح، والتأدب في الخدمة الذي هو أثر سكون القلب، ولهذا وصف الله عباده الذين أضافهم إلى رحمته في قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

المراد خاضعين متواضعين، ومن أمارات الخشوع أن يطمئن القلب بذكر الله ويخشع ويخضع للحق الذي أنزله الله، فيعتقد ما دل عليه من الحق، ويرغب فيما دعا إليه من الخير ويرهب عما حذر منه من الشر، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]،

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٢، ٢٣].

فالقلب القاسي لا تؤثر فيه الآيات شيئًا، ولا يزداد مع التذكير إلا تماديًا في غيه وطغيانه وضلاله، والقلب الخاشع لما كان حسن القصد متواطئًا على الحق طالبًا له مستعد لقبوله لما وصل إليه الحق عرفه، وعرف الحاجة بل الضرورة إليه ففرح به واطمأن به.

وزادت رغبته في أثر في قلبه خضوعًا، وفي دينيه دموعًا وفي جلده قشعريرة، ثم يلين قلبه ويطمئن إلى ذكر الله تعالى، فهذا من هداية الله لعبده وتوفيقه إياه، إلا من أعرضوا فأعرض الله عنهم، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]، أي بل خروا سامعين مبصرين، منقادين لها طوعًا واختيارًا، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

فهذا تأثير آيات الله في أهل العلم الخاشعين يجمعون بين خشوع القلب وخضوع اللسان وتضرعه وخضوع الجوارح حيث خروا للأذقان يبكون، وقال تعالى بعدما ذكر أصفياءه الخاضعين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

ومن أعظم علامات الخاشعين ما ذكر الله بقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٥].

فلما أخبتت قلوبهم إلى ربهم فذلت له وانكسرت وتبتلت إليه تبتيلاً وجلت عند ذكره وصبرت على ما أصابهم من ابتلاء الله، وأدت ما أمرت به من الصلاة وأنواع النفقات، فجمع بين وصف المخبتين وبين أعمال القلوب وهو الصبر والوجل، وأعمال الجوارح كلها، وأقوال اللسان هو الصلاة التي تجتمع فيها أنواع التعبد والأعمال المالية، وتقديم محبة الله على محبة المال، فأخرجت المال المحبوب للنفوس في

الوجوه التي يحبها الله تعالى إيثارًا لربها، فهذه أوصاف المخبتين الخاشع التي لا يستحق هذا الاسم من لم يتصف بها.

وكذلك وصفهم بأنهم الذين يعرفون الحق في مواضع الشُّبه، فيزدادون إيمانًا إلى إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٣].

يتضمن وصف المخبتين الخاشعين بالرجوع إلى ربهم في جميع الحالات، والإنابة إليه في كلّ الأوقات؛ لأن تعدية الفعل بـ (إلى) يدل على هذا المعنى؛ فإنهم لما أخبتوا إلى ربهم ، وخضعوا لعظمته أخبتوا إليه في التعبد متذللين فتقبل منهم، وأوصلهم إلى مقصودهم، وجعلهم أصحاب الجنة خالدين فيها، فلما خشعت قلوبهم خشعت أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم وجوارحهم للرحمن.

ومما يدل على أن هذه الأشياء تابعة للقلب في خشوعه ما تقدم من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»، وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، ولهذا فسر كثير من المفسرين: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، أنه غض البصر، وقلة الحركات، وعدم الالتفات، ولاشك أن هذا أثر الخشوع ودليله، فالخاشع هو الذي سكن في قلبه تعظيم الله ووقاره، وتصديق وعده ووعيده؛ فذل وخضع، وانقادت جوارحه لما أُمرت به، وترك الأشر والبطر والمرح المنافي للخشوع، وكلما بعُد القلب عن هذا الوصف قسا وغلظ؛ فلم يخضع لأمر الله، ولا أثر فيه الذكر؛ بل ربما زاد خسارًا وافتتن عند المحن والشبهات، وفسق عن أمر ربه.

الشرح:

هذا ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فيا يتعلق بصفة **"الخشوع"** وأن من صفات المؤمنين صفة الخشوع، وأن معنى الخشوع هو السكون، وعدم الحركة، وسبب الخشوع هو الخشية والخوف؛ فإذا كان المسلم المؤمن يخشى الله ويخافه فقد خشع قلبه وخشعت جوارحه، وانكسر قلبه وذل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ذكر المؤلف أن الله مدح أصحاب هذه الصفة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، فإذا كانوا في صلاتهم خاشعين؛ فإنها أيضًا تخشع قلوبهم لله في سائر أعمالهم، في زكاتهم، وفي صيامهم، وفي أعمالهم، وفي ذكرهم، يذكرون الله وقلوبهم خاشعة، وأعمالهم خاشعة.

وذكر الشيخ أن من أمارات هذا الخشوع اطمئنان القلب ذكر الله، إذا ذُكر الله عَزَّ وَجَلَّ خشعت القلوب، واطمأنت، وسكنت لله، إلى غير ذلك من العلامات، ويقابل هذا القلب القاسي، القلب الذي لا يخشع ولا يلين مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

من أثر القلب القاسي هي المعاصي والبعد عن الله، والركون إلى الدنيا، ونسيان الآخرة، كلّ ذلك سبب في قسوة القلوب، والله ذم القاسية قلوبهم، ومدح الذين يخشون ربهم وتلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن من أعظم علامات الخاشعين الذين قال الله فيهم: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، والذين يصبرون على المصائب، ويلازمون الصلاة، والزكاة، والصدقات، هذه كلها من علامات الخشوع؛ فإذا رأيت الرجل مسارعًا للصلاة، مقبل على الله، صابر على ما يقدر الله، وكذلك مسارعًا للعبادات؛ فاعلم أن ذلك سببه هو خشوع القلب، والخشية، والخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إلى آخر ما ذكره الشيخ فيما يتعلق بهذه الصفة صفة الخشوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإقبال والسكون له وتعظيم الله، وكلّ هذا مثلما ذكرنا من آثاره الطيبة الإقبال على الله، والمسارعة في تحقيق ما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حقيقة وتدبرًا وتأملاً لما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هذا ما يتعلق بصفة **"الخشوع"** لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التي ذكرها المؤلف، ثم المؤلف بعد ذلك ينتقل إلى اسم **"اللطيف"** وما يتعلق به من معاني وآثار، هذا يأتي الحديث عنه إن شاء الله في اللقاء القادم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله، وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

اللّٰهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم وهو يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر شوال من عام ١٤٤٣ من الهجرة.

الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

هذا الكتاب قرأنا فيه في مجالس متعددة، هذا المجلس هو المجلس الرابع والعشرين، قد يكون المجلس الأخير من هذا الكتاب نختم به هذا الكتاب بإذن الله جَلَّ جَلَالُهُ، نواصل ما توقفنا عنده، والشيخ كما ذكرنا في آخر الكتاب بدأ يذكر بعض أسماء الله الحسنى المتعلقة بالإيمان، ذكر من الإيمان **"الإيمان بالله، وبأسمائه، وصفاته، والملائكة، وباليوم الآخر"**.

ثم الآن يتحدث عن اسم من أسماء الله الحسنى من أجل أسماء الله الحسنى، وورد في كتاب الله في سبعة مواضع فقط، ولم يقترن إلا بالخبير وهو اسم **"اللطيف"**، **"اللطيف الخبير"** ورد مرتين منفردًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٩]، وأما البقية فقد جاء مقترنًا بالخبير، ﴿كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣]، إلى آخره.

جاء في **"الأنعام"**، وجاء في **"الحج"**، وجاء في **"الأحزاب"**، وجاء في **"لقمان"** وجاء الموضع الخامس في سورة **"الملك"**: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وموضعين منفردين أصبحت سبعة مواضع فقط، طيب ننظر ونتأمل ونقرأ ما ذكره الشيخ السعدي حول هذا الاسم.

يا لطيفًا بالعباد، لطيفًا لما يشاء، الطف بنا في جميع الأمور، ما معنى لطف بالله بعبده، ولطفه لعبده الذي تتعلق به آمال العباد، ويسألونه من ربهم؟

وهو أحد معني مقتضى اسمه اللطيف؛ فإن اللطيف بمعنى الخبير العليم قد تقرر معناه، ولكن المطلوب هنا المعنى الثاني الذي يضطر إليه العباد، ولنذكر بعض أمثلته وأنواعه ليتضح.

فاعلم أن اللطف الذي يطلبه العباد من الله بلسان المقال ولسان الحال هو من الرحمة؛ بل هو رحمة خاصة، فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف؛ فإذا قال العبد: "يا لطيف الطف بي، أو لي، وأسألك لطفك" فمعناه تولني ولاية خاصة بها تصلح أحوالي، الظاهرة والباطنة، وبها تندفع عني جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية، فالأمور الداخلية لطف بالعبد والأمور الخارجية لطف للعبد.

فإذا يسر الله عبده وسهل طريق الخير وأعانه عليه فقد لطف به، وإذا قيض الله له أسبابًا خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد فيها صلاحه قد لطف له.

ولهذا لما تنقلت بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ تلك الأحوال، وتطورت به الأطوار من رؤياه وحسد أخواته له وسعيهم في إبعاده جدًا واختصاصهم بابيهم، ثم محنته بالنسوة، ثم بالسجن، ثم بالخروج منه بسبب رؤيا الملك العظيمة وانفراده بتعبيرها، وتبوئه من الأرض حيث يشاء، وحصول ما حصل على أبيه من الابتلاء والامتحان، ثم حصل بعد ذلك الاجتماع السار، وإزالة الأكدار، وصلاح حالة الجميع، والاجتباء العظيم ليوسف عرف عَلَيْهِ السَّلَامُ أن هذه الأشياء وغيرها لطف لطف الله لهم به، فاعترف بهذه النعمة فقال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

أي لطفه تعالى خاص لمن يشاء من عباده ممن يعلمه تعلى محلاً لذلك، وأهلاً له، فلا يضعه إلا في محله، والله أعلم حيث يضع فضله، فإذا رأيت الله تعالى قد يسر العبد لليسرى وسهل له طريق الخير، وذلل له صعابه وفتح له أبوابه، ونهج له طرقه ومهد له أسبابه وجنبه العسرى فقد لطف به، ومن لطفه بعباده المؤمنين أنه يتولاهم بلطفه فيخرجهم من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والكفر والبدع والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعة.

ومن لطفه أنه برحميهم من طاعة أنفسهم الأمارة بالسوء التي هذا طبعها وديدنها، فيوفقهم لنهي النفس عن الهوى، ويصرف عنهم السوء والفحشاء، فتوجد أسباب الفتنة، وجواذب المعاصي، وشهوات

الغي؛ فيرسل الله عليها برهان لطفه، ونور إيمانهم الذي منّ به عليهم، فيدعونها مطمئنين لذلك منشرحة لتركها صدورهم.

ومن لطفه بعباده أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم لا بسحب مراداتهم، فقد يرون شيئًا وغيره أصلح؛ فيقدر لهم الصلح وإن كرهوه لطفًا بهم وبرًا وإحسانًا، ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

ومن لطفه بهم أنه يقدر عليهم أنواع المصائب وضروب المحن والابتلاءات بالأمر والنهي الشاق، رحمة بهم ولطفًا، وسوقًا إلى كمالهم وكمال نعميهم، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن لطيف لطفه بعبده إذا أهله للمراتب العالية والمنازل السامية التي لا تُدرك إلا بالأسباب العظام التي لا يدركها إلا أرباب الهمم العالية، والعزائم السامية أن يقدر له في ابتداء أمره بعض الأسباب المحتملة المناسبة للأسباب التي أهل لها، ليتدرج من الأدنى إلى الأعلى، ولتتمرن نفسه، ويصير له ملكة من جنس ذلك الأمر، وهذا كما قدر لموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في ابتداء أمرهم رعاية الغنم؛ ليتدرجوا من رعاية الحيوان البهيم وإصلاحه إلى رعاية بني آدم ودعتهم وإصلاحهم.

وكذلك يذيق عبده حلاوة بعض الطاعات، فينجذب ويرغب، ويصير له ملكة قوية بعد ذلك على طاعات أجل منها وأعلى، ولم تكن تحصل بتلك الإرادة السابقة حتى وصل إلى هذه الإرادة والرغبة التامة.

ومن لطفه بعبده أن يقدر له أن يتربى في ولاية أهل الصلاح والعلم والإيمان، وبين أهل الخير ليكتسب من أدبهم وتأديبهم، ولينشأ على صلاحهم وإصلاحهم كما امتن الله على مريم في قوله تعالى: ﴿تَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]، إلى آخر قصتها.

ومن ذلك إذا نشأ بين أبوين صالحين وأقارب أنقياء أو في بلد صلاح، أو وفقه الله لمقارنة أهل الخير وصحبتهم، أو لتربية العلماء الربانيين؛ فإن هذا من أعظم لطفه بعبده، فإن صلاح العبد موقوف على

أسباب كثيرة منها؛ بل من أكثرها وأعظمها نفعًا هذه الحالة، ومن ذلك إذا نشأ العبد في بلد أهله على مذهب أهل السنة والجماعة فإن هذا لطف له.

وكذلك إذا قدر الله أن يكون مشايخه الذين يستفيد منهم الأحياء منهم والأموات أهل سنة وتقى؛ فإن هذا من اللفظ الرباني،ولا يخفى لطف الباري في وجود شيخ الإسلام "ابن تيمية" رَحِمَهُ اللهُ في أثناء قرون هذه الأمة، وتبيين الله به، وبتلامذته من الخير الكثير، والعلم الغزير وجهاد أهل البدع والتعطيل والكفر، ثم انتشار كتبه في هذه الأوقات؛ فلا شك أن هذا من لطف الله لمن انتفع بها، وأنه يتوقف خير كثير على وجودها فلله الحمد والمنة والفضل.

ومن لطف الله بعبده أن يجعل رزقه حلالًا في راحة، وقناعة، يحصل به المقصود ولا يشغله عما خلق له من العبادة والعلم والعمل؛ بل يعينه على ذلك ويفرغه، ويريح خاطره وأعضاءه، ولهذا من لطف الله تعالى لعبده أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظن فيها إدراك بغيته، فيعلم الله تعالى أنها تضره وتصده عما ينفعه فيحول بينه وبينها، فيظل العبد كارهًا ولم يدر أن ربه قد لطف به حيث أبقى له الأمر النافع، وصرف عنه الأمر الضار ولهذا كان الرضا بالقضاء في مثل هذه الأشياء من أعلى المنازل.

ومن لطف الله بعبده إذا قدر له طاعة جليلة لا تُنال إلا بأعوان أن يقدر له أعوانًا عليها ومساعدين على حملها، قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَارُونَ أَخِي ۝٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۝٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٢٩ - ٣٤]، وكذلك امتن على عيسى بقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]، وامتن على سيد الخلق في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، وهذا لطف لعبده خارج عن قدرته.

ومن هذا لطف الله بالهادين: إذا قيض الله من يهتدي بهداهم، ويقبل إرشادهم؛ فتضاعف بذلك الخيرات والأجور التي لا يدركها العبد بمجرد فعله بل هي مشروطة بأمر خارجي.

ومن لطف الله بعبده أن يعطي عبده من الأولاد والأموال والأزواج ما به تقر عينه في الدنيا، ويحصل له به السرور، ثم يبتليه ببعض ذلك، ويأخذه ويعوضه عليه الأجر العظيم إذا صبر واحتسب، فنعمة الله

عليه بأخذه على هذا الوجه أعظم من نعمته عليه في وجوده، وقضاء مجرد وطره الدنيوي منه، وهذا أيضًا خير وأجر خارج عن أحوال العبد بنفسه؛ بل هو لطف من الله له، فيض له أسبابًا أعاضه عليها الثواب الجزيل والأجر الجميل.

ومن لطف الله بعبده أن يبتليه بعض المصائب، فيوقفه للقيام بوظيفة الصبر فيها؛ فينيله درجات غاية لا يدركها بعمله، وقد يشدد عليه الابتلاء بذلك، كما فعل بأيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويوجد في قلبه حلاوة روح الرجاء، وتأميل الرحمة، وكشف الضر، فيخفف ألمه، وتنشط نفسه، لهذا من لطف الله بالمؤمنين أن جعل في قلوبهم احتساب الأجر، فخفت مصائبهم، وهان ما يلقون من المشاق في حصول مرضاته.

ومن لطف الله بعبده المؤمن الضعيف أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تضعف إيمانه، وتنقص إيقانه، كما أن من لطفه بالمؤمن القوي تهيئة أسباب الابتلاء والامتحان ويعينه عليها، ويحملها عنه ويزداد بذلك إيمانه، ويعظم أجره فسبحان الله اللطيف في ابتلائه وعافيته وعطائه ومنعه.

ومن لطف الله بعبده أن يسعى لكمال نفسه مع أقرب طريق يوصله إلى ذلك، مع وجود غيرها من الطرق التي تبعد عليه، فييسر عليه التعلم من كتاب أو معلم يكون حصول المقصود به أقرب وأسهل، وكذلك ييسره لعباده يفعلها بحالة اليسر والسهولة، وعدم التعويق عن غيرها مما ينفعه فهذا من اللطف.

ومن لطف الله بعبده قدر الواردات الكثيرة، والشغال المتنوعة، والتدبيرات والتعليقات الداخلة والخارجة التي لو قسمت على أمة من الناس لعجزت قواهم عليها، أن يمن عليه بخلق واسع، وصدر متسع، وقلب منشرح، بحيث يُعطى كلّ فرد من أفرادها نظرًا ثاقبًا، وتدبيرًا تامًا، وهو غير مكترث ولا منزعج لكثرتها وتفاوتها؛ بل قد أعانه الله تعالى عليها، ولطف به فيها، ولطف له في تسهيل أسبابها وطرقها.

وإذا أردت أن تعرف هذا الأمر فانظر إلى حالة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الله بصلاح الدارين وحصول السعادتين، وبعثه مكملاً لنفسه، ومكملاً لأمة عظيمة هي خير الأمم، ومع هذا مكنه الله ببعض عمره الشريف في نحو لثلث عمره، أن يقوم بأمر الله كله على كثرته وتنوعه، وأن يقيم لأمته جميع دينهم، ويعلمهم جميع أصوله وفروعه، ويُخرج الله به أمة كبيرة من الظلمات إلى النور، ويحصل به ما المصالح والمنافع، والخير والسعادة لخاص والعام ما لا تقوم به أمة من الخلق.

ومن لطف الله تعالى بعبده أن يجعل ما يبتليه به من المعاصي سببًا لرحمته، فيفتح له عند وقوع ذلك باب التوبة والتضرع، والابتهال إلى ربه، وازدراء نفسه واحتقارها، وزوال العجب والكبر من قلبه ما هو خير له من كثير من الطاعات.

ومن لطفه بعبده الحبيب عنده إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضارة، واسترسلت في ذلك أن ينغصها عليه ويكدرها، فلا يكاد يتناول منها شيئًا إلا مقرونًا بالمكدرات، محشوًا بالغصص؛ لئلا يميل معها كلّ الميل، كما أن من لطفه به أن يلذذ له التقربات، ويحلي له الطاعات ليميل إليها كلّ الميل.

ومن لطيف لطف الله بعبده أن يأجره على إعمال لم يعملها بل عزم عليها، فيعزم على قربةٍ من القرب ثم تنحل عزيمته لسبب من الأسباب فلا يفعلها، فيحصل له أجرها ، فانظر كيف لطف الله به فأوقعها في قلبه؟، وأدارها في ضميره، وقد علم تعالى أنه لا يفعلها سوقًا لبره لعبده وإحسانه بكل طرق.

وألطف من ذلك أن يقيض لعبده طاعة أخرى غير التي عزم عليها، هي أنفع له منها، فيدع العبد الطاعة التي تُرضي ربه لطاعة أخرى وهي أرضى لله منها، فتحصل له المفعولة بالفعل والمعزوم عليها بالنية.

وإذا كان من يهاجر إلى الله ورسوله ثم يُدركه الموت قبل حصول مقصوده قد وقع أجره على الله مع أن قطع الموت بغير اختياره فكيف بمن قطعت عليه نيته الفاضلة طاعة قد عزم على فعلها؟!!

وربما أراد الله في ضمير عبده عدة طاعات، كلّ طاعة لو انفردت لفعلها العبد لكمال رغبته، ولا يمكن فعل شيء منها إلا بتفويت الأخرى، فيوفقه للموازنة بينها، وإيثار أفضلها فعلاً مع رجاء حصولها جميعًا عزمًا ونية.

وألطف من هذا أن يُقدر تعالى لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية، ويوفر له دواعيها، وهو تعالى يعلم أنه لا يفعلها ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسباب فعلها من أكبر الطاعات كما لطف بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في مراودة المرأة، وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله».

ومن لطف الله بعبده أن يقدر خيرًا وإحسانًا من عبده، ويجريه على يد عبده الآخر، ويجعله طريقًا إلى وصوله للمستحق، فيثيب الله الأول الآخر.

ومن لطف الله بعبده أن يُجري بشيء من ماله شيئًا من المنافع وخيرًا لغيره فيثيبه من حيث لا يحتسب، فمن غرس غرسًا أو زرع زرعًا فأصابت منه روح من الأرواح المحترمة شيئًا آجر الله صاحبه وهو لا يدري، خصوصًا إذا كانت عنده نية حسنة، وعقد مع ربه عقدًا في أنه مهما ترتب على ماله شيء من النفع، فأسألك يا رب أن تأجرني، وتجعله قربة لي عندك، وكذلك لو كان له بهائم انتفع بدرها وركوبها والحمل عليها، أو مساكن انتفع بسكناها ولو شيئًا قليلاً، أو ماعون ونحوه انتفع به، أو عين شرب منها، وغير ذلك، ككتاب انتفع به في تعلم شيء منه، أو مصحف قرئ فيه والله ذو الفضل العظيم.

ومن لطف الله بعبده أن يفتح له بابًا من أبواب الخير لم يكن له على بال، وليس ذلك لقلة رغبته فيه، وإنما هو غفلة منه، وذهول عن ذلك الطريق، فلم يشعر إلا وقد وجد في قلبه الداعي إليه، واللافت إليه، ففرح بذلك، وعرف أنها من ألطاف سيده وطرقه التي قيض وصولها إليه، فصرف لها ضميره ووجه إليها فكره وأدرك منها ما شاء الله وفتح.

الشرح:

هذا ما ساقه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى حول اسم **"اللطيف"** والشيخ رَحِمَهُ اللهُ تكلم عن أسماء الله الحسنى، وغيره ممن تكلم عن أسماء الله الحسنى فذكروا أن اسم **"اللطيف"** يرجع إلى معنيين:

المعنى الأول: اللطيف الذي يعلم الأشياء الدقيقة، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، فالذي يعلم الأشياء الدقيقة الخفية؛ لأن أصل معنى اللطف هو **"إدراك الشيء بخفية"** ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قصة أصحاب الكهف ماذا قال؟ قالوا لصاحبهم الذين أرسلوه: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: ١٩]، يعني الذهاب بخفية من حيث لا يشعر بك من حولك، فهذا معنى الخفي، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم الأشياء الخفية الدقيقة التي لا يستطيع أي مخلوق أن يصل إليها هذا المعنى الأول.

المعنى الثاني: اللطيف هو الذي يسوق لك الشيء، ويوفقك للشيء، ويأخذ بيديك من حيث لا تشعر، والشيخ ركز على هذا المعنى الأخير؛ لأن المعنى الأول متعلق بعلمه وخبرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يقول: قد مر معنا أكثر من مرة التركيز على المعنى الثاني وهو **"أنه يسوق الشيء لك من حيث لا تشعر"**، وأنت

تتأمل آية الشورى قال: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩]، قال بعدها: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٩].

ولذلك الشيخ ذكر أشياء كثيرة، يقول: قد يسوق لك الطاعة وأنت لا تشعر، قد يصرف عنك الشر وأنت لا تشعر، قد يصيبك البلاء فيبعدك عنه وأنت لا تشعر، يوفقك للطاعات، يفتح عليك أبواب خير وأنت لا تشعر، وذكر لنا مثال قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإن الله لطف به مع أنه أُلقي في البئر، وتركه أخوته، ولطف الله به وساق له شيء لا يتصوره، حتى وصل الأمر إلى أن أصبح يعني صار وزيرًا على أهل المالية، وصار تحته، كنوز الأرض، خزائن الأرض، ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥].

وجاء أخوته ورأى حالهم، وفقرهم، وهو بهذه المكانة العظيمة قد رفع الله قدره، كلّ ذلك بلطف الله ولذلك هو قال في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

والله لطف بأيوب؛ حيث ساق له هذا البلاء خيرة له، ونعمة من الله، ثم صرف عنه هذا البلاء لطفًا به، وذكر أشياء كثير، ونماذج السنة كثيرة، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف لطف به الله عَزَّ وَجَلَّ في هجرته وصرف الأعداء عنه؟ يعني لطف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كلّ شيء.

تجد الشخص يريد أن يعمل كذا وكذا فيصرف الله عنه هذا العمل؛ لأن الله لطف بك وأراد بك خير، تجد بعض الناس يعني يعترض على هذا الشيء ويتسخط، ويصيبه ما يصيبه أنه يتمنى أن يكون يعمل في هذا الشيء، لكن الله أراد لك شيء هو خير لك من هذا.

يُرزق بشيء ويُصرف عن شيء، كلّ هذه الأمور التي،، يعني معنى عظيم، وأنا الحقيقة مثلما ذكرت لك لو تتأمل اسم اللطيف الخبير في القرآن الكريم، يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قال بعض أهل العلم من المفسرين: لا تدركه الأبصار لأنه لطيف، وهو يدرك الأبصار لأنه خبير، فجاء اسم **"اللطيف الخبير"** مناسب، وكذلك في قوله في سورة الحجر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣].

فجعل الأرض من سوق الماء لها وإنباته جعله أرض مخضرة لطفًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخبرة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأحيانًا يأتي اسم **"اللطيف الخبير"** في أشياء دقيقة، مثل قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

الذكر والتسبيح والتهليل والعبادة وقراءة القرآن في داخل بيوت في ظلمة الليلة الله لطيف خبير، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

في قصة لقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾، في وسط الصخرة، ﴿أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾، على سعتها ﴿أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾، التي هي أقل من السماوات ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾، لماذا؟ لأنه لطيف خبير ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

فتأمل اسم **"اللطيف"** عجيب جدًا، الشيخ ذكر أمثلة كثيرة حول هذا المعنى العظيم وهو اسم **"اللطيف"** الذي يدخل في كثير من شئون الحياة، ومما يتعلق بالعبد وهو لا يشعر، ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩].

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]، تأملت في فائدة تكرار التقوى في هذا الآيات ثلاث مرات، فوقع لي أحد وجهين:

أحدهما: أن الأول للماضي، والثاني للحال، والثالث في المستقبل.

وبيان ذلك أن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣].

أن (جناح) نكره في سياق النفي؛ فنعم الماضي والمستقبل والحال، لأنه نفى الجناح عن المؤمنين مطلقًا، وهذا النفي العام لا ينطبق إلا على الأحوال الثلاثة، ويكون هذا التكرار من محترزات القرآن التي يحترز الباري فيها عن كلّ حال تقدر وتمكن؛ لأنهم لو اتقوا في الماضي أو في الحال أو فيهما دون المستقبل لم يصدق عليهم نفي الجناح، ولابد في كلّ حال من الأحوال التي تقام فيها التقوى من الإيمان والعمل الصالح، ومن الإيمان والإحسان يؤيد هذا الاحتمال قوله: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

فإن قوله: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، نظير قوله (جناح) ولما كانت هذه الآية لا يتصور فيها الماضي كما هو بيّن لأنه شرط وجزاء للمستقبل، ويصلح للحال قال: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، يعني في الحال، لمن اتقى الله فيها، ثم ذكر ما يصلح للمستقبل فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، فإذا قُرنت هذه بتلك بانت لك فائدة التكرار، وأن ذلك لأجل عموم الأزمة.

الوجه الثاني: أن الأول في مقام الإسلام، والثاني في مقام الإيمان، والثالث في مقام الإحسان والمؤمن لا تكمل تقواه حين يترك ما حرم الله، ولا يتم دينه إلا بهذه المقامات الثلاثة؛ لأن مقام الإسلام يقتضي وجود الأعمال الظاهرة مع الإيمان والتقوى فقال فيها: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: ٩٣].

ومقام الإيمان لابد فيه من القيام بأركان الإيمان مع التقوى فقال فيه: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣]، ومقام الإحسان لابد فيه من القيام بالإحسان مع التقوى فقال فيه: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣].

فنفي الجناح العام لا يكون إلا لمن قام بمقامات الدين كلها، وعلى هذين الوجهين ففي الآية الكريمة من بيان جلالة القرآن وعظمته، وأحكام معانيه ورصانته، وعدم اختلالها واختلافها ما يشهد به العبد أنه كلام الله حقًا وصدقًا وعدلًا، وأنه محتوٍ على رتب البلاغة التي لا يقاربه فيها أي كلام كان.

وقد يُقال: إن كلا الوجهين مراد؛ لأن اللفظ لا يأباه، والمعنى مفتقر إليه، وطريقة القرآن أن يحمل على أعم الوجوه المناسبة؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، عليم بكل شيء، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه، اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا، واجعلنا ممن يتلونه حق تلاوته.

الشرح:

هذه الآية الأخيرة التي ساقها المؤلف ووقف عندنا متأملاً لمعانيها؛ هذه الآية جاءت في سياق تحريم الخمر في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].

نزلت هذه الآية فيمن شرب الخمر ومات من صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن أسلم وحسن إسلامه، كانوا يشربون الخمر فماتوا، فسأل من سأل ما حالهم؟ فأجاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣].

المقصود بقوله تعالى: ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣]، أي فيما حصل منهم من شرب الخمر الذي حرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا كثير في الصحابة، يعني سألوا عن من صلى إلى بيت المقدس لما حولت القبلة؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

الشاهد هنا: أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وقف مع هذه الآية متأملاً لها فظهر له وجهان:

الوجه **الأول:** أن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣]، قال: تكررت التقوى ثلاث مرات، للماضي، وللحال، وللمستقبل، فالتقوى هنا ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾، في الماضي، وفي حالهم الآن، وفي مستقبلهم، كلها تشمل جميع الأحوال والأزمنة.

ثم أشار إلى وجه آخر في تكرار هذه التقوى؛ قال: **"لأنها اشتملت على مراتب الدين الثلاثة: مرتبة الإسلام، والإيمان، ثم الإحسان"** وهو أعلاها درجة.

وبهذا ينتهي الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مما جمعه في هذا الكتاب المبارك، وهو كتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) ونختم هذا الكلام.

أقول: ولما ختم المؤلف رَحِمَهُ اللهُ كلامه على معنى "اللطيف" قال: وأرجو من الله أن يكن ما نحن فيه من هذا النوع؛ فإن جنس هذه الفوائد المذكورة في هذه الرسالة قد كانت تعرض لي كثيرًا أثناء القراءة لكتاب الله، فأتهاون بها ولم أقيدها، فيضيع شيء كثير، فلما كان أول يوم من هذا الشهر المبارك أوقع في قلبي أنه أقيد ما يمر علي من الفوائد والمعاني المتضحة التي لا أعلم أنها وقعت لي قبل ذلك، فعملت على هذا النمط، حتى كان الانتهاء إلى لطف الله، كما كان الابتداء بلطف الله بهذه الرسالة اللطيفة، وكان ذلك موافقًا للثامن والعشرين من هذا الشهر المبارك الذي حصل به الابتداء في ٢٨ من شهر رمضان سنة ١٣٤٧ سبع وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلى الله على محمد وسلم، وقد تمت هذه الرسالة على يد جامعها الفقير إلى ربه من كافة الوجوه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي.

الشرح:

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: إنه ختم باسم **"اللطيف"** هذا من لطفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يسر للشيخ جمع هذه الفوائد، يقول: الإنسان أحيانًا تمر عليه فوائد فلا يقيدها فتضيع عليه، **"قيد صيودك بالحبال الواثقة"** لا تضيع مثل هذه الفوائد، وهذه الدرر التي تمر عليك.

من العجائب التي ذكرها بعض أهل العلم يقول: إن الشيخ كان يقيدها في شهر رمضان، وهذا يدل على أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لا يترك العلم حتى في رمضان، تجد بعض الناس يقول: يوقف العلم، لا، اشتغل في العلم، ولذلك الكثير من العلماء ألفوا وكتبوا في رمضان.

أيضًا هناك فائدة عجيبة: وهي أن هذه السنة التي كتب الشيخ فيها هذه الفوائد وهي سنة ١٣٤٧ هي السنة التي ولد فيها الشيخ محمد بن عثيمين، الشيخ محمد ولد في يوم ٢٧ من رمضان في عام ٤٧ في السنة التي انتهى الشيخ من كتابة هذا الكتاب.

فولد الشيخ محمد ونشأ وتتلمذ على الشيخ، وأخذ علم الشيخ، فهذه من العجائب.

نقف عند هذا القدر

ونحمد الله ونشكره على أن يسر لنا قراءة هذا الكتاب، وهذا من لطف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يسر لنا أن نقرأ هذا الكتاب ونختمه في مدينة عنيزة، لطفًا من الله ولم يكن شيء مرتبًا، دون أن نشعر بهذا الشيء، لكن هذا من لطفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ختمنا هذا الكتاب في مدينة عنزية بتاريخ الخامس والعشرين من شهر شوال من عام ١٤٤٣، نسأل الله أن يبارك لنا، وأن يوفقنا للعلم النافع، وأن يثبتنا، وأن يجعلنا مباركين أينما كنا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.